دراسات كلامية

يسرى علي مشفي الموسوي



الفكر العقائدي عند الشيخ محمد جواد البلاغي

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

الفكر العقائدي
عند الشيخ محمد جواد البلاغي

الفكر العقائدي عند الشيخ محمد جواد البلاغي

«دراسة تحليلية»



د. يسرى علي مشفي الموسوي

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-061-6

[٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - email: almaaref@shurouk.org

تصميم:
only
Create

إخراج فني
إبراهيم شحوري

طباعة
DB UK 00961 3 336218
شركة دبوق العالمية للطباعة والتجارة العامة ش.م.م.
info@dboukart.com



﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾

[الرعد/١٧]

إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف الحكمية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية

قائمة المحتويات

كلمة الناشر ١١
المقدمة ١٥
التمهيد ٢١
الفصل الأول: التوحيد والعدل في فكر البلاغي ٣٧
المبحث الأول: أدلة وجود اللّه وتوحيده ٣٩
المبحث الثاني: التوحيد في الذات ٦١
المبحث الثالث: التوحيد في الصفات ٧٧
المبحث الرابع: التوحيد في الخالقية ٨٩
المبحث الخامس: العدل الإلهي ١٠١
الفصل الثاني: حقيقة النبوة في فكر البلاغي ١١٥
المبحث الأول: معالم الوحي عند البلاغي ١١٧
المبحث الثاني: حقيقة النبوة وأدلتها عند البلاغي ١٣١
المبحث الثالث: المعجزة ودلالتها عند البلاغي ١٤٩
الفصل الثالث: الخلافة والإمامة في فكر البلاغي ١٦٣
المبحث الأول: الإمامة وأدلتها في القرآن والسنة ١٦٥
المبحث الثاني: أدلة المنكرين للإمامة وردّ البلاغي عليهم ١٨٧
المبحث الثالث: دور الإمامة في حفظ معالم الدين في فكر البلاغي . ٢٠١
الفصل الرابع: المعاد بنظر الشيخ البلاغي ٢٢١
المبحث الأول: المعاد في القرآن ٢٢٣
المبحث الثاني: المعاد عند فرق المسلمين ٢٤٥

المبحث الثالث: المعاد عند الشيخ البلاغي ٢٥٩
الخاتمة ٢٧٩
المصادر والمراجع ٢٨٧

الإهداء

إلى مَن رحل عني دون وداع وترك في قلبي غصة اللقاء

أبي... أسكنه اللّه فسيح جنّاته

مَن أشعر بالأمان لوجودها نور عيني وشمعة حياتي

أُمّي... رمز العطاء والإيمان

يسرى

كلمة الناشر

لطالما شـكّلت أبحاث ودراسـات الأقدمين في شـتّى المجالات العلميـة عاملًا أساسًـا في بنـاء وتحصين الأمة الإسـلامية، حيث شـكلت الرافد لهذا الدين القيم بالمنظومـات الفكريّة التي جعلته يقف صامدًا أمام الشبهات المتعددة التي دخلت الساحة الإسلامية إن من الفلسـفة اليونانية أو غيرها، فسـبروا غـور الحديث والنص القرآنـي، وخاضوا معاركهم المعرفية متسـلحين بتراث أسـلافهم، ليقدمـوا بدورهم ما يبنى ويراكم عليه، ليواجـه به أبناؤهم فيما بعد شبهات عصرهم الطارئة عليهم.

وبدءًا من المدرسة الجعفرية وحتى يومنا هذا، برزت في فضائنا الإسلامي أسـماء لامعة كان لها دورها الريادي، حتى ليمكننا الجزم بأنه لم يأتِ على الإسلام قرن لم يقرن بإحدى تلك الأسماء، وإمامنا الجليل العلامة محمد جواد البلاغي – الذي يدور هذا الكتاب حول خلاصة طرحه فـي العقائد والكلاميات – كان أحـد أبرز رواد القرن العشرين، فهو – كما يصفه العلامة السيد محسن الأمين في **أعيان الشيعة** – عالم فاضل، أديب شاعر، حسـن العشرة سخي النفس، صرف عمره في طلب العلـم وفي التأليف والتصنيف، وصنف عدة تصانيف في الردود.

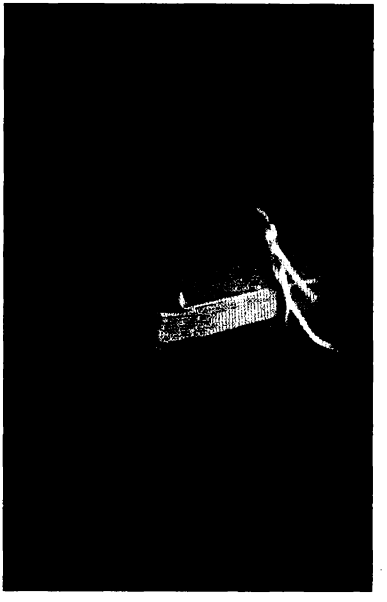
وكتابنا المقدَّم له يحاول أن يشـكل عرضًا تحليليًا منظمًا للفكر العقائدي لدى البلاغي، حيث انتظمت مع مؤلفة هذا السـفر آراء البلاغي الكلامية وطروحاتـه العقائدية، كما وردوده لما كان قد طُرح من إشـكالات منهجية وموضوعية على المدرسة الكلامية الشيعية، في سلسـلة مترتبة الأبحاث تتبع فـي تراتبيتها النظـم المتبعة في الأنسـاق العقائدية السـائدة، فبدأ مـع التوحيد فالعـدل فالنبوة فالإمامـة فالمعاد، وقوفًـا بذلك علـى تفصيـل آراء البلاغي كما ونقاشاته لذوي الأديان والمذاهب المختلفة في كل واحد من تلك الأبواب.

إن القيمـة المعرفية التي يمكن أن يضيفها هذا الكتاب هي في تنظيمه لكل طروحات الرجل وتقديمها كوجبة متكاملة تغني الطالب على صعيدَي تقديم العقائد الصحيحة والحقة مع طرح الاسـتدلال عليها من جهة، وتعريف الباحث بالمنهجية العلمية التي أسـس لها البلاغـي وقدمها من جهة أخرى، وذلك معيـن في مجالات عديدة ليـس أقلها فهم الذهنيـة الكلامية العامة لعلماء الشـيعة، ومن ثم الاسـتناد إلى هذا الفهم للدخول عبره إلى مجـالات أخرى تتخطى المبحث الكلامي والعقائدي.

ولا يفوتنـا هنا أن نذكر أن الكتاب هذا هـو واحد من مجموعة أعمال يسـعى **دار المعـارف الحكمية** إلـى تقديمها للقـراء، تتناول المشـاريع الفكريّة لكبار علمـاء ومفكري العالم الإسـلامي، حيث سبق هذا الكتاب العمل على جملة أعلام من فلاسفة وعلماء كلام، وسـيتبعه فيما بعد تناول شـخصيات أخرى في دراسـات شاملة للمنظومات التي عملوا عليها إن في الأخلاق، أو الكلام، أو الفلسفة أو غيرها.

إن **دار المعارف الحكمية** إذ ينشر هذا الكتاب، فإنه يأمل له أن يكون خطوةً محفزةً للعلم والعلماء، وأن يحقق نشره جزءًا من غاية كبرى هي إعادة قراءة التراث العلمائي الإسلامي على أرضية عالم اليوم، في سبيل الاستفادة والتزود منها لتقويض ما قد تواجهه الحالة من طروحات نقدية وإشكالية.

والله من وراء القصد.



المقدمة

الحمـد للّه رب العالمين والصلاة والسـلام على خاتم الأنبياء والمرسـلين محمد صلى اللّه عليه وآله الطيبين الطاهرين:

أما بعد..

تُعـد المسـائل العقائدية مـن الأسـس المهمة والمرتكـزات الواجب توافرها فـي قلب كل مؤمـن ومؤمنة، ومنذ صغري وأنا شـغوفة بهذه المسـائل، وبعد البحث والسؤال هداني اللّه إلى دراسـة واحد من أبرز علماء الأصـول ممن لهم الفضل في الـدرس العقائدي الحديـث، فضلًا عـن كونه مرجعًا مـن مراجع الأمة العظام ومن أسـاطين العلـم الذين شـهد بفضلهم القاصي والداني لغزارة علمه وسـعة أفقه وفضله وإيمانه، هو الشيخ محمد جواد البلاغي الربيعي، من علماء الإماميـة الكبار والذي أتى بمنهج جديد في البحث والتحليل عن طريق اطّلاعه على اللغات الأجنبية كالإنكليزية والعبرية والفارسـية، وإتقانه لها كتابـةً ونطقًا، فردَّ على أصحاب الشبهات من تلك اللغات والديانات.

وإننـا إذ ندرك أهميـة النتـاج العقائدي الذي قدمه الشـيخ في طيات كتبه، عملنا على تقديم دراسـة شـاملة لكل معالم فكره

العقائدي وهي هذه الدراسة التي نقدم لها.

جاءت الدراسة مقسمةً في ضوء الدرس الأصولي على أربعة فصول سُبقت بمقدمة وتمهيد وألحقت بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

جاء الفصل الأول بعنوان: "التوحيد والعدل في فكر البلاغي"، وتضمن خمسة مباحث؛ المبحث الأول بعنوان: "أدلة وجود اللّه وتوحيده"، وفيه بيّن الشيخ البلاغي أدلة وجود اللّه وتوحيده بواسطة الآيات القرآنية التي تدل على الوجود والتوحيد، وجاء المبحث الثاني بعنوان: "التوحيد في الذات"، وقد تكفل هذا المبحث بيان أنّ الإله الواجب الوجود لا يتجزأ، لا في الماهية ولا في المقدار، ولا يتغير كيانه، ولا يلد، وأنه إله واحد أحد، أما المبحث الثالث فكان بعنوان "التوحيد في الصفات"، وقد اختص هذا المبحث بإبراز صفات اللّه تعالى مثل صفة الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، وهي الصفات الأزلية القائمة بذاته تعالى، المبحث الرابع جاء بعنوان: "التوحيد في الخالقية"، وهذا المبحث يلقي الضوء على كرامة القرآن الكريم في حججه في خلق العالم وخلق الإنسان وينبه العقول على غفلتها وغلبة الأوهام على وجدانياتها، أما المبحث الخامس فبعنوان: "العدل الإلهي"، في هذا المبحث أثبت الشيخ البلاغي أنّ الحسن والقبح صفتان لازمتان للأفعال يدركهما العقل.

الفصل الثاني جاء بعنوان: "حقيقة النبوة في فكر البلاغي"، وتضمن ثلاثة مباحث: أولها بعنوان: "معالم الوحي عند البلاغي"، وقد اختص ببيان معنى الوحي لغةً واصطلاحًا وقسّم الوحي على قسمين: وحي مكتوب ووحي شفهي، وثانيها بعنوان: "حقيقة

النبوة وأدلتها عنـد البلاغي"، وقد بيّن هـذا المبحث معنى النبوة لغةً واصطلاحًـا وألقى الضوء على غاية النبوة ومسـتلزماتها ووضح أهم موانع النبوة، أما ثالث مباحث هذا الفصل فبعنوان: "المعجزة ودلالتها عند البلاغي"، وتكفل ببيان معنى المعجزة لغةً واصطلاحًا، وبيّـن تنوع المعجز بحسـب الحكمـة وأثبت أن القـرآن الكريم هو المعجزة الخالدة.

أمـا الفصل الثالث فـكان بعنوان: "الخلافـة والإمامة في فكر البلاغي"، وتضمـن ثلاثة مباحث: الأول بعنوان: "الإمامة وأدلتها في القرآن والسـنة"، وهـذا المبحث اختص ببيان معنـى الإمامة وذكر أدلتها في القرآن والسـنة، والثاني بعنوان: "أدلـة المنكرين للإمامة ورد البلاغي عليهم"، وفيه رد الشـيخ البلاغي على المنكرين للإمامة من خـلال أحاديث نبوية شـريفة عدة، أما الثالـث فبعنوان: "دور الإمامة فـي حفظ معالم الدين في فكر البلاغـي"، وقد تكفل ببيان مقام الإمامة في الإسـلام وبيان الجوانب والأبعـاد المعرفية للإمام المعصوم.

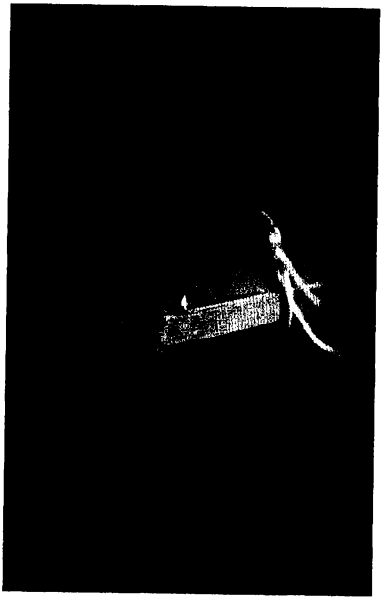
الفصل الرابـع كان بعنوان: "المعاد في نظر الشـيخ البلاغي": وتضمن ثلاثة مباحـث: المبحث الأول بعنوان: "المعاد في القرآن"، وقد اختص بمعرفة ماهيـة المعاد وكذلك وضح عـن طريق الأدلة العقليـة والأدلة الحسـية وأدلـة عـدل اللّه وحكمته طـرق معرفة المعاد فـي القرآن، أمـا المبحث الثانـي فبعنـوان: "المعاد عند فرق المسـلمين"، تكفّل ببيان معنى المعاد ولا سـيما عند الإمامية والأشـاعرة والمعتزلة، وذكر أدلة كل فرقة مـن الفرق، وأما المبحث الثالث فجاء بعنوان: "المعاد عند الشيخ البلاغي"، وفيه ذكر الشيخ البلاغي ماهيـة المعاد وأهميته بنوعيه الروحاني والجسـماني وذكر

المعاد في العهدين.

تنبع أهمية موضوع الدراسة من كونها تناول عالمًا كبيرًا (البلاغي) مسلطةً الضوء على الأثر الكبير لعلماء النجف في تطوير الدرس العقائدي، فضلًا عن أهمية العقائد في حياة الناس، ولم يخلُ البحث من صعوبات جمة لعل أهمها هي فهم العبارة العقائدية الصعبة وتشعب مصادرها فضلًا عن الحذر من الانزلاق في الشبهات الكبيرة، ولكني أكاد أقول وبحمد اللّه أني تمكنت من اجتياز هذه المرحلة، وقد تنوعت مصادر البحث من كتب الأصول والعقائد والتفاسير وكتب أصحاب الكلام والمنطق والفلسفة.

وبعد، لا أدعي لعملي الكمال فالكمال للّه وحده. لذا أرجو من عملي هذا وجهه الكريم وحسبي أني اجتهدت فأتمنى أن لا أُحرم أجر المجتهدين والله الموفق للصواب وهو المستعان.

والحمد للّه رب العالمين



التمهيد

- ماهية الفكر العقائدي
- حياة الشيخ البلاغي

١. معنى الفكر

ينطوي مفهوم الفكر على شيء من الغموض، لأنه استعمل في معانٍ متنوعة ومختلفة تراكمت بمرور الزمن حتى أصبح إطلاقه دون تحديد موقعًا في اللبس. ولأن الفكر له أصالة، وله وجود في المصادر العربية الإسلامية، فإنه ينبغي تأصيل هذا اللفظ في اللغة والاصطلاح وتجليته بوصفه مفهومًا للوصول إلى تحديد المصطلح المناسب له في العصر الراهن...[١].

١. أ. المعنى اللغوي للفكر

«فَكَرَ» الفاء والكاف والراء: تردُّد القلب في الشيء، ويقال: تفكَّر: إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجلٌ فِكِّير: كثير الفكر[٢].

فَكَّر (بالتشديد) يُفكرُ تفكيرًا... ويقال: فَكَرَ بالتخفيف يَفكُرُ، فِكرًا أو فَكرًا على وزن: نصرَ - ينصرُ.

---

(١) عبد المجيد النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، الصفحة ٢٧؛ محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، الصفحة ٢٨.

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، الجزء ٤، الصفحة ٤٤٦.

ويقـال: أُفكّرُ في الأمر، فَكَرَ فيه فهو مُفكّر، ويقال: فَكّرَ في الأمر مبالغةً في فَكَرَ، وهو أشـيع في الاسـتعمال منه، (من فكر)، ويقال: (لي في الأمر فِكـرٌ): أي نظر ورؤية، قال: وما لي فـي الأمر فِكرٌ، ما لـي فيه حاجة ولا مبالاة والجمع أفكار، ويقـال: ليس لي فكرٌ: أي لا أحتاج إليه ولا أبالي به، والفِكرَة: الفِكر وهي الصورة الذهنية لأمر ما، وجمعها فكَرٌ. وقيل: الفِكرُ مقلوبٌ عن الفرك، لكن يسـتعمل الفِكرُ في الأمور المعنوية وهو فرك الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها[1].

وقد وردت مادة «فَكَرَ» في القرآن الكريم في عشرين موضعًا[2]، ولكنها بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسـم أو المصدر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[3] وقال تعالـى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]. ففـي الآيـة الأولـى وردت بصيغـة الماضي (فَكَّـر)، وفي الثانية وردت بصيغة المضـارع المخاطب (تتفكرون)، وفي الثالثة بصيغة المضارع الغائب (يتفكرون).

وعلى الرغم من أنها وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسـم أو المصدر (فِكرٌ) إلا أنّ الفعـل في اللغة العربية يدل على الحدث ذاته وعلـى من قام به وهو هنا المفكر، وقد انتزع بعض الباحثين من ذلك أنّ اللّه سبحانه أبان ولفت أنظار عباده: بأنّ

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، الجزء ٢، الصفحة ٦٩٨، مادة (فكر).

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، الصفحة ٥٢٥، مادة (فكر).

(٣) سورة **المدثر**، الآية ١٨.

(٤) سورة **الأنعام**، الآية ٥٠.

(٥) سورة **الحشر**، الآية ٢١.

هذا العمل الذهني مرتبط بذات وأنه لا يكون فيما لا طائل تحته[١].

١. ب. المفهوم الاصطلاحي للفكر

عرف الفكر بتعريفات كثيرة منها الآتي:

- قـوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، وجَولان تلك القوة بحسـب نظر العقل، وذلك للإنسـان دون الحيوان، ولا يمكن أن يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[٢].

- اسـم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسـان سواء أكان قلبًا، أو روحًا، أو ذهنًا، بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة مـن الأمـور المعلومـة، أو الوصول إلـى الأحكام، أو النسـب بين الأشياء[٣].

٢. معنى العقيدة

٢. أ. المعنى اللغوي للعقيدة

إنّ كلمة «عقيدة» مشـتقة من المصدر «عقد» الذي يعني الإحكام والشـد والربط، وربط الشيء بشيء آخر أو شدّه إليه يمكن أن يكون حقيقيًا وماديًا حينًا؛ كتطعيم شجرة ببرعم أو بغصن من شجرة أخرى، ويمكن أن يكون اعتباريًا ومعنويًا حينًـا آخر؛ كزواج رجل بامرأة يرتبط

(١) طه جابر العلواني، **الأزمة الفكرية المعاصرة**، الصفحة ٢٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الجزء ٨٣، الصفحة ٦٤٣، مادة (فكر).

(٣) طه جابر العلواني، **الأزمة الفكرية المعاصرة**، الصفحة ٢٧.

بها بواسطة عقد قرانه عليها[1].

و«عقـد»: العين والقاف والـدال أصل واحد يدل على شـدَّ وشـدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، مـن ذلك: عقد البناء، والجمـع أعقاد، وعقود، وعقدت الحبل أعقـده عقدًا، وقد انعقد، وتلك هي العقدة... وعاقدته، مثل: عاهدتـه، وهو العقد والجمع عقود اليمين[2]، ومنه قوله تعالى ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[3].

والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾[4].

والعقد في البيع: إيجابـه... وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه، واعتقد الشيء: صلب، واعتقد الإخاء: ثبت[5].

وقـال «الراغب الأصفهانـي»: «العقـد: الجمع بيـن أطراف الشيء، ويسـتعمل ذلك في الأجسـام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء[6]، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، فيقال: عاقدته وعقدته، وتعاقدنا وعقدت يمينه...»[7].

---

(١) محمد الريشهري، **موسوعة العقائد الإسلامية**، الجزء ١، الصفحة ٢٣.

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، الجزء ٤، الصفحتان ٨٦ و٨٧.

(٣) سورة **المائدة**، الآية ١.

(٤) سورة **المائدة**، الآية ٨٩.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٣، الصفحات من ٢٩٦ إلى ٣٠٠، مادة (عقد).

(٦) عقد البناء: ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكها، فأحكم إلصاقها؛ الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ٣٤١.

(٧) المصدر نفسه، الصفحة ٣٤١.

٢. ب. المعنى الاصطلاحي للعقيدة

العقائد: هـي الأمور التي يجب أن يصدق بهـا قلبك وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينًا عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك[١].

فهي إذن اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل شـكًا ولا ظنًا، فما لم يصل العلم بالشـيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسـمى عقيدةً، وإذا كان الاعتقاد غيـر مطابق للواقع والحق الثابـت ولا يقوم على دليل، فهو ليس عقيدةً صحيحةً سـليمةً، وإنما هو عقيدة فاسـدة كاعتقاد النصارى بألوهية عيسى وبالتثليث[٢].

فالعقيدة: هي الحكم الذي لا يقبل الشـك فيه لدى معتقده، والعقيدة فـي الدين: ما يقصد بـه الاعتقـاد دون العمل، كعقيدة وجود اللّه وبعثه الرسل، والجمع: عقائد[٣].

٣. مفهوم الفكر العقائدي

توافـد كثير من العلمـاء والباحثيـن لتحديد تعريـف أو أكثر للفكر العقائدي، ومن أبرز هذه التعريفات ما يأتي:

- هو كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إلى اليوم في المعارف الكونية المتصلة باللّه سـبحانه، من توحيد، وعدل إلهي، ونبـوة، وإمامة، ومعـاد، والذي يعبر عـن اجتهادات

---

(١) حسن البنا، **رسالة العقائد**، الصفحة ٣٧٩.

(٢) عثمان جمعة ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، الصفحة ١٢١.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، الجزء ٢، الصفحة ٦١٤.

العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في ضوء المبادئ الإسلامية[1].

- هو نتاج الفكر الذي تصدى للفلسفات والنظريات الغربية ناقدًا لها، وواضعًا البديل الإسلامي محلها[2].

- هو فقه الوحي وفهم رجال هذا الفكر له ثم شروحهم عليه[3].

- هو الحكم على الواقع من وجهة نظر الإسلام[4].

وبذلك يكون الفكر العقائدي: هو الأساس النظري للدين، الذي يعد القاعدة الأساس في بنائه، ومنه ينطلق المؤمن، ويضبط كل حركته بضوابطه، ويوجه كل سلوكه وأعماله، ويفسر للإنسان طبيعة وجوده، ونشأته، وغايته، ويعرفه بوظيفته في الحياة، ويرسم له معالم صلته باللّه تعالى، وصلته بالحياة والأحياء والكون من حوله[5].

وبعد أن غرس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، العقيدة في نفوس أصحابه، وربّاهم عليها، وعرّفهم بربهم جل وعلا، وأنّ شأنهم هو شأن العبد مع الإله الخالق الرازق المشرع، وأنه لا إله إلا هو، وعرّفهم تكاليف هذه العقيدة وأعباءها، وصبروا على الطريق الطويل الشاق، وخلصت نفوسهم للّه، عندئذ جاءت العناية بكل جوانب البناء الضخم لهذه الشريعة الخالدة، من عبادة وأخلاق وتشريع[6].

---

(١) محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، الصفحة ١٨.
(٢) مصطفى حلمي، **الفكر الإسلامي**، الصفحة ٤٦.
(٣) محمد عبد اللطيف، **خصائص الفكر الإسلامي**، الصفحة ٢٦.
(٤) محمد حسين عبد اللّه، **دراسات في الفكر الإسلامي**، الصفحتان ١٢ و١٣.
(٥) عثمان جمعة ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، الصفحة ٣١.
(٦) المصدر نفسه، الصفحة ٣٩.

فالعقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء، وما لم يقم العمل على هذه العقيدة فإنه سيكون هباءً منثورًا، لا ينفع صاحبه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٢].

وقضت إرادة اللّه سبحانه، أن يقوم هذا الدين على قاعدة «الألوهية الواحدة»، كل تنظيماته، وكل تشريعاته تنبثق عن هذا الأصل الكبير. وكما أنّ الشجرة الضخمة الباسقة، الوارفة، المديدة الظلال، المتشابكة الأغصان، الضاربة في الهواء لا بد لها من أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة، وفي مساحات واسعة تناسب ضخامتها وامتدادها في الهواء... فكذلك هذا الدين[٣].

وإنّ نظام هذا الدين يتناول الحياة كلها، ويتولى شؤون البشرية، كبيرها وصغيرها، وينظم حياة الإنسان لا في الحياة الدنيا وحدها بل في الدار الآخرة، ولا في عالم الشهادة وحده، بل في عالم الغيب، ولا في المعاملات المادية الظاهرة وحدها، بل في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا، فلا بد إذن من جذور وأعماق بهذه السعة، والضخامة، والعمق، والانتشار أيضًا، ومتى استقرت عقيدة «لا إله إلا اللّه» في أعماقها الغائرة البعيدة استقر معها في الوقت نفسه النظام الذي تتمثل فيه «لا إله إلا اللّه» وتعين أنه النظام الوحيد، الذي ترتضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة، واستسلمت

---

(١) سورة **الفرقان**، الآية ٢٣.

(٢) سورة **النور**، الآية ٣٩.

(٣) عثمان جمعة ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، الصفحة ٣٩.

هذه النفوس ابتداءً لهذا النظام[1].

٤. حياة الشيخ البلاغي وسيرته العلمية

أولًا: نسبه وأسرته

«هو الشـيخ جواد، ويقال محمد الجواد»[2] «ابن الشـيخ حسن بن الشيخ طالب بن الشيخ عباس بن الشـيخ إبراهيم بن الشيخ حسين بن الشـيخ عباس بن الشيخ حسن - صاحب **تنقيح المقال في كيفية الاستدلال** - »[3] بن الشـيخ عباس بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد البلاغي الربيعي[4] النجفي[5].

وكل فرد من أفراد هذه الأسـرة كان من أهـل العلم والفضل،

---

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ٣٩ و٤٠.

(٢) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، الجزء ٦، الصفحة ٣٥٦؛ محمد حرز الدين، **معارف الرجال**، الجزء ١، الصفحة ١٩٦؛ علي الخاقاني، **شعراء الغري**، الجزء ٢، الصفحة ٤٣٦.

(٣) عباس القمي، **الكنى والألقاب**، الجزء ٢، الصفحة ٩٣؛ محمد علي، **مشهد الإمام**، الجزء ٢، الصفحة ١٧٩؛ ثائر عباس هويدي، **منهج الشيخ البلاغي في نقد الفكر الديني اليهودي**، الصفحة ٢٥.

(٤) نسبةً إلى (ربيعة) القبيلة العربية المعروفة.

(٥) محمد محسن آغا بزرك الطهراني، **نقباء البشر**، الجزء ١، الصفحة ٣٢٣؛ الميرزا محمد علي التبريزي، **ريحانة الأدب**، الجزء ١، الصفحة ٢٧٨؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**، الجزء ٢، الصفحة ٥٠٩؛ محمد هادي الأميني، **معجم رجال الفكر والأدب في النجف**، الجزء ١، الصفحة ٢٥٢؛ خير الدين الزركلي، **الإعلام**، الجزء ٦، الصفحة ٧٤.



وإن اختلفت مراتبهم؛ إذ وجد لبعضهم آثار تشير إلى علو منزلتهم[١] فالشيخ «حسن البلاغي» والد «محمد الجواد» من أهل العلم والفضل كما يذكر ذلك الشيخ «محمد الجواد البلاغي» نفسه في رسالة بعثها إلى المرحوم «محسن الأمين» صاحب **أعيان الشيعة** ويذكر فيها وفاة والده سنة ١٣١٠هـ-١٨٩٢م[٢].

أما جده الشيخ «طالب البلاغي» فقد كان من العلماء والفقهاء المعروفين المشتهرين بالزهد والتقوى وكان من طلبة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب **جواهر الكلام**[٣] وكان الشيخ «محمد طه نجف» - وهو أستاذ محمد جواد البلاغي - يذكر للشيخ «طالب البلاغي» كرامةً كبيرةً ضمنها رسالته في أحوال الشيخ «حسين نجف»[٤] وقد التحق إلى دار الحق عام ١٢٨٢هـ-١٨٦٦م[٥].

وكذلك الشيخ «حسن بن الشيخ عباس البلاغي» صاحب كتاب **تنقيح المقال** فهو عالم وفقيه وأديب وله كذلك شرح **الصحيفة السجادية** في مجلدَين وذكر في آخره أنه كتبه بداية جمادى الأولى سنة ١١٠٥هـ-١٦٩٣م وأتمه في أواخر رجب من السنة المذكورة. وله تعليقات على كتاب **الاستبصار** للشيخ «الطوسي»[٦].

---

(١) **موسوعة العلامة البلاغي**، المدخل (حياة العلامة)، الصفحة ٩٥؛ عبد الوهاب الصافي، «حياة الشيخ البلاغي ونسبه»، مجلة **الاعتدال**، العدد **الأول**، السنة الثانية (١٩٣٤)، الصفحة ١٢.

(٢) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، الجزء ٦، الصفحة ٣٦٠.

(٣) عباس القمي، **الكنى والألقاب**، الجزء ٢، الصفحة ٧٣.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٩٤.

(٥) جعفر محبوبة، الجزء ٢، الصفحة ٧٣.

(٦) محمد علي، **مشهد الإمام**، الجزء ٢، الصفحتان ١٧٩ و١٨٠؛ عباس القمي، **الكنى والألقاب**، الجزء ٢، الصفحة ٩٣.

ومن أعلام هذا البيت الشيخ «محمد علي بن محمد البلاغي» وهو صاحب مؤلفات كثيرة منها **شرح أصول الكافي** و**شرح الإرشاد** للعلامة «الحلي» وحواشي على **التهذيب** و**الاستبصار** وله حواش على **أصول المعالم** ومن تلاميذه الشيخ «أحمد بن محمد الأردبيلي» وتوفي الشيخ «محمد علي البلاغي» في شوال من سنة ١٠٠٠هـ-١٥٩١م[١] وعلى العموم فإن أجداد الشيخ «البلاغي» كلهم كانوا من أهل العلم والفضل[٢].

ثانيًا: ولادته

ولد الشيخ «محمد جواد» في النجف عام ١٢٨٢هـ-١٨٦٥م، كما ينقل عنه ذلك المحقق آغا بزرك الطهراني حيث يقول: «ولد كما حدثني في النجف عام ١٢٨٢هـ-١٨٦٥م ونشأ بها»[٣] بينما ينقل بعضهم أنّ مولده كان في عام ١٢٨٥هـ-١٨٦٨م[٤] وآخرون يرون ولادته في عام ١٢٨٠هـ-١٨٦٣م[٥]، والراجح أنه ولد عام ١٢٨٢هـ-١٨٦٥م وذلك

---

(١) عباس القمي، **الكنى والألقاب**، الجزء ٢، الصفحة ٩٣؛ آغا بزرك الطهراني، **نقباء البشر**، الجزء ١، الصفحة ٣٢٣؛ محمد علي، **مشهد الإمام**، الجزء ٢، الصفحة ١٧٨.

(٢) رضا أستاذي، «جوانب من حياة المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي»، مجلة **دراسات وبحوث**، العدد **السابع**، السنة الثانية، ١٤٠٣هـ، الصفحة ١٢٩.

(٣) **موسوعة العلامة البلاغي**، المدخل، حياة العلامة، الصفحة ٩٣؛ محمد السماوي، **الطليعة من شعراء الشيعة**، الجزء ١، الصفحة ١٩٥؛ شهاب الدين المرعشي النجفي، **وسيلة المعاد في مناقب شيخنا الأستاذ**، الصفحة ٤١٣.

(٤) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، الجزء ٦، الصفحة ٣٥٦.

(٥) محمد هادي الأميني، **معجم رجال الفكر والأدب في النجف**، الجزء ٢، الصفحة ٢٥٢.

بسبب أن هذا التاريخ قد سمع منه شخصيًا، إذ سمعه الشيخ الطهراني من العلامة البلاغي مباشرةً، وهو أعرف بتاريخ ولادته من غيره[١]، وأما تاريخ وفاته فإنّ من المتفق عليه عند جميع المؤرخين أنّ عمر العلامة «البلاغي» عندما توفي كان ٧٠ سنةً[٢].

ثالثًا: نشأته ورحلاته العلمية

نشأ الإمام «البلاغي» في بيت من أرفع بيوت الدين والفضيلة والتقوى، والعلم والأدب والنجابة، فقد أخرج بيتهم كثيرًا من العلماء، وآباؤه المذكورون في سلسلة نسبه جلهم من أهل العلم والفضل والخدمة في الدين، فهو وليد سلسلة من العلماء الأتقياء، تربى على أسس التربية الإسلامية الرفيعة وترعرع على حب المكارم والفضائل، مما له الأثر البالغ في بناء مقومات شخصيته الفريدة[٣].

فما أن أتم دراسته التمهيدية في النجف الأشرف حتى شد رحال الهجرة في طلب العلم، ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمره الشريف، قصد الكاظمية، وذلك سنة (١٣٠٦هـ) فارتوى من معين

---

(١) **موسوعة العلامة البلاغي**، المدخل، حياة العلامة، الصفحة ٩٤؛ ثائر عباس هويدي، **منهج الشيخ البلاغي في نقد الفكر الديني اليهودي**، الصفحة ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٩٤؛ محمد السماوي، **الطليعة من شعراء الشيعة**، الجزء ١، الصفحة ١٩٥؛ جعفر محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، الجزء ٢، الصفحة ٦٢؛ شهاب الدين المرعشي النجفي، **الإجازة الكبيرة**، الصفحات من ١٦٠ إلى ١٩٨.

(٣) علي رمضان الأوسي، **البلاغي مفسرًا**، الصفحة ٤٣؛ علي الأوسي، «معالم المشروع الاصطلاحي عند الشيخ البلاغي»، مجلة **قضايا إسلامية**، العدد **الخامس**، الصفحة ٤٤٠.

الأفاضل المعروفين آنذاك منتهيًا من مرحلة المقدمات، وقفل إلى النجف الأشرف بعد أن طوى ست سنوات في رحلته الأولى، وذلك سنة (١٣١٢هـ)، فواظب على حضور دروس أساطين الاجتهاد، والعلم، والتقوى الذين كانت تحفل بهم حاضرة العلم - النجف الأشرف - أمثال الشيخ «ملا كاظم الخراساني»، والشيخ «محمد طه نجف»، والشيخ «آغا رضا الهمداني» وغيرهم، كما عكف بنفسه على دراسة اللغة الفارسية والإنكليزية وتعلمهما وبعض العلوم الحديثة[١].

وهاجر ثانيةً طلبًا للعلم إلى سامراء، وذلك سنة ١٣٢٦هـ، مجاورًا الإمامَين علي الهادي والحسن العسكري عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وتتلمذ هناك على الميرزا «محمد تقي الشيرازي» القائد الروحي لثورة الشعب العراقي الكبرى عام ١٩٢٠م، وكان حريصًا على حضور دروسه مدة عشر سنوات، مؤلفًا بعض مصنفاته مثل: كتاب **داعي الإسلام وداعي النصارى** وكتاب **الرد على جرجيس سايل وهاشم العربي**، باذلًا أقصى الجهود لتعلم اللغة العبرية التي يترتب عليها فهم كتب العهدَين، ومن ثم الدفاع عن شريعة الدين الحنيف وعقيدة التوحيد[٢].

وفي أحداث الاحتلال الإنكليزي لأرض العراق، قصد الإمام «البلاغي» الكاظمية مجاورًا الإمامَين موسى الكاظم ومحمد الجواد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وذلك قبل أحداث ثورة الشعب العراقي الكبرى ضد المحتل سنة ١٩٢٠م فمارس عمله الجهادي في قيادة الحركة الإسلامية الجهادية جنبًا إلى جنب مع الإمام الشيخ «مهدي

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٣ و٤٤.

الخالصي» المتوفى سنة ١٣٤٣هـ، مشاركًا في الدعاية للثورة ومساندًا لإعلامها، ومحرضًا على طلب الاستقلال، وقد حضر خلال السنتَين اللتَين قضاهما في الكاظمية دروس العلامة السيد «حسن الصدر» والإمام «الخالصي»[١].

وبعد سني الهجرة عاد الشيخ «البلاغي» إلى موطنه النجف الأشرف، متصديًا للاجتهاد، ومنهمكًا في التأليف، والدرس، ومواصلة البحث، وإلقاء الدروس، والتفسير، وتحرير الأجوبة على المسائل العويصة والمشاكل المعضلة التي ترده من أنحاء العراق وسائر ديار الإسلام[٢].

وابتلي الإمام «البلاغي» في أواخر عمره الشريف بمرض السل الرئوي الذي أنهك قواه وبدد صحته، وبمرض ذات الجنب الذي أَودى بحياته في آخر المطاف، وقد وصف حاله في رسالته إلى السيد «محسن الأمين العاملي» المؤرخة في ٢٨ محرم سنة ١٣٥٢هـ بقوله: «والذي يعيقني عن سرعة السير في التفسير - يعني **الآء الرحمن** - هو ضعف مزاجي بشدة، وكثرة الأَمراض مع انفرادي بتتبع حديث العامة، والتسويد والتبييض والتصحيح، وكتابة المكاتيب ومباشرتي أمور العيش، ذكرت ذلك رجاءً لإمدادي بالدعاء»[٣].

رابعًا: وفاته

أجمع المترجمون للإمام «البلاغي» على أنّ وفاته كانت في يوم

---

(١) علي رمضان الأوسي، **البلاغي مفسرًا**، الصفحة ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٤.

(٣) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، الجزء ٤، الصفحة ٢٦١.

الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٢هـ-١٩٣٥م في النجف الأشرف، وكان قد ابتلي بداء السل، لكنه مات متأثرًا بمرض ذات الجنب «وجيئ بجثمانه الطاهر إلى الصحن الغروي وصُلي عليه، وجددوا به عهدًا بمرقد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودفن في الحجرة الثالثة من الصحن، من الربع الجنوبي الغربي»[١].

وكان يوم وفاته يومًا مشهودًا في النجف الأشرف حيث سار في تشييع جثمانه الطاهر آلاف الناس على اختلاف طبقاتهم، ومراتبهم يتقدمهم عظماء المجتهدين، وأهل الفضل والدين، وطلاب العلوم الدينية، وبكته سائر ديار الإسلام، وأقيمت له المآتم ومراسم التأبين في العراق وسائر الدول العربية والإسلامية[٢].

---

(١) **محمد حرز الدين، معارف الرجال**، الجزء ١، الصفحة ٢٠٠.

(٢) **علي رمضان الأوسي، البلاغي مفسرًا**، الصفحتان ٦٠ و٦١.



الفصل الأول

التوحيد والعدل في فكر البلاغي

وتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: أدلة وجود الله وتوحيده.

المبحث الثاني: التوحيد في الذات.

المبحث الثالث: التوحيد في الصفات.

المبحث الرابع: التوحيد في الخالقية.

المبحث الخامس: العدل الإلهي.

المبحث الأول:

أدلة وجود اللّه وتوحيده

وجـدت قبل الإسـلام فئـات كثيـرة تنكر وجـود اللّه (كالدهرية) الذين أنكروا البعـث واليوم الآخر، وأنكروا الخلق ووجـود الخالق. قـال تعالـى: ﴿وَقَالُوٓاْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾[1].

وهناك فئات تأثرت من حيـث تنكرها للّه تعالى، وهـؤلاء الضالـون أنكـروه مدعيـن حرية العقـل، لأنّ الحواس لم تدركه، والغيـب لا يعول عليه في إثبات وجوده، فوقف الفقهـاء وعلماء الكلام موقفًـا مناهضًا لأولئك، وقدمـوا البراهين والأدلة لدفع شـبهاتهم وأضاليلهم، ولكن قبـل أن نذكر أدلة علماء المسـلمين لا بد من أن نذكر أولًا أدلة **القرآن الكريـم** الحافل بالكثير من الآيات الكريمة التي تدعو الإنسـان بأن يوجه نظره إلى خالق هذا الكون بما فيه من عجائب مخلوقات اللّه سـبحانه، وأنّ الاسـتدلال بالآيات القرآنية على وجـود اللّه هي أدلة على المقصود من غيرها، لأنها أدلة عقلية صحيحة[2] وشـرعية دلّ عليها القرآن الكريم. وهذه الآيات إما تتعلق بالكون وما فيه من مخلوقات، أو ما يسـمى بدلائل

---

(١) سورة **الجاثية**، الآية ٢٤.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، الصفحة ١٩٨.

الآفاق، وإمّا تتعلق بالإنسان نفسه، أو ما يسمى بدلائل الأنفس.

وقد ذكرها اللّه سبحانه في كتابه العزيز في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2].

١. دلائل الآفاق

دلائل الآفاق «تعني أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال، والبحار وغير ذلك»[3].

وأنّ القرآن الكريم يتناول كل محسوس يراه الإنسان حوله وينبهه على التفكير فيه بدقة واستنتاج النتائج[4].

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

إنّ هذه الآية الشريفة هي وحدها مشتملة على سبع آيات من

---

(١) سورة **فصلت**، الآية ٥٣.

(٢) سورة **الذاريات**، الآيتان ٢٠ و٢١.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ٤، الصفحة ٥٢٣.

(٤) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد في الإسلام**، الجزء ١، الصفحة ١٢٥.

(٥) سورة **البقرة**، الآيتان ١٦٣ و١٦٤.

آيـات اللّه العجيبـة ومخلوقاته الغريبة التي تـدل على وجود خالق لها ومدبر في إحداثها وسـبب لدوامهـا[١]. وأنّ اللّه جلّ وعلا، لمّا ذكر التوحيد لقولـه ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ عقب ذلك بالدليل الدال عليه، وهو هـذه الأمور التي هي من أعظم صنعـة الصانع الحكيم، مع علـم كل عاقل بأنه لا يتهيـأ لأحد من الآلهة التـي ذكرها الكفار أن يأتي بأي شـيء منهـا أو يقدر عليه، أو علـى بعضه، وهي خلق السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وجري الفلك في البحر، وإنـزال المطر من السـماء، وإحيـاء الأرض به، وبث الـدواب منها بسـببه، وتصريف الرياح، فإنّ من أمعن نظره، وأعمل فكره في واحد منهـا انبهر له، وضاق ذهنه عن تصور حقيقته، وتحتم عليه التصديق بأن صانعه هـو اللّه جلّ جلاله[٢] ومثل هذه الآيـة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

إنّ هذه الآيات المذكورة هي حجـج اللّه وبراهينه والآيات التي تتحدث عن الكون أكثر من أن تحصى، لأن اللّه سبحانه بث في كتابه العزيز دلائل وجوده في كل شـيء من الكـون فكلما تأمل أصحاب الفكـر والعقل في هـذا الكون الكبيـر، وتأملوا ما فيه من تناسـق وانسجام وترابط بين أجزائه ووحداته، تجدد لهم شيء جديد وبرهان

---

(١) علي الحسيني الصدر، **العقائد الحقة**، الصفحتان ٢٧ و٢٨.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ١، الصفحة ١٦٣.

(٣) سورة **الجاثية**، الآيات من ٣ إلى ٦.

جديد على هذا الكون، وهذا يشير إلى عظمة الخالق سبحانه[1].

وكذلك قد بين سبحانه في كتابه العزيز اختلاف النبات في الطعم على الرغم من اتحاد التربة والماء في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

إنّ في هذه الآية من الأدلة على بديع صنعه، وعظيم قدرته، ما لا يخفى على من له عقل، فإنّ القطع المتجاورة، والجنات المتلاحقة المشتملة على أنواع النبات، مع كونها تسقى بماء واحد وتتفاضل في الثمرات في الأكل فيكون طعم بعضها حلوًا، والآخر حامضًا، وهذا في غاية الجودة، وهذا ليس بجديد، وهذا فائق في حسنه، وهذا غير فائق، مما يقع من تفكر، واعتبر ونظر العقلاء أنّ السبب المقتضي لاختلافها ليس إلا قدرة الصانع الحكيم جلّ جلاله وتعالى شأنه، لأنّ تأثير الاختلاف فيما يخرج منها، يحصل من ثمراتها، لا يكون في نظر العقلاء إلا لسببَين: إما اختلاف المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تسقى به واحدًا لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة، والصنع العجيب ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] أي يعملون على قضية العقل، وما يوجبه، غير مهملين لما يقتضيه من التفكر في المخلوقات، والاعتبار في العبر والموجودات[4].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ٥، الصفحة ٤.

(٢) سورة **الرعد**، الآية ٤.

(٣) سورة **الروم**، الآية ٢٤.

(٤) **محمد بن علي الشوكاني**، **فتح القدير**، الجزء ٣، الصفحة ٦٥.

٢. دلائل الأنفس

وأما دلالة الأنفس «فهي من أوضح الدلالات على وجود اللّه، لأنها تتعلّق بنفس الإنسان، وخلقه، وتكوين أعضائه، وما يعرض له في حياته من أحوال وأطوار، فإذا تفكر وتأمل الإنسان في هذه الأشياء تأملًا جيدًا يجد فيها من عجائب صنع اللّه وبدائع حكمته وبهذا التأمل والتفكر يعترف الإنسان بمدبر هذا الكون على عظمته وجلاله وقدرته»[١].

وعلى هذا نستدل بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[٢] وكذلك قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٤]. وفي بيان وجهة الاستدلال بهذه الآية: «أي وفي أنفسكم آيات تدل على توحيد اللّه، وصدق ما جاءت به الرسل، فأنه خلقهم نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم عظمًا، إلى أن ينفخ فيه الروح، ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوانهم وطبائعهم وألسنتهم، خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن، من لحم ودم، وأعضاء، وحواس، ومجاري، ومنافس»[٥].

ومن الملاحظ أنّ القرآن الكريم أشار إلى أطوار النطفة وتقلبها طبقًا بعد طبق، حتى صار إنسانًا كاملًا، على وجود اللّه تعالى

---

(١) عبد اللّه برك، **الشوكاني وجهوده في علم الكلام**، الصفحة ٩٨.
(٢) سورة **الطارق**، الآية ٥.
(٣) سورة **الروم**، الآية ٢٠.
(٤) سورة **الذاريات**، الآية ٢١.
(٥) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ٥، الصفحة ٨٥.

ووحدانيته وصدق ما جاءت به رسله، ومعنى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أفلا تنظرون بعين البصيرة، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المتفرد بالألوهية، وإنه لا شريك له، ولا ضد، ولا ند[١].

ومن دلائل الأنفس هي مسألة اختلاف الناس، وتوارثهم في الصفات الكونية، من البياض والسواد، والحمرة، والصفرة، والزرقة، والخضرة، مع كونهم أولاد رجل واحد، وأم واحدة، ويجمعهم نوع واحد وهو الإنسانية، وفصل واحد هو الناطقية، حتى صاروا متميزين في ذات بينهم، لا يلتبس هذا بهذا، بل في كل فرد من أفرادهم ما يميزه من غيره من الأفراد، وفي هذا بديع القدرة ما لا يعقله إلا العالمون، ولا يفهمه إلا المتفكرون[٢].

ومن خلال هذه الآية نرى أنّ القرآن الكريم في تصويره هذا يدعو الإنسان إلى التفكير: هل يمكن أن تعقل كل هذه التحولات العجيبة المدهشة مع تصور عدم الخالق؟ أو أنّ هذه الظواهر تؤكد لزوم وجود هندسة دقيقة وقيادة صحيحة وإرادة عالمة وبرنامج معين، فهل يمكن أن تتعهد هذه الخلايا بوظائفها وتؤديها بكل دقة ونظام من دون إرادة مدبر عالِم حكيم، ثم يتبلور هذا العالَم بهذه الكيفية الموجودة؟ ويجيب القرآن على هذا التساؤل فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[٣]. فهو الخالق للأجزاء الأصلية وهو الباريء لأجزاء كل عضو وهو المصور للصور المختلفة[٤].

إنّ الإيمان بوجود اللّه تعالى هو عمود مسائل العقيدة وأساس

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٤، الصفحتان ٢١٩ و٢٢٠.

(٣) سورة **الحشر**، الآية ٢٤.

(٤) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد**، الجزء ١، الصفحتان ١٢٤ و١٢٥.

كل اعتقاد وعنه تتفرع بقية الأمور الاعتقادية[1]، وعلى ذلك يقول الإمام الأشعري (٣٢٤هـ): «إن سأل سائل ما الدليل على أنّ للخلق صانعًا صنعه ومدبرًا دبره قيل الدليل أنّ الإنسان كان نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم لحمًا، وعظمًا، ودمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال لأنه في كمال قوته لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعًا ولا بصرًا يدل ذلك على أنه في حال ضعفه عند فعل ذلك أعجز. ورأيناه طفلًا ثم شابًا ثم كهلًا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال وأنّ له ناقلًا من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه لأنه لا يجوز انتقال من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر ومما بين ذلك أنّ القطن لا يجوز أن يتحول غزلًا مفتولًا ثم ثوبًا منسوجًا بغير ناسج ولا صانع ولا مدبر»[2].

وأنّ الدليل الذي ذكره الأشعري على وجود اللّه تعالى المستفاد من القرآن الكريم يدل على أنّ الأشعري كان بمعزل عن الحركة الفلسفية التي بدأها الكندي، ومن جهة أخرى يقال أن الأشعري لم يكن بعيدًا عن الحركة الفلسفية، وكيف يكون ذلك، وهو المعتزلي سابقًا والعارف بالفلسفة، إنما أراد الأشعري باعتماد القرآن في إثبات وجود اللّه أو غير ذلك في المسائل دون الفلسفة، أن يبعد الأنظار عن وجود أي صلة ما زالت تجمع بينه وبين المعتزلة الذين خرج منهم والذين اعتمدوا الجانب العقلي في تفسير المسائل[3].

---

(١) أحمد المشهداني، **آراء الإمام البيهقي في العقيدة**، الصفحة ٥٤؛ عبد العزيز حاجي، **تفسير آيات العقيدة**، الجزء ١، الصفحات من ٦٢ إلى ٦٤.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، الصفحة ١٥.

(٣) عبد الرحمن بدوي، **مذاهب الإسلاميين**، الجزء ١، الصفحة ٥٣٤؛ مؤيد الساعدي، **الوجود**، الصفحة ١٥٤.

أما «البيهقي» (ت ٤٥٨هـ) فقد اعتمد في إثبات وجود اللّه تعالى على الكون وما فيه من عجائب وغرائب تدلنا على أنّ لهذا الكون خالقًا موجودًا ومن هذه الأدلة، دليل الخلق والحدوث أو السببية، حيث يدور هذا الدليل على بديهة من بديهيات العقل وهي أنّ لكل أثر مؤثرًا، ولكل سبب مسببًا، وأنّ لكل مخلوق خالقًا أوجده من العدم. والكون حادث ودليل حدوثه أنه متغير وكل حادث لا بد له من محدث أوجده هو اللّه سبحانه. الذي يتأمل هذا الكون يرى فيه ظاهرة التغيير المستمر، وهذا يدلنا على أنّ هذا الكون حادث وليس أزليًا؛ لأنه لو كان أزليًا لاقتضت أزليته ثبات مادته وصوره وكيفياته ونحن نرى تغيرًا مستمرًا فيه، وانعدامًا للمواد والصور وتحولها من أوضاع إلى أوضاع أخرى وكل ذلك التغيير دليل على أنّ هذا الكون حادث وليس أزليًا، ومن ثم يحتاج إلى إله أحدثه وأخرجه من العدم إلى الوجود وهذا الإله هو اللّه الخالق العظيم[١].

كما استدل «البيهقي» بالقرآن الكريم لبيان حدوث العالم فقال: «ثم أنّ اللّه تعالى خصهم على النظر في ملكوت السماوات والأرض وغيرهما من خلقه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] يعني بالملكوت: الآيات يقول أولم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر حتى يستدلوا بكونها محلًا للحوادث والتغييرات على أنها محدثات، وأنّ المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه على هيأة لا يجوز عليه ما لا يجوز على المحدثات»[٣].

---

(١) حنبكة الميداني، **براهين وأدلة إيمانية**، الصفحة ١٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، الآية ١٨٥.

(٣) أحمد بن الحسين البيهقي، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب** =

وأما دليل الإمكان فيعتمد على أنّ الموجودات كان من الممكن أن تتخذ طابعًا وشكلًا آخر غير التي عليها الآن، فهناك احتمالات لا حصر لها في دائرة الممكنات يجوّز العقل أن تتحول إلى واحدة منها. فمن الذي خصص هذه الممكنات بهذا الشكل والوصف المعين دون غيره، ولا يجوز أن يكون المخصِّص من جنس هذه الممكنات لأنه يحتاج إلى مخصِّص آخر، وهكذا فيلزم التسلسل وهو محال، أو المخصِّص السابق هو من خصص اللاحق فيلزم الدور وهو محال أيضًا، فلا بد من مخصص واجب الوجود ولا يقبل التخصيص وهو اللّه جلّ وعلا، وهذا الدليل يسمى بدليل إمكان الإعراض.

وأمّا الإمام «الغزّالي» (ت ٥٠٥هـ) فقد استدل على إثبات وجود اللّه تعالى بقوله: «إنّا نقول كل حادِث فلحدوثه سبب، والعالم حادِث فيلزم منه أنّ له سببًا»[١]. ويقول «الغزّالي» أيضًا: «إنّ هذا الأصل يجب الإقرار به، فإنه أوّلي ضروري في العقل، ومن يتوقف فيه فإنما يتوقف لأنه ربما لا ينكشف له ما نريده بلفظ الحادث، ولفظ السبب، وإذا فهمهما صدق عقله بالضرورة أنّ لكل حادث سببًا، فإنا نعني بالحادث ما كان معدومًا ثم صار موجودًا»[٢].

ويرى «الغزّالي» أنّ استحالة قِدَم العالم على أساس اختلاف دورات الفلك هو كونها إما شفع وإما وتر، فإذا توهمت حركتان ذواتا أدوار بين طرفَي زمان واحد، ثم توهم حدًا محصورًا من كل واحد منهما بين طرفَي زمان واحد، فإنّ نسبة الجزء من الجزء هي

= **السلف وأصحاب الحديث**، الصفحات من ١٢٠ إلى ١٢٣.

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، الصفحة ١٩.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ١٩.

نسبة الكل من الكل[١].

وأمـا «ابن حزم» (ت ٥٤٨هـ) فقد ضـرب مثلًا على مقدورات اللّه سبحانه، فإنّها غير متناهية، فلو سـأل سائل: هل يستطيع اللّه تعالى أن يحقق في هـذا الآن كل مقدوراته؟ فـإن أجيب: أن نعم، فمعنى هذا أنّ مقدوراتـه التي فرضت غير متناهية، وإذا كان عاجزًا أصبحت متناهيةً، ولم يعد ثمة مقـدورات جديدة، فعليه أنّ معنى – أنّ مقـدورات اللّه غيـر متناهية – هي أنها بالقـوة غير متناهية، أي كلمـا فرضنا أنّ جـزءًا منها تحقق، ظل هنـاك مقدورات أخرى سـتتحقق في المسـتقبل دائمًا، وكل ما يتحقق من مقدورات اللّه فيوجد نسميها متناهيةً، إننا حين نتعامل مع اللامتناهي لا يمكن أن نشير إلا إلى أجزاء منه محددة بزمان ومكان وعدد، أما ما يفضل من الطرفَين فلا حصر له، لا في الماضي ولا في المسـتقبل، لأننا حالما نحصره نضعه متناهيًا[٢].

وقد أضاف «الشهرسـتاني» (ت ٥٤٨هـ) على رأي «الأشعري» حيث قـال: «وربما سـلك أبو الحسـن طريقًا فـي إثبات حدوث الإنسـان وتكونه من نطفة أمشـاج وتقلبه في أطـوار الخليقة وأكوار الفطرة، ولسنا نشك في أنه ما غيّر ذاته، ولا بدّل صفاته، ولا الأبوان، ولا الطبيعـة فيتعين احتياجه إلـى صانع قديم قادر عليـه»[٣]. وأنّ

---

(١) أبو الوليد القرطبي، **ما بعد الطبيعة**، الجزء ٣، الصفحة ١٤٩٠؛ حامد الجميلي، **الإمام الغزالي وآراؤه الكلامية**، الصفحة ١٣٣.

(٢) ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الجزء ٢، الصفحة ١٩٣، والجزء ٤، الصفحتان ٨٤ و٨٥.

(٣) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، الصفحة ١٢.

«الأشعري» اعتمد في دليله المذكور على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

ويقول الإمام «الجرجاني» (ت ٨١٦هـ): «المقصد الأول في إثبات الصانع الاستدلال بإمكان الأعراض مقيسةً إلى محلها كما استدل به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، أي أعطى صورته الخاصة وشكله المعين المطابقَين للحكمة والمنفعة المنوطة به، وهو أنّ الأجسام متماثلة متفقة الحقيقة لتركبها من الجواهر المتجانسة على ما عرفت فاختصاص كل من الأجسام بما له من الصفات جائز فلا بد في التخصيص من مخصِّص له»[3].

وقد استدل الإمام «البيهقي» بهذا الدليل على وجود اللّه تعالى فقال: «وكذلك وجود بعضه (أي المحدث) على بعض الهيئات المخصوصة يدل على جاعل خصه بذلك لولاه لم يكن بعض الهيئات بأولى من بعض الآخر»[4].

«الشوكاني» (ت ١٢٥٠هـ) اعتبر أنّ الإيمان بوجود اللّه أمر بديهي فطري لا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان. فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجود اللّه تعالى، والإيمان مغروس في شعور

---

(١) سورة **المؤمنون**، الآيات من ١٢ إلى ١٤.

(٢) سورة **طه**، الآية ٥٠.

(٣) علي بن محمد الجرجاني، **شرح المواقف**، الجزء ٨، الصفحة ١٨٠.

(٤) أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، الجزء ١، الصفحة ١٢٧.

كل إنسان عاقل مفكر، وهذا الشعور الفطري دليل من الأدلة الصادقة على وجود الخالق سبحانه، ويقول: «كلّ فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريَّين، وإنّما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيان، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين، وهو الحق والقول بأن المراد بالفطرة هنا الإسلام وهو مذهب جمهور السلف»[1].

واستدل الشوكاني بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. على أنّ التوحيد أمر فطري في الإنسان، ورجح القول بحمل الناس في الآية على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم، وأنهم جميعًا على الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها، ولا تبديل لها من جهة الخالق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ﴾[3].

وخلاصة القول: أن المؤثر الحقيقي في كل شيء هو اللّه تعالى والعلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة جعلية وليس علاقةً ذاتيةً بمعنى أنّ اللّه جعل هذه الأسباب علامةً على المسببات لأنها تؤثر بذاتها في المسببات وهذا هو اعتقاد جمهور أهل السنة والجماعة وعلى رأسهم «الأشعري»، وقد دل عليه القرآن والسنة خلافًا للفلاسفة[4].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ٤، الصفحة ٢٢٤.

(٢) سورة **الروم**، الآية ٣٠.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، الجزء ٤، الصفحة ٢٢٤.

(٤) العز بن عبد السلام، **الملحة في اعتقاد أهل الحق**، الصفحتان ٢٤ و٢٥؛ محمد سعيد رمضان البوطي، **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، =

٣. أدلة وجود الله عند الشيخ البلاغي

وأما الشيخ البلاغي فله عدة أدلة على وجود اللّه وتوحيده، حيث إنّ الأصل الأول الذي يبتني عليه الإسلام هو تمحيص التوحيد؛ فالأديان السماوية كلها أنزلها رب العزة، تسعى جاهدةً لنسف الوثنية والقضاء على الشرك، وتنزيه الخالق العظيم سبحانه، من كل صفات النقص والحدوث والإمكان، ما لم يتمحض التوحيد عقيدةً في نفوس الناس فلا أرضية مناسبةً لقبول التعاليم الدينية. لذا يؤكد الوحي الخالد على تأسيس التوحيد عقيدةً في نفوس المخاطبين، ولذلك فإن من المسائل التي يحتاجها الإنسان في بناء عقيدة توحيدية خالصة قد وضع عليها الشيخ «البلاغي» رأيه[١].

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[٢] يشير الشيخ «البلاغي» إلى أنها هي كلمة التوحيد، توحيد الإله، الكلمة التي تلهج بها ألسنتنا وألسنتكم وكتبنا وكتبكم. فكانت هذه الكلمة في مبدأ التعليم وأساس الديانة وصراحة الكتب، سواءً بيننا وبينكم. فلماذا تحيدون عن ذلك، وتهدمون أساس التوحيد، وتشوهون التعليم الحقيقي؟ بل تعالوا إلى التمسك بحقيقة كلمة التوحيد و «ألا نعبد إلا اللّه» الذي نعرف إلهيته ونعترف بوحدانيته، فلا ندعو معه إلهًا آخر، ولا ربًا آخر «ولا نشرك به شيئًا» كما ذكر في فلتات كتبكم: التوراة الرائجة، والكتاب المنسوب إلى إشعياء، والأناجيل الرائجة، والرسائل المنسوبة إلى بولس.

= الصفحات من ١٧٣ إلى ١٨٩.

(١) علي رمضان الألوسي، **البلاغي مفسرًا**، الصفحة ٢٣٩.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية ٦٤.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا﴾[١] من البشر أربابًا من دون اللّه الذي نعترف بإلهيته وقدسه، فلا نجري على تحريف الأناجيل وتعليمها بتعدد الأرباب، واتخاذ البشر ربًا من دون اللّه الذي خلقه، فإن اتخاذ البشر ربًا يرجع في الحقيقة إلى الجحود لشرف الإلهية وجلال اللّه في حقيقة الربوبية. وقوله «فإن تولوا» ولم يأخذوا بحظهم من الهدى والرشد والسلامة من التناقض، ولم يقبلوا النصيحة، ولم يصغوا إلى الحجة القاطعة «فقولوا» لهم في مقام الأعذار والتوبيخ: «اشهدوا بأنا مسلمون» للّه ربنا بحقيقة توحيده متمسكون بكلمة الإخلاص في عبادته كما نعترف لجلاله بالتوحيد، فلا نتقهقر عن ذلك ولا نخادع عقولنا[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[٣]. وهذه الآية تشير إلى البشر المخلوق الذي تعرفون أنه رهينة الضعف والآلام وفقر البشرية، ولا ترفعوه إلى درجة الإلهية والربوبية. وكيف تتجاوزون بالمخلوق البشر الفقير، وتتعدون به عن حدود المعلومة إلى حدود الإلهية المقدسة عن كل ضعف وفقر، والمتعالية بكل جلال وكمال وعظمة. وأنكم لتعترفون بهذا المقام – الإلهية – الشامخ، وتعرفون ضعف البشرية وفقرها،

---

(١) سورة **آل عمران**، الآية ٦٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٦٥.

(٣) سورة **النساء**، الآية ١٧١.

فكيف انخدعتم وتناقضت آراؤكم، فغاليتم بالبشر واجترأتم على جلال المقام الإلهي وعظمة اللّه، الذي تعترفون بجلاله ووحدانيته وقدسه؟ فراجعوا رشدكم، واستقيموا في شعوركم، ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ الذي يليق بجلال الإلهية ووحدانية الإله، ولا تجعلوه والدًا، ولا تجعلوا له مولودًا. كيف يلد الإله؟ وكيف يكون المسيح ولدًا له؟ وكيف تفرضون هذه الولادة الموهومة التي تخصون بها المسيح وتألهونه بها؟ ليس اللّه مركبًا مقداريًا ينفصل منه جزء، ويتجزأ منه شيء، وينبثق منه منبثق، تعالى اللّه عن ذلك «إنما المسيح عيسى ابن مريم» البشر الخاضع بضعف البشرية كما تعلمون «رسول اللّه» أكرمه بالرسالة وشرفه بمقامها[1].

ويوضح البلاغي «كرامات اللّه سبحانه حيث أنها من نعمه، كما تشهد أناجيلكم الرائجة باعتراف المسيح للّه بالفضل والمنة عليه، كما أكرم موسى، وإيليا، واليشع، حسبما تذكر كتبكم. وإن سمعتم بولادته من غير فحل، فخلق اللّه لآدم أعجب من ذلك، بل أنه خليقة اللّه «وكلمته» كلمة القدرة التكوينية، وهي قول اللّه سبحانه بأمر قدرته: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] كما يذكر أول التوراة في خلق السماوات والأرض والنور وآدم: إن اللّه تقدس اسمه يقول بقدرته: «ليكن كذا» فيكون المخلوق بعد عدمه. وهذه كلمة القدرة والتكوين البديع «ألقاها إلى مريم» وأجراها في آلات تناسلها، فالمسيح أثر كلمة القدرة وصنيعة تكوين اللّه «وروح» موهوبة «منه» ومحبوّة بلطفه ومكونة بخلقه «فآمنوا

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٣٦٥ و٣٦٦.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١١٧.

باللّه ورسـله» بالثبات على حقيقة التوحيد، والحذر من مخادعات الهوى والشيطان ومخالسات الشرك، وبتصديق رسله فيما يجيئون به من دين الحق وحقيقة التوحيد المؤيد بدلائل المعجزات»[١].

ويبين الشـيخ «البلاغي» قوله تعالـى ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾: «أي المسيح حينما تقولون وتعترفون - كما تصرح به كتبكم - من أن اللّه سبحانه إله واحد وكيف تقولون: أنه ذو أقانيم ثلاثة؛ الابن على الأرض بشـر يتألم ويموت، والروح القدس ينزل بشكل حمامة وينقسم على التلاميذ كألسـنة نار، والأب يبقى في السـماء؟ ما هذه الكلمات؟ لماذا توقعون أنفسكم في التناقض بتوحيد اللّه وتثليثه؟ كيف يكون الواحد الحقيقـي ثلاثةً؟ وكيف يكون الثلاثة واحـدًا حقيقيًا؟ وكيف يتعدد واجب الوجود؟ أم كيف يتجسد؟ أم كيف يلد؟ أم كيف يولد؟ انتهوا عن هذه التناقضات والمستحيلات، فإن الانتهاء خير لكم في دينكم وشرف شـعوركم. فإنكم محجوجون بكتبكم واعترافاتكم «إنما اللّه إلـه واحد» كما تعترفون به وتلهج به كتبكم التي تقدسـونها. ولا سـبيل إلى جحود الوحدانية، فإن جحودها يرجع إلى جحود وجوب الوجود وجحوده يرجع إلى جحود الإلهية»[٢].

ويذكر الشـيخ «البلاغي» أنّ الاعتراف للإلـه - الذي هو العلة الأولى للكائنات - بأنه واجب الوجود، ولا يمكن أن يكون متجزئًا، ولا مركبًا، لا في الماهية ولا فـي الوجود ولا في المقدار، فكيف يتعدد

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٣٦٦ و٣٦٧.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٦٧؛ **موسوعة العلامة البلاغي**، أعاجيب الأكاذيب، الجزء ٦، الصفحة ٨.

الإله؟ ولأجل شـرح الكلام وتوضيح البيان وتتبع الأوهام في متاهاتها نقـول: إنّ تعدد الإله لا بد فيه بعد الإشـراك فـي الإلهية أن يمتاز كل واحد بمميز له عن الشـريك الآخر، بحيث يتحقق التعدد ويصح الحكم به[1].

وفي رسـالة التوحيد والتثليث التي رد فيها الشيخ «البلاغي» على شخص راسـله ولم يذكر اسـمه حيث أجابه الشيخ «البلاغي» قائـلًا: «وأما قولـك: بل إذا نظـرت إلى ولادته المقدسـة من روح القدس لم تشـك بألوهيته، حيث لم يشـارك البشر في التولد من فحل بشـري، وهذه حجة ما فوقها حجّة، وآية ما بعدها آية، فنقول فيه: أنّ الاحتجاج على ألوهية المسـيح بولادته المقدسة إنّما هو من غرائب الأوهام. أمّا أولًا: فـإنّ من عرفنا الإله ووجوب وجوده وأزليته وكماله ليسـفه القول بألوهية مـن حدث بالولادة كيـف ما كانت، كيف لا؟ وهـي دليل النقص والحدوث والإمكان؛ وأما ثانيًا: فإنّ آدم المتكـون بلا ولادة أولى بهذا الوصف من المسـيح، لو كان معقولًا؛ وأما ثالثًا: فإن هذه الولادة قد تنازع فيها الإمكان والعادة، ولم يسمح لنا التثبت فـي الحقائق أن نعتمد على مجرد الإمـكان، ولم يترجح عندنا جانـب الإمكان بدعـاوى أمثالك، أو أقـوال كتبك التي هي بنفسـها لم تدع مسـاغًا للركون إليها، بل اعتمدنا في هذه الحقيقة على الوحي الصادق، وهو أشـد المقاومين لدعوى ألوهية المسيح والمكفر لمدعيها، فكأنك سمعت بأنا نعترف بقدس ولادة المسيح، فحسـبت أنا اعتمدنا فيها على مجامعكـم، أو منّتك أوهامك بأن

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٥٥.

تخادعنا فلم تخدع إلا نفسك»[1].

وقد أجاب الشيخ «البلاغي» عن رسالة بعثها إليه الحاج «عباس قلي الواعظ الجرندابي» في سنة ١٣٤٧هـ، تحتوي على أسئلة علمية، وقد طبعت في مجلة **العرفان**[2] سنة ١٣٦٧هـ، و١٣٦٨هـ. أي بعد وفاة «البلاغي» بخمس عشرة سنةً، وطبعت ترجمتها في مجلة **دعوة إسلامي** في سنة ١٣٤٨هـ في سنتها الثالثة، ومن هذه الأسئلة، ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3].

فأجاب الشيخ «البلاغي» عن هذا السؤال حيث قال: «اقتضت الحكمة الإلهية أنّ اللّه الهادي الحكيم أراد بلطفه أن يهدي إلى معرفته، فأجرى إيجاده لنوع الموجودات العالمية وشؤونها على قوانين التسبيب، لكي تشرق بالدلالة على علم الموجد الصانع وحكمته، وهو الموجد والمدبر والحافظ للأسباب المنتظمة على القوانين ولتسبيباتها ومسبباتها، وهو المؤثر في وجودها وبقائها وجميع شؤونها، فلا وجود ولا بقاء ولا تأثير لها إلا به ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4] ويقوم بشؤونه ويمده بتأثيره في حاجة الإمكان الذاتي. إذًا فلا محل للشبهة إذا قلنا: إنّ اللّه العليم القدير قد قرر في نظام العالم أنه يتوفى الأنفس ويأخذها من البدن عند الموت أو النوم على قانون للأسباب، التي جعلها وجعل تسبيبها وحفظ لها

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، التوحيد والتثليث، الجزء ٦، الصفحة ٤٥.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، رسائل متفرقة، الجزء ٨، الصفحة ١٩.

(٣) سورة **الزمر**، الآية ٤٢.

(٤) سورة **سبأ**، الآية ٤٧.

بقاءها وتسـببيها وبقائه بمشـيئته، وأجرى على ذلك شؤون العالم بحكمته»[١].

وكما نرى مـن كلام الشـيخ «البلاغي» أنـه لا يخفى على ذي شـعور أنّ كل موجود يكون وضعـه وأوضاع أجزائـه وتركيبه وترتيبه ونظمه مرتبطةً بالفوائد والمقاصد والغايات، فإن هذا الارتباط الذي يعرف منه يكون دليلًا علـى أنّ ذلك الموجود مزاياه الخاصة هو من إيجاد عالِم بفوائـده متصور لغاياته؛ ولأجل تلـك الفوائد والغايات أوجد بإرادته وقدرته ذلـك الموجود، وكلما ازدادت المعرفة بارتباط ذلك الموجود بالغايات - باعتبار وضعه وأجزائه وشـؤونه وشـرف غاياتـه وفوائده - ازداد العلـم قوةً بأن صانعه عالـم بفوائده، وقد صنعه لأجلها إلـى أن يبلغ العلم أعلى مراتـب اليقين. ويزيد ذلك بيانًـا ووضوحًا إذا تعددت أمثال ذلك الموجـود وأفراد نوعه، وهي جارية علـى ذلك التركيـب والترتيب، والوضـع، والمزايا المرتبطة بالغايات على قانون واحد[٢].

وكذلك أعطى الشيخ البلاغي فرضيةً وهي أنّه لو كان ما وجدوه في الحفريـات من الآلات والصور الحجرية مـن كل نوع فردًا واحدًا لما بلغ اليقين بأنها صنع إنسـان عالم بصنعها لأجل غاياتها، كما بلغ مـن القوة حينما وجدوا مـن كل نوع أفرادًا كثيـرةً، كلها جارية على ما وصفناه من الارتبـاط بالغايات على قانون واحـد. ويزداد الحال وضوحًا وبداهـةً إذا تتابعت في الأزمنة أفراد النـوع بالوجود تتابعًا

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، رسائل متفرقة، الجزء ٨، الصفحة ٢٠.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، البلاغ المبين، الجزء ٦، الصفحة ١٩.

بكثرة، وهي بأجمعها جارية على ذلك الناموس وذلك القانون في التركيب والترتيب وسائر الشؤون المرتبطة بالغايات. فإنه يتجلى من ذلك بالبداهة للبصيرة، والرشد نور الدلالة على إرادة الموجد، وحكمته، وقصده للغاية في إيجاده[١].

ويقول الشيخ «البلاغي»: «إنّ جميع البشر يعلمون من الأشياء والمصنوعات الموجدة لأجل الغايات، أنّ موجدها أوجدها بعلمه وحكمته لأجل غاياتها من دون أن يخبرهم أحد بذلك. مع أنهم لم يروا موجدها ولم يخبرهم أحد سمع من موجدها، مع أنّ العقلاء على يقين - لا يشوبه شك - بأنها أوجدها موجدها لأجل غاياتها»[٢].

ومن جانب آخر يذكر الشيخ «البلاغي» بداهةً وجود الخالق حيث يقول: «ما برح الإنسان من ابتداء شعوره إلى آخر أمره يبحث عن علة الكائن، وينظر فيها ويستنتج منها نتائجه جبلةً طُبع عليها في جميع أموره، حتى إنّ الطفل إذا سمع جلبةً أو صوتًا غريبًا فإنه يدير نظره ويتجسس على علّته؛ لكي يستنتج منها نتيجةً في رجائه أو حذره، وكذا الحيوان. بل ما سار العلم والتمدن سيرهما ورقيا رقيهما، إلّا على النهج الفطري بالنظر إلى علة الكائن وغايته؛ لكي تستفاد الفوائد الكبيرة في المنافع ودفع المضار من معرفة العلة والغاية»[٣].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، البلاغ المبين، الجزء ٦، الصفحة ٢٠.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٢٧٠.

(٣) **المصدر نفسه**، الجزء ٥، الصفحة ٢٧١.



وقد أشار الشيخ «البلاغي» إلى أنّ القرآن الكريم قد احتج على الإلهية بحجة أشار فيها إلى مقدمات ومنها عموم الدعوة إلى اللّه الواجب الوجود، وهذه المقدمات لا ينبغي للإنسان أن يغفل عنها، مع أنها مكشوفة له بحسب الفطرة والوجدان وعمله في جميع أحواله، وكذلك أتم القرآن الكريم احتجاجه ببيان الدلالة على أنّ موجد العالم وعلته عالم بالغايات، قد أوجد الكائنات لأجل غاياتها على الحكمة الباهرة والنظام الفائق. ونبّه على المقدمات بالإنكار والتوبيخ على الشك، الذي لا محل له مع هذه المقدمات الواضحة الوجدانية والمشاهدات العيانية[1].

فقال جل وعلا في سورة **إبراهيم**: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] ولماذا يشك الإنسان؟ فهل يصح له أن يبقى على شكه لأنه أعرض بجهله عن النظر وطلب الحقيقة في أمر المعرفة؟ وكيف يعرض وهو مهدد بالعذاب الإلهي، وبفوات مصلحة الشريعة الإلهية ومصلحة تهذيب أخلاقه وتكميله؟ أوليس من الضروري الفطري أنه لا ينبغي لذي رشد أن يستقر على خوف الضرر العظيم حتى يأمن ويطمئن بنتيجة النظر الصادق؟[3].

وخلاصة القول: أنّ الشيخ البلاغي يشير إلى أنه إذا كانت بداهة الفطرة تشهد بأن الآلات التي يصنعها الصانع، هي آلات صنعها صانع مختار لأجل غاياتها مع أنها لم يشاهدها أحد مستعملةً في غاياتها فهذه أجزاء العالم المستعملة في غاياتها على أوضح

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحتان ٢٧٣ و٢٧٤.

(٢) سورة **إبراهيم**، الآية ١٠.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٢٧٤.

حكمة وإتقان، كيف لا تشـهد الفطـرة والوجدان بأنهـا صنع صانع عالم بالغايـات، وقد صنعها لأجل غاياتها؟ وكيف لا تشـهد الفطرة والوجدان بأنّ هذه الأشـياء الحادثة في الكون لا بد لها من أن تكون محتاجةً إلى موجد منزه عن الحدوث والحاجة[1].

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٢٧٥.

المبحث الثاني:

التوحيد في الذات

توحيد الذات ومعناه «الحكم بأنّ الشـيء واحد والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح من هـم أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوّر في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان»[١]، بمعنى أنـه تعالى «واحد أحدي المعنى»[٢] والمقصود به «أنّ اللّه واحد لا شريك له ولا نظير ولا يتصور له شـبيه ولا مثيل، بل إنّ ذاته المقدسة بسيطة غير مركبة من أجزاء كما هو شأن الأجسام»[٣].

ومعنى هذا الكلام أنّ الذات المقدسـة للّه تعالى بسيطة غير مركبة من أجـزاء، ولا ينالها التبعيض، ولا التحليـل، ولا التغيير، ولا التجزئة. بل وجوده تعالى: بسـيط بمعنى غير مركب من أجزاء، كما أنه تعالى لا بعض له من يد ورجل ووجه ولسان وغيرها من الجوارح، بل وجود أحدي له كل كمال مع بساطة الذات. ويسمى هذا التوحيد بالتوحيـد في الأحدية وهو توحيد في نفس الذات وشـؤونها بعدم

---

(١) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، الصفحة ٩٩.

(٢) محمد بن علي بن بابويه الصدوق، **التوحيد**، الباب الثاني، الحديث، ٩.

(٣) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ١، الصفحة ١٢.

تصور الكثير فيها أبدًا، ولا حتى تصورها والفكر فيها[١].

فالتوحيد الأحدي يتلخص في نفي التركيب على الحق سبحانه وإثبات بساطته، وأنّ ضروب التركيب منها التركيب من المادة والصورة الخارجية، والتركيب من الأجزاء المقدارية، والتركيب من المادة والصورة الذهنية، والتركيب من الجنس والفصل، والتركيب من الماهية والوجود، والتركيب من الوجدان والفقدان[٢].

ولإثبات ذلك أدلة عقلية وأدلة نقلية، وهي كالآتي:

١. الدليل العقلي

في هذا الدليل نبين مقدمةً أنّ كل مركب يحتاج في وجوده إلى وجود أجزائه، فما لم تتحقق تلك الأجزاء لا يمكن أن يوجد. على سبيل المثال يتألف الماء كمركب من الأوكسجين والهيدروجين، ولإيجاد الماء لا بد من وجود هذَين العنصرَين. وحاجة كل مركب إلى أجزائه التي يتركب منها هي قاعدة عقلية عامة. ثم ننتقل الآن إلى واجب الوجود سبحانه، فحيث ينص القانون العقلي على حاجة كل مركب إلى أجزائه، فقد سقط الوجوب عنه بثبوت الاحتياج إذا ما اعتقدنا به مركبًا، لأن الاحتياج علامة الفقر، والفقر لا ينسجم مع الوجوب بالذات. وبعبارة أخرى، أنّ الفقير هو المحتاج إلى الغير، فإذا كان محتاجًا إلى الغير لا يكون واجب الوجود، وقد ثبت أن اللّه سبحانه غني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ

---

(١) كمال الحيدري، **التوحيد**، الجزء ١، الصفحة ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٨٧.

ٱلْحَمِيدُ﴾[١] فإذا ثبت تركيبه يثبت فقره، وهو ينافي الغنى الذاتي للّه سبحانه[٢].

٢. الدليل النقلي

إنّ من الآيات التي نستدل بها لإثبات التوحيد الواحدي، والتوحيد الأحدي ما ورد في سورة الإخلاص، حيث قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣] فإنّ هذه السورة تثبت التوحيد الأحدي بنفي التركيب عنه سبحانه وإثبات بساطته. والقرينة على ذلك ما ورد في خاتمة السورة ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. فلو كانت الأحدية في صدور السورة وخاتمتها بمعنًى واحد للزم التكرار، وما دامت هناك قاعدة تفيد أنّ التأسيس أولى من التأكيد، بمعنى أنّ مقتضى الظاهر الأولي لكلام المتكلم أنه لا يريد التأكيد إلا إذا قامت قرينة على ذلك فسيكون صدور السورة بصدد التعدد والكفؤ والنظير، والند والثاني. فبقرينة الآية الأخيرة في السورة يثبت أنّ صدر السورة هو بشأن نفي التركيب، ومن ثم إثبات بساطة الحق سبحانه وتوحيده الأحدي. يعين على هذا المعنى ما ذهب إليه البحث في تاريخ النزول من أنّ السورة نزلت لردّ عقائد المسيحيين، التي تؤمن بالتركيب والتعدد[٤] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[٥]. وأمّا المكانة التوحيدية لسورة الإخلاص، فقد

---

(١) سورة **فاطر**، الآية ١٥.

(٢) كمال الحيدري، **التوحيد**، الجزء ١، الصفحة ٩١.

(٣) سورة **الإخلاص**، الآيات من ١ إلى ٤.

(٤) كمال الحيدري، **التوحيد**، الجزء ١، الصفحة ٩٣.

(٥) سورة **المائدة**، الآية ٧٣.

ورد في الأحاديث الشريفة في أهمية هذه السورة بأنها تعدل «ثلث القرآن»[١] كما يقول السيد «الطباطبائي»: «إنّ ما في القرآن من معارف ينتهي بالتحليل إلى الأصول الثلاثة المتمثلة بالتوحيد والنبوة والمعاد، والسورة تتضمن واحدًا من الثلاثة وهو التوحيد»[٢].

وأمّا التوحيد في الواحدية ويقصد به أنه لا ثاني للّه سبحانه، وهو مرتبط بالعدد[٣]. ومعناه أنّ اللّه واحد، لا شريك له، ولا نظير، ولا يتصور له شبيه، ولا مثيل، ولا وزير، ولا ند، وأنه تعالى لا ينفصل من شيء ولم ينفصل منه شيء، ولا صاحبة له، ولا ولد، ولا أب، ولا أم، ولا خالق له، وهذا المسمى بتوحيد الذات بنفي الشريك والمثيل حيث إنه لا ثاني له تعالى في الوجود، ولا غير اللّه تعالى في الكون مستقل بذاته. وكل الوجود من فيضه تعالى وتجلّيه ومحتاج إليه، وأنّ الواحد هو الفرد الذي لم يُرَ وحده ولم يكن معه آخر[٤]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٥].

ودليل الوحدانية هو ما يأتي:

---

(١) وفي الحديث الشريف «من قرأ قل هو اللّه أحد مرةً واحدةً فكأنما قرأ ثلث القرآن»، الصدوق، **التوحيد**، الصفحة ٩٥؛ **البخاري**، الصفحة ٦٦٤٣؛ **مسلم**، ٨١١ و٨١٢؛ **سنن الترمذي**، الصفحة ٢٨٩٩؛ **سنن النسائي**، الصفحة ٥٥٧.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ٢٠، الصفحة ٣٩٠.

(٣) كمال الحيدري، **التوحيد**، الجزء ١، الصفحة ١٠٤.

(٤) جعفر السبحاني، **التوحيد والشرك في القرآن**، الصفحة ٦؛ محمد باقر الملكي، **توحيد الإمامية**، الصفحة ١٩٣.

(٥) سورة **الأخلاص**، الآيات ١ إلى ٤.

أ. دليل الكتاب

صرح القرآن الكريم بوحدانية منزلـه تعالى في آيات كثيرة جدًا تزيد على المائة أحصاها العلامة «المجلسـي» في **البحار** (ت ١١١١هـ) تحت عنوان باب التوحيد ونفي الشـريك[١] وجمعت أيضًا في عدة كتب، ونتبرك بذكر بعضها مثل[٢]:

١. قولـه تعالـى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

٢. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٤].

٣. قولـه تعالـى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[٥].

٤. قوله تعالـى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦].

٥. قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧].

---

(١) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٣، الباب ٦، الصفحة ١٩٨.

(٢) محمد فؤاد، **تفصيل آيات القرآن الحكيم**، الصفحة ١٢٩.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ١٦٣.

(٤) سورة **النحل**، الآية ٥١.

(٥) سورة **الشعراء**، الآية ٢١٣.

(٦) سورة **الأنبياء**، الآية ٢٢.

(٧) سورة **الأخلاص**، الآية ١.

٦. قولـه تعالـى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[1].

وعن هذه الآية يشـير السـيد «الطباطبائي» (ت ١٤١٢هـ) في الاتجاه الذي ينفـي الوحدة العددية ويثبت الوحـدة القهارة حيث يقـول: «والقرآن ينفي فـي عالي تعليمه الوحـدة العددية عن الإله سـبحانه، فإنّ هذه الوحـدة لا تتم إلا بتمييز هـذا الواحد من ذلك الواحد بالمحدودية التي تقهره، والمقدريـة التي تغلبه، مثال ذلك مـاء الحوض إذا فرقنـاه في آنية كثيـرة كان ماء كل إناء مـاءً واحدًا غير الماء الواحد الذي في الإناء الآخر، وإنمـا صار ماءً واحدًا يتميز عما في الآخر لكون ما في الآخر مسـلوبًا عنه غيـر مجتمع معه»[2]. وغيـر ذلك من الآيات التي تحصر الألوهية في الواحد الأحد، وتنفي الشريك والشبيه للفرد الصمد، تعالى شأنه وجلت قدرته.

ب. دليل السنّة

اسـتفاضت أزاهير الحكمة وتواترت رياض النبوة، في أحاديث أهل بيـت العصمة، المصرحـة بوحدانية اللّه تعالـى والهادية إلى ركنية توحيده بما يوجب العلم واليقين بهذا الاعتقاد الراسـخ، والمعتقد الشامخ فمن رواياتهم المباركة ما يأتي:

١. خطبة الرسـول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حديث «إسـحاق بن غالب»: «الحمد للّه الذي كان في أوليته وحدانيًا...»[3].

---

(١) سورة **الزمر**، الآية ٤.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ٦، الصفحة ٩١.

(٣) الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، **التوحيد**، باب التوحيد ونفي التشبيه، الصفحة ٤٤، الحديث ٤.



٢. وصية أمير المؤمنين علي لولده الإمام الحسن عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، عند انصرافه من صفين، وقد جاء فيها: «واعلم يا بني! أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته. ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبدًا، أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية...»[١].

٣. دعاء سيدنا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عرفة ومما جاء فيه: «الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا فيكون موروثًا، ولم يكن له شريك في ملكه فيضاده في ما ابتدع، ولا ولي من الذل فيرفده فيما صنع»[٢].

٤. حديث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...ثم يلزمك إن ادّعيت اثنَين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنَين فصارت الفُرجة ثالثًا بينهما قديمًا معهما فيلزمك ثلاثة. وإن ادّعيت ثلاثةً لزمك ما قلنا في الاثنَين حتى يكون بينهم فُرجتان فيكونوا خمسةً، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة[٣]. فإن هذا الحديث يبرهن على أنّ التعدد مستلزم للتسلسل وهو مستحيل فإذا استحال التعدد صدق ضده وهي الوحدة، فالله واحد لا شريك له، وقديم لا قديم معه، علمًا أنّ صفاته الذاتية الشريفة عين ذاته فلا تكون معيّة له، فيستفاد ثبوت الوحدة وامتناع التعدد وعدم إمكان تعدد

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، **نهج البلاغة**، قسم الرسائل، رقم الوصية ٣١، الصفحة ٤٩.

(٢) تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، **البلد الأمين والدرع الحصين**، الصفحة ٢٥٣.

(٣) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٣، الباب ٦، الصفحة ٢٣٠، الحديث ٢٢.

القدماء»[١].

٥. خطبة سيدنا الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، الجليلة في مجلس المأمون ومما ورد فيها: «أول عبادة اللّه معرفته، وأصل معرفة اللّهِ توحيده...»[٢].

إلى غير ذلك من أحاديث أنوار المعارف الحقة، المروية عن أئمة الطائفة المحقة، الهادية للأمة والخليقة.

٣. التوحيد في الذات عند الشيخ البلاغي

وأما الشيخ «البلاغي» فإنّ له آراءً سديدةً في مسألة توحيد الذات؛ منها رده على المسيحيين في قولهم في الفصل الرابع من رسالة يوحنا الأولى: «ومن لا يحب لم يعرف اللّه؛ لأنّ اللّه محبة. اللّه محبة ومن يثبت في المحبة في اللّه واللّه فيه»[٣].

وعن ذلك يقول الشيخ «البلاغي»: «وأيضًا إنّ إنجيل يوحنا ومطلق كتب العهد الجديد، قد تقلبت واضطربت في أساليب الكلام، إذًا فلا يؤخذ منها نتيجة في كلام ولا استقامة في مبدأ»[٤]، ومن ذلك ما في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس في العدد السادس

---

(١) اعلي الحسيني الصدر، **العقائد الحقة**، الصفحة ٤٩.

(٢) الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه القمي، **التوحيد**، باب التوحيد ونفي التشبيه، الصفحة ٣٤، الحديث ٢.

(٣) **سفر العدد**: ٨ و ١٦.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٣٥١ و٣٥٢.

عشـر من الفصل الثالث: «أما تعلمون أنكم هيـكل اللّه وروح اللّه يسـكن فيكم»[١]. لكن تقف تشـبثات التأويل عند العدد العشرين من الفصل السـادس من رسـالة كورنثوس الأولى في قولها: «وفي أرواحكم التي هي اللّه»[٢].

وكذلك قولهم: «تنبثق من جوهره وكيانه الإلهي»، وفيه يشـير الشيخ البلاغي أنّ الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ، لا في الماهية ولا فـي المقدار، ولا يتغير كيانه، ولا يلد، وما معنى قولكم ينبثق من جوهره؟ هل تريـدون مثل ما ينبثق الثمر من الشـجر، فتكون أجزاء الشجر ثمرًا بسـبب تقلب النمو وتطورات أجزاء الشجر بالتغير؟ أي بمعنـى أن ينبثق من جوهـره وكيانه الإلهي موجودٌ آخر نسـميه إلهًا مولودًا من الإله؟ كيف يكون هذا مـع أنّ واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه[٣].

ويقول الشـيخ «البلاغي»: «وإني قد تتبعت الكتب المنسوبة لنبوات الديانة الإسـرائيلية، والديانة النصرانيـة، فوجدتها مضطربة المبـدأ قلقة الكلام فـي معنى الولادة مـن اللّه: فتـارةً يلوح منها أنهـا تريد بالبنوّة للّه والولادة منه معنًى جائزًا وإن تشـوهت عباراته بسـخافة المبالغـة، تريد بذلك محـض ارتباط الملة أو الشـخص بالإيمان والتوحيد والصلاح، وامتيازه بذلك عن البشر، فتشير بذلك إلى امتياز هؤلاء بالارتباط باللّه بالإيمان وصلاح الطاعة، كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه وشرف مكانه عند الأب»[٤].

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٥٢.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٥٢.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحتان ٣٥٢ و٣٥٣.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، =

وربما يكون من ذلك ما يحكى عن قول اللّه في شأن بني إسرائيل في **التوراة** في كتاب هوشع: «إسرائيل ابني البكر أطلق ابني»[١]، «لمّا كان إسرائيل غلامًا أحببته. ومن مصر دعوت ابني»[٢]، وكذلك في شأن سليمان بن داود: «لأني اخترته لي ابنًا وأنا أكون له أبًا»[٣].

وأيضًا ما يحكى عن المسيح في شأن المؤمنين الصالحين من قوله: «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء اللّه يدعون»[٤]، و**العهد الجديد** كثيرًا ما يسمي المؤمنين «أولاد اللّه»[٥].

ويضيف الشيخ «البلاغي» أنّ الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ، ولا يمكن أن يكون مركبًا، لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار، وأن الكلام بتعدد الإلهة كلام سخيف واحتجاج تحريفي واهٍ، فإنه ينادي بأن المراد من ابن اللّه هي النبوة والوثنية الإشراكية. وأن الحجة القاطعة لنفي الشرك، قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٦] وهي شهادة اللّه إعلامه بإلهيته ووحدانيته بالدلالات

= الجزء ٥، الصفحة ٣٥٣.

(١) **سفر العدد**: ٢٢-٢٣.

(٢) **سفر العدد**: ٢٢ - ٢٣.

(٣) **سفر الأيام الأول**: ١٧، ٢٢، ٢٨.

(٤) **إنجيل متى الخامس**.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٥٣.

(٦) سورة **آل عمران**، الآية ١٨.



الجلية[1].

ويرد الشيخ «البلاغي» على المسيحيين حيث يقول: «وأنّ الحياة الأبدية أن يعرفوا اللّه بأنه الإله الحقيقي وحده، وأن «يسوع» هو المسيح الذي أرسله»[2]. حيث يجعلون الإله الثلاثة حقيقةً واحدًا حقيقيًا، والواحد الحقيقي ثلاثةً حقيقيةً[3].

ويقول الشيخ البلاغي: «إنّ اللّه الذي لا إله إلا هو، هو الإله الواحد القدوس، الأزلي الدائم، العليم الحكيم، الغني العزيز، القادر القاهر، الحي الذي لا يموت، العادل الرحيم، الجواد العظيم، الذي يجلّ عن التعدد والحدوث والتجسد والأين والمكان والتغير والضعف؛ وإنّ المسيح رسول مكرم، وعبد مقرب لهذا الإله العظيم، قد بلغ رسالته، وأدى وظيفته، فلم يُشبْ توحيده بشرك، ولا صدقه بكذب، ولا تعليمه بتناقض، ولا حججه بتهافت، ولا عفافه بدنس، ولم يتصرف به الشيطان، ولم يهنه اليهود، بل كفاه اللّه شرهم وسوء ولايتهم، ورفعه إلى السماء حيًا ممجدًا، ومن يقول إن اللّه واحد ثلاثة، أراد أن يخلع عذار الخاطئين، ويطلق سراحهم في غيّهم، فيؤمنهم من زاجر الوعيد، وقصاص العدل»[4].

وفي نفي التعدد والشرك من الإله قد فسر الشيخ «البلاغي»

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، **الجزء** ٥، الصفحة ٣٥٤؛ **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الجزء ٢، الصفحة ٤٩٢.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، التوحيد والتثليث، الجزء ٦، الصفحة ١٥.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٦، الصفحة ١٥.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٦، الصفحتان ١٥ و١٦.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[١] فهؤلاء جحدوا حقيقة التوحيد الذي يلهجون بالاعتراف به ويجعلونه دينهم الأساسي، ولا تقوم حجتهم على الإلهية ووجوب الوجود إلا به، فتناقضوا وتهافتوا وتقهقروا إلى جحود الحقيقة الأساسية، وكفروا بها، كيف يقولون ذلك ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا يعقل تعدد الإله، الإله لا يتعدد، وإلا خرج عن كونه إلهًا[٢].

وكذلك أشار الشيخ «البلاغي» عن اشراك اليهود والنصارى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[٣] ففي هذه الآية اختلف بنو إسرائيل وخصوص اليهود والنصارى في هذا الدين، فتقلب الغالب من بني إسرائيل في الشرك من يوم مروا على عبدة الأوثان وذلك بعد ما أسلموا لموسى [عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ]، ورأوا الآيات النيرات في مصر، وانشقاق البحر لهم، وعبورهم فيه على الأرض اليابسة، فقالوا لموسى [عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ]: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾[٤]، ويوم عبدوا العجل، واستمروا على التقلب في الشرك في أجيالهم، كما هو معروف في تأريخهم وكتبهم، وذهب الكثير من النصارى إلى تثليث الآلهة، وتأليه المسيح، وإبطال الشريعة بالرأي حتى استوعبهم ذلك أخيرًا[٥].

---

(١) سورة **المائدة**، الآية ٧٣.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٦٩.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ١٩.

(٤) سورة **الأعراف**، الآية ١٣٨.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحتان ٤٩٤ و٤٩٥.

وأيضًا فإنّ بني إسـرائيل ظهرت لهم من موسى – الداعي لهم إلى التوحيد – معجزة العصا، واليد البيضاء، وغيرها من المعجزات، وبلغهم عن اللّه قوله: «لا تصنعوا معـي آلهة فضّة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، ولا تضع لك تمثالًا منحوتًا في السـماء أو في الأرض أو في الماء، ولا تسجد لهن ولا تعبدهنّ. فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل. فكتب موسى هذه الأقوال وغيرها وقرأها عليهم تجديدًا للعهد، فقالوا أيضًا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسـمع وبلغهم أيضًا: لا تضعوا لكم أوثانًـا، ولا تقيموا لكم تمثالًا أو نصبًا، ولا تجعلوا في أرضكم حجرًا مصورًا لتسـجدوا له. وبعد هذا كله لم تمض سـنة منه حتى ارتدوا عن عبادة اللّه، وقالوا لهارون لما أبطأ عليهم موسـى في جبل سيناء: اصنع لنا آلهةً تسير أمامنا. فلما صنعوا العجل المسـبوك من ذهب حليّهم، قالـوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر، فسـجدوا له وذبحوا. وأنّ صريح هذا الكلام وفحواه وشواهده ودلائله لتوضح ارتدادات بني إسرائيل وتقلباتهم في الشرك[1].

ويوضح الشـيخ البلاغي قوله تعالـى: «﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[2] ويقصد في هذه الآيـة التوحيد والدين الصحيح مـن دلالة العقل، والفطرة، والمعجزات الباهرات، والآيـات البينات، وصراحة كتبهم، كما بقي شـيء من ذلك فيما حرّفوه، ولكـن حدث الاختلاف فيهم ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ مـن الكافرين على الموحديـن، أو بغيًا حاصلًا بينهم

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٣٧ و٣٨.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية ١٩.

على الحق، وتمردًا على ما يعلمون، واستمر ذلك البغي فيهم حتى جحدوا رسالة رسول اللّه وقرآنه وما فيه من معارف الحق وشريعته، بعد ما دل على ذلك المعجز وكتبهم في البشرى برسول اللّه وقرآنه. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ ويجحدوا دلالتها البينة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾، محاسبهم ومعاقبهم ومجازيهم على كفرهم يوم القيامة، وهو ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾»[١]، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[٢]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[٣].

وأما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] قيل أنّ الند: «الضد»[٥]، وهو «مثل الشيء الذي يضاده في أموره، وينادّه: أي يخالفه»[٦]، وكذلك الند: لا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ[٧]. وفي هذه الآية أعطى الشيخ البلاغي تفسيرًا واضحًا، بيد أن المشركين يجعلون لأوثانهم وما يؤلهونه صفة الإلهية وأعمالها، وبذلك يجعلون كلًا مما يشركون به ندًا للّه، ومثلًا معارضًا له في إلهيته وأعمالها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ الإله الخالق المعبود والمطاع هو اللّه، فما هذه المزاعم، وما هذا الشرك المناقض لعلمكم ومعرفتكم؟ ولو تدبرتم الحجج الساطعة، لعرفتم كيف لبست عليكم

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٤٩٥.

(٢) سورة **المعارج**، الآيتان ٦ و٧.

(٣) سورة **النازعات**، الآية ٤٦.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ٢٢.

(٥) محمد الحسيني، **تاج العروس**، الجزء ٥، الصفحة ٢٧٦.

(٦) ابن الأثير الجبري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، الجزء ٥، الصفحة ٣٥.

(٧) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، **جوامع الجامع**، الجزء ١، الصفحة ٢٩.

الأوهام، ودلســت على عقولكم الأهواء، فوحدوا اللّه - أيها الناس - كما هو حقه، وآمنوا بعبد اللّه ورسوله الذي جاء بالحجج الباهرة، وأنزل عليه القرآن العظيم[١] ولذلك فإن اتخاذ الأنداد إنما هو نكوص عن معرفة اللّه وحقيقة إلهيته وقــدس توحيده وعبادته ونكوص من طاعته واتباع شريعته ومن أمر باتباعه[٢].

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٢٧٤.

المبحث الثالث:

التوحيد في الصفات

الصفة لغةً: «هي معنًى قائـم بالذات دال عليه كدلالة اللفـظ في الكتابـة»[١]، وإنّ «الصفة في الأصل مصدر وصفت الشـيء إذا ذكرته بمعان فيـه»[٢]. وأما الصفة اصطلاحًا: فهـي: «عبارة عن كل أمـر زائد على الذات يفهم في ضمن فهم الذات ثبوتيًا كان أو سـلبيًا فيدخل فيه الألوان، والأكـوان، والأصـوات، والإدراكات وغير ذلك»[٣].

وإنّ توحيـد الصفـات للذات المقدسـة تُعرف بمعرفـة اللّه، والتوجه إليه، سـواء بالفطرة، أو بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية، وهي أسماء اللّه الحسـنى المعبرة عن صفاته المبينة لكماله تعالى، والتي نعرفها من أول وهلة كصفة: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر. فنقول: إنه تعالى عليم، قدير، حي، سـميع، بصير، وغيرها كالعلي والعظيم، والواحـد، والأحد، والأزلي، والأبدي، المُعبر عنها بالأسماء الحسـنى والصفات العليا للذات المقدسـة الإلهية، وإن

---

(١) أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي، **الكليات**، الصفحتان ٥٤٥ و٥٤٦.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، الصفحة ٧٦.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٧٦.

كانت متعددةً بالمفهوم إلا أنّ مصداقها واحد[١]. والصفات عند المتكلمين وأرباب العقائد ما يجب للّه تعالى عقلًا وشرعًا من حقائق معنوية الإدراك قائمة بذاته تعالى لائقة به ولا يقال عنها عين الموصوف ولا غيره[٢]. ولذلك اتفق الجميع على كونه تعالى متصفًا بصفات الكمال والجمال، من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات الذاتية، ولكنهم اختلفوا في كيفية إجرائها عليه، على أقوال:

الأول: نظرة المعتزلة

نجد أنّ مشايخ المعتزلة ومنهم «عبّاد بن سليمان» – يرون لأجل حفظ توحيده سبحانه، وتنزيهه عن التركيب من الذات والصفات – ذهبوا إلى أنّ ملاك إجراء هذه الصفات هو الذات وليس هناك أية واقعية للصفات سوى ذاته[٣]. وبمعنًى آخر: إنّ حقيقة نظرية المعتزلة هي نظرية نيابة الذات عن الصفات من دون أن يكون هناك صفة وذلك لأنهم رأوا أنّ الأمر في أوصافه جلّ وعلا يدور بين محذورَين:

أولهما: إنا لو قلنا بأن له سبحانه صفات كالعلم، وجب الاعتراف بأن هناك ذاتًا وصفةً، لأن واقعية الصفة هي مغايرتها للموصوف،

---

(١) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٢، الصفحة ٣٨.

(٢) عيسى بن عبد اللّه بن مانع الحميري، **الفتح المبين في براءة الموحدين من عقائد المشبهين**، الصفحة ٤٣؛ محمد بن أحمد بن عرفة المالكي الدسوقي، **حاشية على أم البراهين**، الصفحتان ١٠٩ و١١٠.

(٣) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٢، الصفحة ٣٣.

ولا يمكن أن يكون هنا صفة ولا تكون غير الموصوف، فعندئذ يلزم التركب فيه سبحانه من ذات وصفة وهو محال.

وثانيهما: إنّ نفي العلم والقدرة وسائر الصفات الكمالية عنه سبحانه يستلزم النقص في ذاته أولًا، ويكذبه إتقان آثاره وأفعاله ثانيًا»[١].

ولذلك فالمَخْلَص والمَفَر من هذَين المحذورَين، انتخاب نظرية النيابة، وهي أن نقول بنيابة الذات مناب الصفات، وإن لم يكن هناك واقعية للصفات وراء الذات. وبذلك يكون هذا هو المشهور عن المعتزلة وممن صرح به منهم «عبّاد بن سليمان» قال: «هو عالم، قادر، حي، ولا أثبت له علمًا، ولا قدرة ولا حياة ولا أثبت سمعًا ولا أثبت بصرًا، وأقول هو عالم لا بعلم، وقادر لا بقدرة، وحي لا بحياة، وسميع لا بسمع، وكذلك سائر ما يسمى من الأسماء التي يسمى بها»[٢].

الثاني: نظرة الأشاعرة

لقد ذهبت الأشاعرة إلى وجود صفات كمالية زائدة على ذاته سبحانه مفهومًا ومصداقًا، فلا تعدو صفاته صفات المخلوقين إلا في القدم والحدوث فالصفات في الواجب والممكن زائدة على الذات غير أنّ صفات الأول قديمة وفي غيره حادثة. واستدل عليه

(١) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحتان ٣٣ و٣٤.

(٢) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٢، الصفحة ٣٤.

الأشعري في **اللمع والإبانة** بوجهَين[١]:

الوجه الأول: إنّ كونه سبحانه عالمًا بعلم، لا يخلو عن صورتين:

١. أن يكون عالمًا بنفسه.

٢. أن يكون عالمًا بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه.

«فإن كان الأول، كانت نفسه علمًا، ويستحيل أن يكون العلم عالمًا، أو العالم علمًا. ومن المعلوم أنّ اللّه عالمٌ. ومن قال إنّ علمه نفس ذاته، ولا يصح له أن يقول إنه عالمٌ، فإذا بطل هذا الشق، تعين الشق الثاني، وهو أنه يعلم بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه»[٢].

الوجه الثاني: «لو كان علمه سبحانه عين ذاته، لصحّ أن نقول: يا علم اللّه اغفر لي وارحمني»[٣].

الثالث: نظرة الإمامية

تعتقد الإمامية بنظرية العينية فهي تعترف بوجود العلم والقدرة في مقام الذات ولكن تدعي أنّ العرضية ليست أمرًا لازمًا للعلم، بل تارةً يكون عرضًا وأخرى يكون جوهرًا كعلم النفس بذاتها، وثالثةً فوق

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحات من ٣٥ إلى ٣٧.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، الصفحة ٣٠.

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة**، الصفحة ١٠٨.



العرض والجوهر فيكون واجبًا قائمًا بنفسه[1].

والدليل على العينية هو أنّ القول باتحاد ذاته جلّ وعلا مع صفاته يوجب غناءه في العلم بما وراء ذاته عن غيره، فيعلم بذاته كل الأشياء من دون حاجة إلى شيء وراء الذات وهذا بخلاف القول بالزيادة فإنه يستلزم افتقاره تعالى في العلم بالأشياء وخلقه إياها في أمور خارجة عن ذاته، فهو يعلم بالعلم الذي هو سوى ذاته ويخلق بالقدرة التي هي خارجة عن حقيقته، ويحيا بحياة غير ذاته، والواجب سبحانه منزه عن الاحتياج إلى غير ذاته، والتنزيه: هو قاعدة العقليين في تعاملهم مع مسألة الصفات التي توهم نقصًا أو حدوثًا للخالق العظيم سبحانه بينما لم يتخلص غيرهم ممن جمدوا على النصوص فوقعوا في التجسيم والتحييز المكاني والرؤية وغيرها. وقد نعى البلاغي على الفرقة الظاهرية[2] أنها لم تلتفت إلى المجاز ووجهه الواضح في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[3]، ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم القرآني والبراهين القطعية في أنّ اللّه منزه عن الجسم والأين والمكان! لكي يعرفوا أنّ المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال ولتقريبه لأذهاننا شبهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسماني للملك الأرضي، لكنهم نسبوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: حتى يسمع له - أي العرش - أطِيط الرّحل - كما ذكره عن مجاهد في تفسير قوله

---

(١) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٢، الصفحة ٣٨.

(٢) الفرقة الظاهرية: هم أصحاب داود بن علي الأصفهاني الشافعي الظاهري، عمل بظاهر القرآن والحديث دون باطنه، انظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، الجزء ١، الصفحات ٥٧، ١٢٣، ١٤٥.

(٣) سورة **طه**، الآية ٥.

تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١] قال: يجلسه معه على العرش[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[٣] يقول البلاغي: «قريب باللطف والرحمة والإجابة لأنه يجلّ عن المكان[٤]، وفي رفعه سبحانه لعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٥] فإن اللّه سبحانه لا يحويه مكان وقد جاء الرفع تكريمًا للمسيح وتضخيمًا لغاية الرفع من الأرض التي فيها الكافرون والفساق إلى السماء الممحضة لتسبيح اللّه وتقديسه فكنّي بذلك برفعه إلى اللّه»[٦].

وفي نسبة الإتيان للّه سبحانه فهي مجاز في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾[٧]، أي تأتيهم آثار قدرته وعظمته وسلطانه القاهر كما يقال لمن جاءه جيش الملك بسطوة سلطانهِ جاءك الملك، وقد أشار البلاغي بالرفض لروايات في **الدر**

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ٧٩.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٩٧ و٩٨؛ أحمد البغدادي، **تأريخ بغداد**، الجزء ١، الصفحة ٣١١؛ محمد الذهبي، **ميزان الاعتدال**، الجزء ٣، الصفحة ٤٢٦؛ مصطفى بن عبد اللّه، **كشف الظنون**، الجزء ٢، الصفحة ١٤٣٨.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ١٨٦.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٣٠٥.

(٥) سورة **آل عمران**، الآية ٥٥.

(٦) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥٣١.

(٧) سورة **البقرة**، الآية ٢١٠.

المنثور بأنها يعسر فيها التأويل ويستحيل مؤدّاها لأنه تجسيم وفيه نسبة التحيز في المكان إلى اللّه جلّ وعلا[١].

كما ردّ أهل الكتاب في دعوى التجسيم للّه سبحانه[٢] ومما بيناه يكون البلاغي قد نزه الخالق تعالى من النقص والحدوث والحاجة باعتباره واجب الوجود، وقد استعان بالاستخدامات البلاغية كالمجاز، والكناية، والاستعارة وغيرها لتوجيه الآيات المتشابهة والمتعلقة بصفاته سبحانه من غير أن يسجل على البلاغي أنه ينفي هذه الصفات عنه سبحانه وبذلك فهو منزه بإثبات ودون نفي للصفة.

وفي تعليقه على كلمة (لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[٣] يقول البلاغي: «﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ (لو) هنا بمعنى التمني جريًا على ما يستعمله الناس في المحاورات في مثل المقام، واللّه يجلّ ويتقدس عن حقيقة التمني»[٤].

وقد ذكر الشيخ البلاغي بعضًا من صفاته تعالى في قوله: «إنّ

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٣٥٢؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الدر المنثور في التفسير المأثور**، الجزء ١، الصفحة ٥٨٠.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، أعاجيب الأكاذيب، الجزء ٦، الصفحة ٨؛ **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٣٥٢و ٣٥٣؛ **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٧٣.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ١٠٣.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٢٢.

اللّه الذي لا إله إلا هــو، هو الإله الواحد القــدوس، الأزلي الدائم، العليم الحكيم، الغني العزيز، القــادر القاهر، الحي الذي لا يموت، العادل الرحيــم، الجواد العظيم، الذي يجل عن التعدد، والحدوث، والتجسد، والأين، والمكان، والتغير، والضعف»[١].

وفــي هذا الجانــب، نذكــر بعض الصفــات المتعلقــة بذاته المقدسة التي لم يزل متصفًا بها، وهي لا تنفك عنه سبحانه بل هي لازمــة لذاته أزلًا وأبدًا مثل صفة الحيــاة، والعلم، والقدرة، والكلام، والسمع والبصر، وهي على النحو الآتي:

١. صفة الحياة:

وهي صفة أزليــة قائمة بذاته تعالــى لولاها لما صــح اتصافه ببقية الصفات[٢]. وقد بين الشــيخ البلاغي معنى هذه الصفة في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[٣] حيث قال: ««الحي»: الثابتة له صفة الحياة، والدائمة بــدوام ذاته، ووجوب وجوده لذاته، ومعنى الحي واضح ظاهر»[٤].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، التوحيد والتثليث، الجزء ٦، الصفحة ١٥.

(٢) عبد الملك عبد الرحمن السعدي، **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية**، الصفحة ٥٧؛ محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، الصفحة ١٣٠؛ أبو بكر بن محمد الباقلاني، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به في علم الكلام**، الصفحة ٣٥؛ محمد بن أحمد بن عرفة المالكي الدسوقي، **حاشية أم البراهين**، الصفحة ١٦٨.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ٢٥٥.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، **الصفحة** ٤١٨.

=

٢. صفة العلم:

وهو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء[١].

وعن هذه الصفة ذكر الشيخ البلاغي في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾[٢] ومعنى هذه الآية أي مما يعلمه اللّه، وعلمه لعباده، وفتح لهم باب إدراكه ولذلك فإن علم اللّه سبحانه أزلي، وإنه قد سبق في كل شيء، ولا يصح أن يقدر وقوع غير ما قد علمه، وفي قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ روى «الصدوق» في توحيده بسنده المفضل، عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أن العرش هو العلم الذي أطلع اللّه عليه أنبياءه وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحدًا»، وبسنده عن حفص بن غياث، عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -عن الكرسي في الآية – قال: «علمه»[٣].

٣. صفة القدرة:

وهي من الصفات السمعية العقلية لأنّ العقل يثبت أنّ للّه قدرةً، وأنّه على كل شيء قدير، وإن لم يكن كذلك لكان عاجزًا وهذا مستحيل بدليل ظهور وصدور هذا الكون، وهذا مظهر من مظاهر

---

(١) أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي الغدادي، **أصول الدين**، الصفحة ٩٥.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٥٥.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤١٩؛ الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، **معاني الأخبار**، باب معنى العرش والكرسي، الصفحة ٢٩، الحديث الأول؛ الصدوق، **التوحيد**، الصفحة ٣٢٧، الحديث الأول.

قدرته وعظمتـه، وقدرته جل وعلا صالحة فـي كل وقت لإيجاد كل ممكن[1].

وفـي قولـه تعالـى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] بيـن البلاغي فـي هذه الآية أن اللّه سـبحانه هـو القادر، وله مـن مظاهر القدرة وعجائب التصرف بالكون ما يبهر العقـول، كما في قوله ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾[3]، الإيلاج: إدخال شيء في شـيء يحتوي عليه ويستره. ومعنى إيلاج الليل فـي النهار هو أنّ ما يكون في الدورة اليومية ليل أو جزء من الليل في بعض الفصول من السنة والأمكنة التي تبعد عن خط الاستواء، يجعله نهارًا في فصل آخر أو مكان آخر، وقد قدر اللّه نظام العالم بحكمته الباهرة في سـير الأرض أو الشمس على منطقة البـروج. وفي هذا النظام العجيب من الحِكَـم العظيمة وآثار القدرة وعموم الرحمة والعمران ما يبهر العقول[4].

٤. صفة السمع:

وهي صفة ذاتية للّه سـبحانه يثبتها العقل لأنه لو لم يكن يتصف بها لـزم اتصافه بضدها وهـي الصم، وهو نقص في حـق الخالق إذ لا يتصور أنّ الأصم يوجد هذا الكون المشـتمل علـى أنواع الأصوات، وليـس معقولًا أن يوجـد نوعًا مـن المخلوقات سـمعيًا وهو فاقد

---

(١) سابق السيد، **العقائد الإسلامية**، الصفحة ٦٥.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية ٢٦.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ٢٧.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥٠٢.

للسمع تعالى اللّه عن ذلك[١].

وقد بين الشيخ البلاغي صفة السمع بأنها من الصفات الأزلية الأبدية والتي لا يعتريها انقطاع وانقضاء[٢]، واستدل بأدلة نقلية كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٣].

٥. صفة البصر:

وهو صفة أزلية قائمة بذات اللّه تعالى تتعلق بالمبصرات أو الموجودات فتدرك إدراكًا تامًا لا على طريق التخيل والتوهم ولا عن طريق تأثر حاسة ووصول شعاع[٤].

وقد بين الشيخ البلاغي صفة البصر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥] أي بمعنى يا أيها الذين آمنوا، أو يا أيها الناس، إن اللّه سبحانه بصير لا يخفى عليه شيء من الأعمال التي تقومون بها، فاتقوا اللّه في أعمالكم، ومنها أقوالكم[٦].

---

(١) عبد الملك عبد الرحمن السعدي، **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية**، الصفحتان ٦٠ و٦١.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥٩٧.

(٣) سورة **النساء**، الآية ١٤٨.

(٤) أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي، **أصول الدين**، الصفحة ٩٧.

(٥) سورة **آل عمران**، الآية ١٥٦.

(٦) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٦٤٧.

٦. صفة الكلام:

وهو صفة أزلية قائمة بذات اللّه جلّ وعلا ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسي بأن لا يدير في نفسه الكلام مع القدرة عليه ومنزهة عن الآفة الباطنية بأن لا يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية[١].

وقد بين الشيخ البلاغي صفة الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[٢] في هذه الآية فضل اللّه تعالى الرسل وذلك بتكليمه، كموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مستفيضًا عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٣].

وخلاصة القول: أنّ في كل الآيات القرآنية التي تبحث في هذه المسألة (توحيد الصفات) تأكيدًا قويًا على امتلاك اللّه وحده هذه الصفات، ولذا يجب الإذعان له وحده المتصف بهذه الصفات التي هي ذاته[٤].

---

(١) مسعود بن عمر بن عبد اللّه (سعد الدين التفتازاني)، **شرح المقاصد**، الصفحة ٨٧؛ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، **الإنصاف**، الصفحة ٣٧؛ أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي، **أصول الدين**، الصفحة ٩٧.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٥٣.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤١٦؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، **المحاسن**، الجزء ٢، الصفحة ٦٩؛ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، الصفحة ٨٥.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٥٦.

المبحث الرابع:

التوحيد في الخالقية

توحيد اللّه في الخالقية: ومعناه أن لا خالق إلا اللّه سبحانه، ولا مؤثر في الوجود سواه. حيث يتخطى هذا التحديد المعنى الخاص للخلق الماثل في الإيجاد من العدم إلى ما هو أشمل منه سواء أكان عدمًا مطلقًا أو عدمًا نسبيًا. وهذا ما دفع الاتجاه الفلسفي أن يقرر، بأنه سبحانه[١]: «الفاعل المستقل في مبدئيته على الإطلاق، والقائم بذاته في إيجاده وعليته، وهو المؤثر بحقيقة معنى الكلمة، ولا مؤثر في الوجود إلا هو»[٢].

ومعنى الخالقية أنّه: «ليس في الكون خالق إلا اللّه سبحانه وأنّ الموجودات الإمكانية مخلوقة للّه تعالى وما يتبعها من الأفعال والآثار، حتى الإنسان وما يصدر عنه، مسند إليه سبحانه بلا مجاز وشائبة، غاية الأمر أنّ ما في الكون مخلوق له إما بالمباشرة أو بالتسبيب»[٣].

---

(١) كمال الحيدري، **التوحيد**، الجزء ٢، الصفحة ١١.

(٢) محمد حسين الطباطبائي، **نهاية الحكمة**، الصفحة ١٧٦.

(٣) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٢، الصفحة ٤٣؛ جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٣٥.

وعلى هذا يكون الإيمـان الحق في التوحيد الأفعالي للّه تعالى لأن اللّه سبحانه خالق جميع الموجودات وأقدرها على أفعالها وهي تستمد الحيل والقوة والعون منه تعالى فـي كل لحظة، والمكلف من الموجودات كالإنسان والجن اللّه سبحانه يعطيه القدرة ويمده بالاستطاعة، وكذا أقدره على الاختيار لأفعاله ولم يجبره على الفعل ولا فوض له بحيث يعمل من دون مدده والقدرة المستمدة له منه في كل لحظة.

ويذكر الشيخ البلاغي أنّ من ضروريات دين الإسلام – والمُجمع عليه بيـن جميع الفِرق المنُتحلة لدين سيّد الأنـام، بل ومن أعظم أركان التوحيـد – توحيـد اللّه سبحانه في تدبير العالـم، كالخلق والإماتة والإحياء، وإلى غير ذلك مما يرجع إلى تدبير العالم، كتسخير الكواكب، وجعـل الليل والنهـار، والظلم والأنوار، وإجـراء البحار، وإنزال الأمطار، وغير ذلك مما لا نحصيه ولا نحيط به[1].

وعـن كرامة القرآن الكريـم في حججه في خلـق العالم وخلقة الإنسان يقول الشيخ البلاغي: «وأنّ القرآن الكريم قد احتج على هذا الأمر بنحو العمـوم، ووبّخ العقول على غفلتهـا وغلبة الأوهام على وجدانياتها، حيث إنها تقضي في الأمور الجزئية الطفيفة المستحقرة في جنب نظـام العالم، وتحكـم بوجدانها بأنّ هذه الأمـور الجزئية الحقيرة لا بد من أن يكون وجودها بإيجاد عالم بغاياتها أوجدها لأجل الغايات، ومع ذلك يخادعها الوهم فـي خلقة العالم الكبير وما فيه

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرد على الوهابية، الجزء ٦، الصفحة ٣٣٠.

من الحكم والغايات»[١].

ففي قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[٢] فإنّ خالق هذا العالم بالنظام العجيب وموجده على الحكمة الباهرة، هل يمكن أن يكون لا يشعر ولا يعلم بغاية خلقه، ولم يوجد لأجل غاياته؟ كلا[٣].

ولم يكتف في حجته بهذا الإجمال وإن كان كافيًا لذوي العقول الحرة، بل استلفت شعور الإنسان إلى وجود لا يغيب عنه ولا يخفى عليه مهما خفيت الأشياء، ذاك هو خلق الإنسان ونشوؤه، وتناسل نوعه، وآلات نفعه، وخصائص صورته. كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[٤] وقوله: ﴿أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[٥] متجليًا بهذا الهيكل الإنساني الجميل الراقي في حسن الخلقة العجيبة والشعور[٦].

وكذلك احتج بالآلات الموجودة في الإنسان، التي يعرف عموم البشر عظيم نفعها في الحياة والمجتمع الإنساني، كما في قوله

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١١.

(٢) سورة **الملك**، الآية ١٤.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١١؛ **موسوعة العلامة البلاغي** - الرسائل الكلامية، دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، الجزء ٦، الصفحة ٣٠٩.

(٤) سورة **الطارق**، الآيات من ٥ إلى ٧.

(٥) سورة **مريم**، الآية ٦٧.

(٦) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١١.

تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[1] فإنه مهما جهل الإنسان بمنافع أعضائه وأجزائه، فإنه لا يجهل الأعجوبة من منافع العينَين في الرؤية، ومنافع اللسان والشفتَين في الكلام. وإن اختلف الناس في مبلغ إدراكهم لعجائب هذه الأعضاء، وكان الطبيب والمشرح يُدركان ما لا يدركه سائر الناس من العجائب والأسرار الشريفة في خلقه هذه الأعضاء وعظيم نفعها في الحياة[2].

ثم احتج بمبدأ الإنسان وخلقه وبعض أقسام شعوره الآلي، الذي يدرك كل أحدٍ من الناس أنه الشعور النافع في الحياة والمجتمع الإنساني، ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[3] المراد أفراد الإنسان، ومن ذا الذي يقول: لا؟ كل أحد يعلم أنه وبني نوعه قبل مدة لم يكن شيئًا مذكورًا ومعروفًا يُعتنى بهِ. وأين كان الإنسان قبل أن يولد بألف سنة؟ هل كان شيئًا مذكورًا؟ لا، إنّ أقدم عهده بمبدأ نشأته وامتياز وجوده[4]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[5].

ثم استلفت النظر والتدبر إلى صورة الإنسان ووجهه وإتقانها، واختلاف تراكيبها التي يعسر إحصاؤها وحدّها، مع قلة أجزاء الوجه

---

(١) سورة **البلد**، الآيتان ٨ و٩.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١٢.

(٣) سورة **الدهر**، الآية ١.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١٢.

(٥) سورة **الإنسان**، الآية ٢.

التي هي جبهة وحاجبان وعينان وخدان وأنف وفم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[١] بحيث تمتاز من بني نوعك على طبق الحكمة التي يقتضيها انتظام النوع الإنساني، فجعل كل واحد خلقًا سويًا معتدل التركيب بأجزاء متساوية النوع والعدد[٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[٣] أي بالانتظام والإتقان، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٤] هذا ما يعرفه كل أحد من نعمة الخلقة، فكيف إذا نظر العالم إلى أسرار خلقته، فينظر إلى عظامه التي هي دعائم لبدنه، وحفائظ لأجزائه الشريفة، ومعدلات لوضعه[٥].

وقد بنى القرآن الكريم احتجاجه في الإلهية على هذه المقدمة الفطرية البديهية التي عليها عمل البشر في جميع أدوارهم وأحوالهم، فوبّخ ذوي الأغراض على تغافلهم، ولذلك فإنّ هذه الآيات وغيرها تقيم الحجة على الناس بحسب شعورهم المشترك، وتؤكد الحجة على كل راق في الشعور بحسب رقيه في التنبه والعلم[٦].

---

(١) سورة **الانفطار**، الآيات من ٦ إلى ٨.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الآيتان ٣١٢ و٣١٣.

(٣) سورة **التغابن**، الآية ٣.

(٤) سورة **النحل**، الآية ٧٨.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣١٣.

(٦) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحات من ٣١٣ إلى ٣١٩.

وأما حجج القرآن الكريم في خلق السماوات والأرض حيث قال اللّه تعالى تأكيدًا للحجة وقطعًا للمعاذير: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] بالحقائق المتجلية، لا يغالط إيمانهم بها غمزات العصبية وفلتات التقليد الأعمى، ومكابرة الوجدان الحر بعبودية الهوى وشكوك الوساوس[٢].

فترى هؤلاء يهتدون بنور عقولهم ووجدانهم الحر في العرفان، كما يهتدون بذلك في سائر الأمور ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾[٣] أيها الناس، وما فيه من عجائب الغايات وإتقان الصنع وبدائع الحكمة الباهرة ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤] على نهج مستقيم في الاهتداء بأسباب اليقين ودلائل العلم. فلا تراهم يصرفهم الهوى عن اليقين مع وضوح الحجة. أو يلوي أفكارهم إلى زخارف الأوهام[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٦] وبال الجمود الأعمى، ونقائض الجهل المركب، ورذيلة اتباع الأهواء، ومكابرة الحجة الواضحة والوجدان الحر، ومضار الانحراف عن النهج الواضح، وهلكة الوقوع

---

(١) سورة **الجاثية**، الآية ٣.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٢.

(٣) سورة **الجاثية**، الآية ٤.

(٤) سورة **الجاثية**، الآية ٤.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٢.

(٦) سورة **يونس**، الآية ٦.

في تيه الضلال[١].

ولا حاجة لنا في أن نبهض الهيأة الجديدة بأن نقول: «إنّ السماوات أفلاك تامة منضدة في غاية اللطافة والشفافية، بحيث لا تحجب عن النظر شيئًا، ولا حاجة لنا أيضًا في المطالبة بالحجة الكافية على أنه ليس هناك أفلاك موجودة وسماوات منضدة، وأنه ليس الموجود إلا أجرام الكواكب تدور سياراتها في الفضاء، ويستقر مركز ثوابتها في الفضاء»[٢].

ولذلك فإننا لا نعتمد على الهيئة القديمة وما خيلته من دعاوى الأبعاد والأجرام والأفلاك الجزئية، فإن حجة القرآن الكريم لا مساس لها بشيء من ذلك، بل يمكن أن نجاري الهيأة الجديدة ونقول: إنّ المراد من السماوات: مراتب العلو المحددة بمدارات السيارات، فنحن نرى ما في السماوات من الكواكب العجيبة: من ثابتة في مركزها، وسائرة في مداراتها على نظامات مستمرة. وهذه الثوابت لماذا لم تعمل بها جاذبية؟ وبماذا لزم كل كوكب مركزه؟[٣]

وأما على وفق الهيأة الجديدة، فنحن نرى حركة أرضنا وسيرها على منطقة البروج بمدار بيضي، أبعده عن الشمس يكون عند السرطان في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وأقربها عند الجدي في النصف الجنوبي[٤]. و«إن أردت أن تلتفت إلى ما في هذا الوضع

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٢.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٣٢٢ و٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٣.

من الغاية العجيبة والحكمة الباهرة في التعديل، وموازنة الحر والبرد، والقرب والبعد من الشمس بحسب اليابسة المسكونة، فاعرف أنّ أقصى وصول اليابسة من أرضنا في جهة الجنوب إنما هو رأس القرن من أمريكا الجنوبية، وهو لا يزيد على الدرجة الخامسة والخمسين من العرض الجنوبي مع قلة المسافة في ما بين المشرق والمغرب وقلة الساكنين»[1].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] ومن تأكيد الاحتجاج المسوق بسياق الامتنان للّه والشكر، قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ لمنافعكم التي تعرفونها والتي لا تعرفونها، ومن منافعكم اعتباركم بخلقتها ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من نباتٍ ومياهٍ وحيوان ومعادن، فتبصروا واعتبروا، والتفتوا إلى ما في الأرض والبحار والنبات والحيوان من مظاهر قدرة الإله وإرادته وحكمته ورحمته[3]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، أي جهة العلو، والتعبير بالاستواء مجاز باعتبار توجه إرادته وحكمته إلى خلق السماوات في العُلو بعد أن خلق الأرض وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، وفسّر إفهام الضمير بقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ مما خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾، كما يظهر على المخلوقات دلائل علمه وخلقه بالإرادة على مقتضى حكمته[4].

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٣.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٩.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ١٦٩.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٥، الصفحة ١٦٩.



وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وهذه الآية هي احتجاج بخلق الأرض وما فيها من خصائص هذا الكون وآثاره، فيعرفون دلائل القدرة وآثار الحكمة ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] لزوم تعليل الحادث وآيات قصد الغايات[3].

وعلى هذا «قد أوضح القرآن الكريم ما بلغه سير العلم بعد جهد جهيد، من أنّ كل ثمرات التوالد ونتاج التوليد الذي يبقى به النوع من الحيوان والنبات»[4] وانظر إلى ما يبث في الدنيا من دابة، وتأمل في عجائب الخلق فيها ومواقع الحكمة. وانظر إلى الإبل وتسخيرها لمنافع الإنسان في المفاوز المعطشة والمسافات البعيدة، تصبر على العطش وتقنع بالحطب. وكذلك انظر إلى الحكمة كيف راعت أحوالها مع الأحمال الثقيلة، ونظرت إلى جسر ظهرها الطويل وضعفه عن معاناة الحمل الثقيل وصدمة ارتجاجات الأحمال وزيادة ثقلها عندما تنهض للقيام وعندما تبرك فجعل لها السنام؛ لكي تكون كيفية تحميلها على نحو يتوجه فيه الثقل من الأحمال وارتجاجاتها إلى قوائم يديها ورجليها، فتكون قوائمها هي

---

(١) سورة **الرعد**، الآية ٣.

(٢) سورة **الرعد**، الآية ٤.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٣١.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٣١.

الدعائم المقاومة للثقل الكثير[1].

وأيضًا جعل لها في صدرها ثفنةً تعتمد عليها عند النهوض، وتسهل تحريك يدَيها للقيام، وتقي عظام صدرها من ضغط الحمل وثقيل ارتجاجه. وراعت الحكمة طول أعناقها فجعلت تركيبها عموديًا؛ لكي تخف وتعين بخطرانها على المشي وجعلت أخفافها عريضةً لينةً؛ مراعاةً لعلوها وكبر جثتها وثقل أحمالها[2].

وأما احتجاج القرآن الكريم في خلق العالم، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3]؛ لأنه إله العالم ومدبره وخالقه، وكل ما عداه محتاج إليه في ذاته وأموره، فكل أمر من شؤون العالم يرجع إليه، وكُرر اسم الجلالة للإيماء إلى وجه رجوع الأمور إليه؛ لما في اسمه المقدس من معنى الألوهية والسلطان العام[4].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[5] وقد احتج اللّه سبحانه، على المتغافلين عن خالق العالم فقال جلّ وعلا ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي يخلقهم ويوجدهم بعد عدمهم، أيمكن في الشعور أن يقولوا «أَمْ» يقولون: إنهم ﴿خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾؟ هذا العالم الكبير

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٣٢.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ١٠٩.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥٩٥.

(٥) سورة **الطور**، الآيتان ٣٥ و٣٦.



هل خلقوه وهو عدم وقبل وجودهم؟ إذن «لا محيص للعلم وشرف الشعور والإنسانية عن الانتهاء بالتعليل لفاعلية الإيجاد إلى الفاعل الأزلي، ولا يمكن وصفه بالأزلية إلا أن تعترف له بوجوب الوجود والاستغناء في نفسه عن الموجد، ولا نقدر أن نصفه بوجوب الوجود ما لم نعترف له بلوازم وجوب الوجود ونلتزم بها، وما لم تنزه ذاته المقدسة عن منافيات وجوب الوجود»[1].

وقد أسلفنا دلالة الفطرة وحكم الشعور والوجدان السليم، على أن هذا الواجب الموجد للعالم لا بد من أن يكون عالمًا، قد أوجد موجداته لأجل غاياتها التي يعلمها ويقدرها بعلمه قبل وجودها[2]. وخلاصة القول: أنّ القرآن الكريم والعقل يدلان على أنّ اللّه خالق الخلق بمشيئته، وأن العالم صادر عن خلق وإرادة[3].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٣٤٣.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤٣٥.

المبحث الخامس:

العدل الإلهي

من صفات اللّه المهمة التي وقع فيها البحث والنقاش صفة العدل، وهي وإن كانت من صفات الأفعال ولكنها صارت بمـا دار حولها من خلال ما يترتب عليها من آثار موضوعًا مسـتقلًا وأصلًا قائمًا برأسه عن أصول الدين، كما أنّ بعض الأصول مترتب على هذا الأصل لا سـيما مسألة المعاد وإرسـال الأنبياء وبعثهم وتنصيب الأئمة، فضلًا عن أنّ الأمـور التكوينية التي تحتاج في اسـتقامتها إلى صفة العدل في جانبها التكويني.

١. معنى العدل

العدل: هو وضع الأمور في موضعهـا، وإعطاء كل ذي حق حقه[١]، فعلى سبيل التمثيل إكرام المحسـن ومعاقبة المسيء هما مظهران من مظاهر العـدل؛ لأنّ المحسـن من حقه أن يثاب على إحسـانه والمسيء يسـتحق أن يعاقب على إسـاءته، ولو تبدلت القضية أو التزم بجزء منها وترك الآخر لكان ذلك خلاف العدل، وهو الظلم.

---

(١) جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، الصفحة ١٥٩.

وهناك فرق بين – العدل والمساواة – فكثيرًا ما نسمع كلمة المساواة معطوفةً على كلمة العدل فيخيل إلينا أنهما واحد، ولكن الحقيقة أن العدل غير المساواة، فالمساواة هو التوزيع بالتساوي متطابقًا مع العدل، وذلك عندما يكون وضعًا للأمور في موضعها وقد يكون ظلمًا كما لو لم يكن كذلك.

وأنّ لكل شيء وضعًا خاصًا يقتضيه إما بحكم العقل، أو بنصّ الوحي وباعتبار المصالح الكلية والجزئية في نظام الكون، فالعدل هو رعاية ذلك الوضع وعدم الانحراف إلى جانب الإفراط والتفريط، وموضع كل شيء بحسبه، ففي نظام الطبيعة بوجه، وفي المجتمع البشري بوجه آخر، وبلحاظ اختلاف موارده تحصل له أقسام ليس هنا مقام بيانها، إلا أنّ موارد العدل الإلهي يجمعها أقسام ثلاثة:

أ. العدل التكويني: وهو إعطاؤه تعالى كل موجود ما يستحقه ويليق به من الوجود، فلا يهمل قابليةً، ولا يعطل استعدادًا في مجالات الإفاضة والإيجاد.

ب. العدل التشريعي: وهو أنه تعالى لا يهمل تكليفًا فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادية والمعنوية، والدنيوية والأخروية، كما أنه لا يكلف نفسًا فوق طاقتها.

ت. العدل الجزائي: وهو أنه تعالى لا يساوي بين المصلح والمفسد، والمؤمن والكافر في مقام الجزاء بل يجزي كل إنسان بما كسب، فيجزي المحسن بالإحسان والثواب، والمسيء بالعقاب. كما أنه تعالى لا يعاقب عبدًا على مخالفة التكاليف إلا بعد البيان والإبلاغ[1].

---

(١) جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، الصفحة ١٦٠.



وبما أنّ العدل الإلهـي هو وضع الأمور فـي موضعها، وهو أمر حسن في نفسه وينبغي فعله بحكم العقل، والظلم بخلافه تمامًا، فلا يعقل صدور الظلم عن اللّه تعالى، وذلك لأنّ السبب الذي يدعو إلى الظلم هو الجهل والفقر والضعف ليس موجودًا في الذات المقدسة، وعلى هذا هناك عدة آراء للمسلمين حول هذا الموضوع.

٢. آراء المسلمين في العدل الإلهي

اتفق المسـلمون على الاعتقاد بعـدل اللّه سـبحانه إلا أنّ الإمامية توسـعوا في هذا الأصل كالمعتزلة الذين أثاروا جملة مسائل تحت هذا الأصل وهي: أنّ اللّه يسير بخلقه إلى غاية وأنه سبحانه يريد خير مـا يكون لهم، وتفرعت على ذلك نظريـة الصلاح والإصلاح، أي أن اللّه سـبحانه يجب عليه رعاية ما هو الأصلح لعباده، والثانية: نظرية الحسـن والقبح العقليَّين أي أنّ الحسـن والقبيح في الأشياء ذاتيان والشرع في تحسـينه وتقبيحه للأشـياء مخبر عنهما لا مثبت لهما. ومن عدله سـبحانه أنه لا يريد الشـر ولا يأمر به فقد أراد ما كان من الأعمال خيرًا أن يكون وما كان شرًا ألا يكون، وما لم يكن خيرًا ولا شرًا فهـو تعالى لا يريده ولا يكرهه، وآمـن المعتزلة كذلك بالتفويض أي أنّ اللّه لم يخلق أفعال العباد لا خيرًا ولا شـرًا وأن إرادة الإنسان حرة والإنسـان خالق أفعاله ومن أجله كان مثابًا على الخير ومعاقبًا على الشر[1].

---

(١) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، الجزء ٣، الصفحات من ٤٤ إلى ٦١؛ الصاوي الجويني، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم**، الآيات من ١١٤ إلى ١٢٦.

ويتفق المعتزلة مع الإمامية فـي أغلب موارد هذا الأصل، وأما الأشاعرة فقالوا لا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، فلا حسن إلا ما حسّـنه الشارع ولا قبيح إلا ما قبّحه، وكذلك قالوا أنه يمكن أن يصدر عن اللّه تعالى مـن الأفعال ما تحكم عليـه عقولنا بأنه ظلم، حيث فهموا أنه لا مانع من أن يفعل اللّه تعالى أي شيء حتى لو كان ذلك بنظرنا ظلمًا للعباد، ولما اعتبروا أنّ الحسـن ما حسّنه الشارع والقبيح ما قبّحه الشارع فصدور ما نراه نحن ظلمًا عن اللّه تعالى لن يكون قبيحًا ما دام هو قد فعله فبفعله له يصبح حسـنًا وعدلًا. وأما الإمامية لم يوجبوا على اللّه سـبحانه فعل الأصلح بمعنى أنه محكوم به وإنما ذلك من شأنه سـبحانه؛ وكذلك لم يتفقوا مع المعتزلة في أفعال العباد فالإماميـة لا تقول بالجبر ولا بالتفويض وإنما هي منزلة بينهما[1]، كما روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرَين»[2].

---

(١) محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الإلهية**، الصفحتان ٨٥ و٨٦؛ علي الأوسي، **الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان**، الصفحة ٢٤٤؛ مرتضى مطهري، **العدل الإلهي**، الجزء١، الصفحة ٢٢؛ الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، **نهج الحق**، الجزء ١، الصفحة ٨٩؛ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، الجزء ١، الصفحة ١٢٢؛ علي بن محمد الآمدي، **الأحكام في أصول الأحكام**، الجزء ١، الصفحة ٧٦؛ محمد محسن آغا بزرك الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الجزء ٧، الصفحة ١٧؛ عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف الجويني، **الشامل في أصول الدين**، الصفحة ٢٢؛ أبو بكر محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، الصفحة ١٤٥؛ جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، الصفحة ١٦٥.

(٢) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٥، الصفحة ١١، الحديث ١٨.

وقد أنبأ اللّه سبحانه في كتابه العزيز أنّ تشريعاته منظور فيها إلى مصالح الإنسان ومفاسده ومرعي فيها أصلح ما يعالج به نقص الإنسان، قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[١] و﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٣] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[٤]، وهذه الآيات وأمثالها إمضاء لطريقة العقلاء في المجتمع وعليه فالأحكام الشرعية التي شرعها اللّه تعالى مرعي فيها ذلك[٥] كما أنّ خلقه تعالى الأشياء وإيجاده لها يستلزم ملكه لوجوداتها وملك تدبير أمرها[٦] قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٧] وعليه فإن من نعمه سبحانه التي منَّ بها على عباده أنه أوجب على نفسه سبيلًا قاصدًا يوصل الناس إلى سعادة حياتهم فجعله لهم وهداهم إليه[٨]، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩] وقد نسب قصد السبيل إلى نفسه دون السبيل الجائر، لأن سبيل الضلال ليس مجعولًا له[١٠].

---

(١) سورة **الأنفال**، الآية ٢٤.

(٢) سورة **الصف**، الآية ١١.

(٣) سورة **النحل**، الآية ٩٠.

(٤) سورة **الأعراف**، الآية ٢٨.

(٥) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٩٥.

(٦) المصدر نفسه، الجزء ١٤، الصفحة ١٦٧ والجزء ١٨، الصفحة ٩٦.

(٧) سورة **طه**، الآية ٥٠.

(٨) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ١٢، الصفحة ٢١٢.

(٩) سورة **النحل**، الآية ٩.

(١٠) علي الأوسي، **الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان**، الصفحة ٢٤٤.

٣. رأي البلاغي في العدل الإلهي

في مسألة تحسين الفعل أو تقبيحه يستند البلاغي إلى عقلانية الحسن والقبح، فالعقل تنكشف له الحقائق على ما هي عليه من الصفات؛ فالناس وحتى الظالم يدرك بعقله وإدراكه الإنساني قبح حكم الحاكم وانقياده إلى الجور ويراه منافيًا لعقليته والشعور العقلاني والوجداني الإنساني وإن لاءَمَ نفسيته ووافق مطلوبه الشخصي ويرى نقصان الحاكم بالجور واستحقاقه للمذمة، وإنه ليذمه وينتقصه وإن وافق هواه، وفي الوقت نفسه فالناس وحتى ذلك الظالم بذاته يقدر بعقله ووجدانه الإنساني حسن عدل الحاكم واستحقاقه كرامة المدح والثناء إذا ما عدل في حكمه.

فالحسن والقبح صفتان ثابتتان للفعل بحسب العقلية المشتركة بين البشر يدركهما العقل مهما اختلفت النفسيات واضطربت الأهواء[١].

ويضيف البلاغي: أنّ الحسن والقبح هما صفتان لازمتان للأفعال والتروك يدركهما العقل بنورانية إدراكًا ويدرك أنّ ارتكاب الفعل القبيح أو الترك القبيح صفة نقص تنافر الكمال، ويقبح صدور ذلك من الإنسان لأنه نقص منافر للكمال، والجهة التي يدور مدارها في التحسين والتقبيح هي صفة الفعل من حسن أو قبح وكمال الفاعل الذي يكشف عن لياقته ولذا لا يحكم على البهائم كما يحكم على الإنسان بالنقص واستحقاق الذم بارتكاب بعض الأفعال والتروك، وهل يعمى العقل فلا ينزه جلال اللّه وكماله من منقصة الكذب

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤١٧.

والخداع، ولا يحكم العقل ولا يتحكم على اللّه بل يفتخر بأنه يعرف جلال اللّه وقدسه فيعرف أنه جلّ جلاله منزه عن صدور القبيح. ولا يلوث العقل نورانيته بالقياس، بل لا يحكم إلا حيث تتجلى الحقيقة لنورانيته بأثبت من نور العين ولمس اليد[١]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾[٢] بحيث تعرفون إذا نظرتم بعين البصيرة أنه سوء يزجر عنه العقل والشرع[٣]. وقد ذهبت أقوال المتكلمين بعضها إلى جبر وأخرى إلى تفويض مع تفصيل في هذَين المبدأين.

وقد اعتنى البلاغي في دفع دعوى وتوهم معنى الجبر في عدد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾[٤] بدعوى أنّ الآية تدل على أنّ اللّه يأمر بالفسق، تعالى اللّه عن ذلك.

إنّ هذه الدعوى تعارض المبادئ والثوابت التي استدل عليها بالقرآن الكريم والعقل، فهناك آيات محكمة تصرح بأن اللّه ينهى عن الفحشاء، والمنكر، والبغي وأنه يأمر بالعدل والإحسان فيفهم أنّ اللّه يأمر المترفين بالصلاح، والعدل، والإحسان، وأنّ خلاف ذلك يوجب اختلافًا كبيرًا في القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٥] ولماذا لم يفهم منها أنّ أهل القرية إذا خالفوا بديهيات عقولهم في المعارف الإلهية وأعمال الصلاح والفساد وعبدوا

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحتان ٤١٩ و٤٢٠.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٦٩.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٧٨.

(٤) سورة **الإسراء**، الآية ١٦.

(٥) سورة **النساء**، الآية ٨٢.

أهواءهم واستحقوا النكال قطعًا لدابر المفسدين وأراد اللّه بحكمته أن لا ينـكل بهم إلا بعد تأكيد الحجة عليهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١]، فيأمرهم اللّه باتّباع الهدى.

لكن هـؤلاء المترفين عبيد الشـهوات المألوفة لهم أسـرع إلى الفسـق، ويتسـاهل الباقون في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيفسـقون بذلك أيضًا فتتم الحجة على الجميع ويحق عليهم العذاب[٢]. وكذلك يدفع البلاغي توهم الجبر في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٣] بأنّ الحسنات والسيئات وأعمال الأثم من عنده سبحانه.

وكذلك قوله تعالـى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٤]. فلو كان اللّه هو الخالق للأفعال الأثيمة أو أنه يلجئ الإنسان إليها إلجاءً لا محيد عنه، إذن لـكان من العبث واللغو نهيه للخاطـئ الأثيم، ويكون من الظلم الفاحش توبيخ الإنسـان وذمه وعقابه على صدور فعل الإثم، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا[٥].

وفـي دفع توهـم فعل الرمـي والقتـل للّه سـبحانه في قوله تعالـى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ١٥.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤١٠ و٤١١.

(٣) سورة **النساء**، الآية ٧٨.

(٤) سورة **الزمر**، الآية ٦٢.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤١٣ و٤١٤.



ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] ومن خلال استدلال قرآني بآيات أخرى وبتأمل وتدبر يذكر البلاغي: أنكم لم تقتلوا المشركين ولم تأسروهم بقوتكم بل اللّه هو الذي سبب بنصره وإعانته قتلهم فكانت نسبة قتلهم إلى اللّه الولي، وكذلك ما رميت أنت بقوتك البشرية تلك الرمية التي أثرت ذلك الأثر الكبير إذ أخذت كفًا من حصاء ورميت به المشركين وصار كل واحد من صدمتها مشغولًا بنفسه[2]. والذين يزيدهم اللّه مرضًا، فهم الذين في قلوبهم مرض ﴿فَزَادَهُمُ﴾ بحرمانهم التوفيق و (مَرَضًا) على وتيرة من تمرد بالطغيان فوكله اللّه إلى نفسه المنهمكة بالقبح مذ أسْلَسَت قيادها للهوى والشيطان[3].

ويشير البلاغي إلى حشد من الآيات المباركة التي توهم الجبر وتنسب الإضلال والختم والطبع للّه سبحانه ويعتبرها من الآيات المتشابهة التي تحتاج لإعادة إلى محكم القرآن الكريم لبيانها وتفسيرها، فالإضلال: هو قطع العناية عن المتمرد في جذبه إلى الإيمان والصلاح بسبب خروجه عن أهلية هذه العناية فاستعير لذلك لفظ «الإضلال» إشعارًا أو إلفاتًا إلى نعمة العناية وكبير أثرها في الاهتداء، وكذلك فالقرآن الكريم يصرح بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[4] أي لا يرفع

---

(١) سورة **الأنفال**، الآية ١٧.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤١٥.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ١٥٣؛ **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء٥، الصفحة ٤٠٦؛ قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، سورة **البقرة**، الآية ١٠.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، =

عنهم عنايته بالتوفيق بعد إذ هداهم بدلالة العقل في معرفة الحسن والقبيح حتى يبين لهم ما يجتنبونه من المآثم والرذائل.

وتتوضح الصورة في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾[1]. فهذا الذي لم تنفع به دلائل العقل والمواعظ والزواجر بل انهمك باتّباع هواه فإنه قد رفع اللّه عناية التوفيق عنه باستحقاقه فلم يوفّق سمعه ولا قلبه للانتفاع بما سمعه من النصح ولم يوفق قلبه للإذعان بما ينفعه[2].
وعن مشيئة اللّه سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]، ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[5].

فالقرآن لم يقيد مشيئة الإنسان للإثم بمشيئة اللّه، ولم يقل ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في مقام ذكر العصيان لمشيئة اللّه هنا إنما هي كناية عن هداية اللّه وإرشاده وتوفيقه لتمهد له سبيل الهدى وتنور الإرادة الحرة فترجح جانب الاستقامة وأخذ السبيل إلى اللّه والإيمان به[6].

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞

= الجزء ٥، الصفحة ٤٠٥؛ سورة **التوبة**، الآية ١١٥.
(١) سورة **الجاثية**، الآية ٢٣.
(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٠٦ و٤٠٧.
(٣) سورة **التكوير**، ٢٩.
(٤) سورة **الدهر**، الآية ٣١.
(٥) سورة **الأنعام**، الآية ١١١.
(٦) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٠٩.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[١]، فلم يقيد القرآن إرادة الإنسان ولم يعلق فعله بأنواعه على مشيئة اللّه بل لم يعلق إلا الفعل الذي يجزم الإنسان بغروره بأنه سيفعله بقدرته في المستقبل[٢].

كما أنّ إرادة اللّه مما يقتضيه اللطف والحكمة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٣] وقد عبّر عن إرادته التكوينية في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾[٤] بالموت إشارة إلى أنّ قدرته لا تحتاج إلى عمل وممارسة مقدمات[٥].

وقد دفعته شدة اعتنائه بدفع توهمات الجبر في آيات القرآن الكريم أن يرصد حروفًا في الآية ليضع لها قاعدةً عامةً تبين معطياتها من خلال هذه القاعدة دفعًا لتوهمات الجبريين فعن «اللام» في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[٦]، وأمثال هذه الاستخدامات يقول البلاغي: «اللام للعاقبة، والحصر إنما هو باعتبار العاقبة لا حكمة التشريع أي العلم بالاتباع وعدمه وليس القصد معرفة حكمة التشريع ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ متعلق بتعلم لما في العلم بأحد الفريقَين من التمييز له عن الفريق الآخر ومثل ذلك في القرآن كثير كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة **الكهف**، الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٠٩.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ٢٥٣.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ٢٤٣.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤٠٤.

(٦) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿وَلَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾[2]، ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[3]، ﴿وَلَيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾[4]، ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾[5]، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ﴾[6]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[7] والوجه في كل هذه الموارد وأمثالها واحد وهو أنّ علمه التابع سبحانه، وإن كان أزليًا أبديًا لكن لمقارنته الوجود المعلوم في الخارج أثر ووقع في الزجر والتوبيخ أو البشرى عند الناس ولأجل هذا الأثر والواقع جرى مجرى التعبير بالفعل المستقبل في هذه الموارد باعتبار تلك المقارنة والعلم المقارن، وعلى هذا النهج جرى التعبير في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾[8] كما ورد في أكثر من عشرين موردًا وإن كانت إرادته أزليةً وأيضًا لو قيل ليقع ذلك لأوهم الجبر مع أنه تفوت فائدة الإعلام بكون اللّه عالمًا به. ولو قيل ليقع ما هو معلوم للّه بالعلم الأزلي لثارت شبهة الجبر وقالوا إذن أنّ العبد لا يقدر على الترك إذ يلزم منه أن ينقلب علم اللّه جهلًا ولم يلتفتوا كما لم يلتفتوا إلى أنّ هذا العلم تابع لا أثر له في قدرة العبد[9].

---

(١) سورة **آل عمران**، الصفحة ١٦٦.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية ١٦٧.

(٣) سورة **المائدة**، الآية ٩٤.

(٤) سورة **الحديد**، الآية ٢٥.

(٥) سورة **الكهف**، الآية ١٢.

(٦) سورة **سبأ**، الآية ٢١.

(٧) سورة **محمد**، الآية ٣١.

(٨) سورة **البقرة**، الآية ١٨٥.

(٩) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٢٥٧ و٢٥٨.

وكذلك «لعل» في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١] أي لأجل أن تهتدوا إلى معرفة لطف اللّه بإتمام النعمة بذلك عليكم وقطع حجج المجادلين لكم، ولما كان الاهتداء من أفعال الإنسان وناشئًا عن اختياره للتفكر ومجانبته للشكوك والأهواء وعنادها قيل في تعليله «لعل» وكذا كل غاية في القرآن هي من أعمال العباد وراجعة إلى اختيارهم نحو ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

وحين يحرص البلاغي على دفع أي توهم جبري أو يبطل أية نسبة لأفعال ناقصة له سبحانه، أو ينفي خلق اللّه لفعل العباد فإنه بذلك يحقق مبدأً عدليًا مهمًا في تنزيهه سبحانه من صفات النقص والحدوث والحاجة والظلم وغيرها، فحين يستهزئ اللّه بطائفة من المنافقين بعد أن قالوا لشياطينهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[٣] فمعنى استهزائه بهم هو أن يمهلهم ويخولهم من حطام الدنيا وحياتها شيئًا، وأنّ مصيرهم في عاقبة ذلك إلى أخس الهوان وأشد العذاب فاستُعير لذلك لفظ الاستهزاء لمشابهته له في ابتهاجهم لظاهر الإمهال والتخويل[٤].

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٥٠.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٦٦.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ١٤.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ١٥٥.



الفصل الثاني

حقيقة النبوة في فكر البلاغي

وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معالم الوحي عند البلاغي.

المبحث الثاني: حقيقة النبوة وأدلتها عند البلاغي.

المبحث الثالث: المعجزة ودلالتها عند البلاغي.

المبحث الأول:

معالم الوحي عند البلاغي

أولًا: الوحي لغةً واصطلاحًا

١. الوحي لغةً

«الوحي» الكتاب وجمْعه «وحيٌّ» مثل حلي وحُليّ»[١].
وهو «الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك»[٢]، «والوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا»[٣].

«والوحي ما يوحيه اللّه إلى أنبيائه»[٤]، وقال «ابن دريد» (توفي عام ٣٢١هـ) «أصل الوحي الكتابة على الحجر»[٥]، أما «الراغب الأصفهاني» (توفي عام ٥٠٢هـ) فيقول: «أصل الوحي الإشارة

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، الصفحة ٢٩٧.
(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، الجزء ١٥، الصفحة ٣٧٩.
(٣) المصدر نفسه، الجزء ١٥، الصفحة ٣٨١.
(٤) المصدر نفسه، الجزء ١٥، الصفحة ٣٨٠.
(٥) أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ابن دريد، **جمهرة اللغة**، الجزء ٢، الصفحة ٣٨٢.

السريعة، فأمر وحي يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب بإشارة ببعض الجوارح أو بالكتابة»[١].

٢. الوحي اصطلاحًا

الوحي: هو بمعنى «كلمة اللّه يلقيها إلى أنبيائه ورسله بسماع كلام اللّه دونما رؤيته تعالى»[٢] وكذلك الوحي هو «عبارة عن الرابطة المعنوية التي تحصل للأنبياء عن طريق الاتصال بالغيب، لتلقي الرسالة السماوية، والرسول هو المستلم للرسالة التي تأتيه بواسطة هذا الاتصال - الوحي - من الجهة المرسلة، ولا تتوفر في غيرهِ الأهلية والقدرة على مثل هذا التلقي أو التسلم»[٣].

وعلى هذا، فالوحي هو «إلقاء للمعارف والأفكار والخواطر في الخفاء والسرعة وبطريقة تكاد تخفى علينا»[٤]، وأيضًا هو «عبارة عن فكرة يدركها الإنسان مصحوبة بالشعور الواضح بأنها ملقاة من طرف أعلى بالطريقة التي تم فيها الإلقاء»[٥]، مما يعني «أنّ الوحي هو المنبع الوحيد للمعرفة في النبوة السماوية، والخلفية الأصيلة لعلوم الأنبياء ومعارفهم»[٦]، ولذلك «فالوحي حصيلة الاتصال

---

(١) أبو القاسم الحسين بن أحمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ٥١٥.

(٢) مرتضى العسكري، **المصطلحات الإسلامية**، الصفحة ٦١.

(٣) محمد هادي معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٣.

(٤) ستار الأعرجي، **الوحي**، الصفحة ٣٨.

(٥) علاء الدين المدرس، **الظاهرة القرآنية والعقل**، الصفحة ٧٣.

(٦) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد في الإسلام**، الجزء ٢، الصفحة ٥٥.

بعالم الغيب»[١]، وهو «ليس ناشئًا عن الغريزة أو العقل بل هو علم خاص يفيض بـه اللّه تعالى على الأنبياء خاصةً، ليبلغوا الرسـالات الإلهية إلى البشـر»[٢]، فإذن الوحي هو الدعامـة الأولى التي تقوم عليها الرسـالة والوحي يمثل جوهر الرسالة بما يوحي إليه من عقيدة وتشريع وما يبلغه إلى النبي من دعوة الناس إلى الدين.

وهناك معان مختلفة للوحي وردت فـي القرآن الكريم فأحيانًا يكون خاصًا بالأنبياء وأحيانًا أخـرى بالناس العاديين ومرةً ثالثةً يكون خاصًا بالشياطين ومرةً رابعةً يكون خاصًا بالحيوان[٣]، ويمكن إجمالها بالآتي:

أ. الوحي بمعنى الإلهام قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[٤].

ب. الوحي بمعنى الإشـارة كمـا في قوله تعالـى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٥].

ج. الوحي بمعنـى التقدير كما في قوله تعالـى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[٦].

د. الوحـي بمعنى الأمر كما فـي قوله تعالـى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[٧].

---

(١) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٩.

(٢) جعفر السبحاني، **العقيدة الإسلامية**، الصفحة ١٢٦.

(٣) أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري، **وجوه القرآن**، الصفحة ٥٨٩.

(٤) سورة **النحل**، الآية ٦٨.

(٥) سورة **مريم**، الآية ١١.

(٦) سورة **فصلت**، الآية ١٢.

(٧) سورة **المائدة**، الآية ١١١.

هـ. الوحي بمعنى الأكاذيب كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[١].

و. الوحي بمعنى الأخبار كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٢].

ز. الوحي بمعنى الرسالة أو النبوة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٣].

ثانيًا: الوحي في الفكر (اليهودي، والمسيحي، والإسلامي)

إنّ دلائل الوحي عند اليهود تنقسم إلى قسمَين: وحي مكتوب، ووحي شفهي[٤].

١. الوحي المكتوب: في الألواح، ويتمثل **بالتوراة** التي تمثل الشرائع اليهودية وتعاليمها ويرون أنّ الكتابة فيها هي كتابة اللّه وصنعته «قال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وأقم هنا حتى أعطيك

---

(١) سورة **الأنعام**، الآية ١١٢.
(٢) سورة **الأنبياء**، الآية ٧٣.
(٣) سور **النساء**، الآية ١٦٣.
(٤) ستار جبار حمود الأعرجي، **الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي**، الصفحة ٢٩.

لوحَي الحجارة والشـريعة والوصية التي كتبتهـا لتعليمهم»[١]، «ثم أدار موسـى وجهه ونزل من الجبل ولوحا الشـهادة في يده. لوحان مكتوبان على وجهيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبَين، واللوحان هما صنع اللّه والكتابة هي كتابة اللّه منقوشة على اللوحَين»[٢].

٢. الوحـي الشـفهي: ويتمثـل بالتلمود الذي أرسـل على يد موسى شـفاهًا والهدف منه التفريق بين اليهود وغيرهم في حالة لو تسلطت عليهم أمة أخرى[٣]، فالتلمود عبارة عن مجموعة من قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات تعتبر توراةً شفهيةً[٤]، وللتلمود أهمية كبيرة عند اليهود حتى نص فيه أنه «لا شغل للّه في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة»[٥].

وهذا الوحي بقسـمَيه قد نـزل على دفعات كمـا أثبت ذلك الشـيخ «البلاغي» وذلك ردًا على بعض الكُتاب من الأديان الأخرى الذين يتهمون الإسـلام بكونه نـزل بصورة متدرجة بينمـا كتبهم قد نزلت دفعةً واحدةً وهو دليل لكمال هذه الكتب كما يزعمون ومنهم – كما ينقل الشـيخ «البلاغـي» – المتكلف صاحب **كتـاب الهداية** وجرجيس سـايل صاحب **المقالة** التي ترجمها هاشـم العربي وهي **مقالة في الإسلام**[٦].

---

(١) **سفر الخروج**: ٢٤: ١٢-١٣.

(٢) **سفر الخروج**: ٣٢: ١٥-١٦.

(٣) ستار جبار حمود الأعرجي، **الوحي ودلالاتـه في القرآن الكريم والفكر الإسلامي**، الصفحة ٢٩.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٢٩.

(٥) سليمان مظهر، **قصة العقائد بين الأرض والسماء**، الصفحتان ٣٣٣ و٣٣٤.

(٦) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٢٦.

وقد ذكر الشيخ «البلاغي» نصوصًا من التوراة نفسها للتدليل على ما ذهب إليه ومنها: عندما كان موسى يرعى غنم كاهن مدين[١]، ثم في مدين[٢]، ثم في مصر في دفعات متراخية بحسب الزمان إلى عبور بني إسرائيل البحر[٣]، ثم في ماره[٤]، ثم في برية سينا حين أنزل المن بعد الخامس عشر من الشهر الثاني لخروجهم من مصر[٥]، ثم رفيد يم[٦]، ثم في برية سينا بعد الشهر الثالث لخروجهم من مصر[٧].

وتتابع الوحي في دفعات متراخية في جبل سينا وبريته، إلى أن ارتحلوا منها في العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر[٨]، ثم في قبروت هتاوة[٩]. ثم في حضروت[١٠].

وهكذا يستمر الشيخ بذكر أسفار التوراة سفرًا بعد آخر حتى يقول: «فكانت مدة نزول الوحي والشريعة على موسى بالتدريج والتعاقب من المدة التي كان فيها يرعى غنم كاهن مدين في حوريب إلى أن توفى في أرض مواب ما يزيد على إحدى وأربعين

---

(١) **سفر الخروج** ٣: ١.
(٢) **سفر الخروج** ٤: ١٩.
(٣) **سفر الخروج** ٥ - ١٤.
(٤) **سفر الخروج** ١٥: ٢٥.
(٥) **سفر الخروج** ١٦.
(٦) **سفر الخروج** ١٧.
(٧) **سفر الخروج** ١٩.
(٨) **سفر العدد** ١٠: ١٢.
(٩) **سفر العدد** ١١.
(١٠) **سفر العدد** ١٢.

سنة على أنه لم يُعرف من التوراة الوقت الذي أوحى فيه سفر التكوين إلى موسى ومقتضى صراحة التوراة، إنّ كتابة موسى لها في كتاب وجمعها كان في آخر عمره الشريف عند إتمام الشريعة كتب هذه التوراة وسلمها للكهنة وشيوخ بني إسرائيل وأمرهم بوضعها بجانب تابوت عهد الرب»[١].

وبعد ذلك يقوم الشيخ «البلاغي» باستعراض النصوص التي تدل على أنّ بقية أسفار العهد القديم قد تمت على نفس المنوال فيبدأ بكتاب أشعيا، فيقول «وأما وحي أشعيا فقد كان متراخيًا في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا»[٢]، «وكانت مدة هؤلاء الأربعة مائة وثلاث عشرة سنة»[٣]، وبعده كتاب وحي هوشع وكذلك كتاب وحي دانيال وزكريا[٤].

وهكذا يثبت الشيخ «البلاغي» مقصده وهو نزول الوحي بالتدرج وليس دفعةً واحدةً عن طريق منهج نقلي اعتمد من خلاله على العهد القديم نفسه، ليكون حجةً على أصحابه الذين يدعون بأنه كتاب وحي فهم ملزمون بما جاء به.

أمّا الوحي في الفكر المسيحي فقد قالَ عنه الباحثون في تاريخ الأديان الإلهية السماوية بأنه عبارة عن الإلهام، فالله يترك الحرية

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٢٤ و٢٥.

(٢) **سفر إشعياء** ١: ١.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحتان ٢٤ و٢٥.

للأنبياء ليستخدموا أرواحهم وذكاءهم وأذهانهم وذاكرتهم فيما يكتبون، فيكون وحيًا وبذلك يكون الوحي عند المسيحين لا يتلقى نصًا[١].

«وأن المسيح كان يقول لقومه أنه يوحى إليه من عند اللّه وأن التعاليم التي يبلغها لهم ليست من عنده، وإنما يوحى بها إليه من ربه، وذكر اللّه المسيح في جملة من يوحى إليهم من النبيين»[٢]، في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٣].

بعد أن اعتمد المسيح من يوحنا ونزول الروح القدس عليه، أصعده الروح وأخرجه إلى البرية وصار يقوده فيها مع الوحوش أربعين يومًا، وتغيرت هيأة وجهه عندما تجلى اللّه له بإرسال موسى وإيليا، واضطرب بالروح إذ أخبر أنّ واحدًا من تلاميذه سيسلم. ولعل من هذا النحو كونه ليلة هجوم اليهود عليه في جهاد. وأما بطرس قد وقعت عليه غيبة وذلك حينما أوحي إليه حل جميع الحيوانات عند نزول الزنبيل. وكذا بولس حينما أوحي إليه بالخروج من أورشليم بل وكذا عندما عرج به إلى السماء. وأنّ يوحنا بن زبدي سقط في رؤياه كميت وكم تصرف به الروح وذهب به لا باختياره[٤].

«وكان عمر المسيح حينما اعتمد من يوحنا ونزل عليه الروح

---

(١) رحمة اللّه بن خليل الرحمن الهندي، **إظهار الحق**، الصفحة ١١؛ علي عبد المنعم عبد الحميد، **مذكرات في الثقافة الإسلامية**، الصفحة ١٣٢.

(٢) محمد وصفي، **الارتباط الزمني والعقائدي**، الصفحة ٣١٥.

(٣) سورة **النساء**، الآية ١٦٣.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٣٢ و٣٣.

القدس نحو ثلاثين سنةً، ومن المعلوم أن عمره الشريف حينما رفع إلى السماء كان نحو ثلاث وثلاثين سنةً، فتكون تعاليمه النبوية الإلهامية إلى ليلة الجمعة التي هجم فيها عليه اليهود، متدرجةً حسبما ذكر في الأناجيل في مدة ثلاث سنين[١]، وأنّ المسيح قبل أن ينزل الروح القدس ويحل عليه جاء إلى يوحنا ليعتمد بمعموديته، فمنعه يوحنا قائلًا[٢]: «أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي»[٣]، «وهذا ينادي بأنه يعرف يسوع بأنه المسيح حق المعرفة ويدل على ذلك أيضًا أنه كان يبشر بالمسيح ويقول للشعب المعتمدين منه»[٤]: «أنه سيأتي من يعمدكم بالروح القدس»[٥].

وأما قول بولس عن الوحي بأنه «كل الكتاب موحًى به من اللّه، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البِر؛ لكي يكون إنسان اللّه كاملًا متأهبًا لكل عمل»[٦]. وأنّ المسيح هو الموحى إليه من ربه وكتابه الإنجيل، أما الأناجيل الأخرى فهي غالبًا ما تكون محرّفةً، كما أنّ القرآن الكريم والعقل السليم يدلان بأوضح دلالة على أن في هذه الكتب شيئًا كثيرًا ليس من الإلهام والوحي أصلًا أي ليس من كلام اللّه لمخالفتها في أمور كثيرة مخالفةً لا تقبل التأويل[٧].

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحتان ٢٥ و٢٦.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٢٦٨.

(٣) **إنجيل متى** ٣: ١٣ و ١٤.

(٤) مركز إحياء التراث التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٢٦٨.

(٥) **إنجيل متى** ٣: ١١؛ **إنجيل مرقس** ١: ٧ و ٨؛ **إنجيل لوقا** ٣: ١٥ و ١٦.

(٦) **رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس** ٣: ١٦ و ١٧.

(٧) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٥٦.

أما الوحي في الفكر الإسلامي فإنه إدراك خاص متميز عن سائر الإدراكات، فإنــه ليس نتاج الحس ولا العقــل ولا الغريزة، وإنما هو شعور خاص، لا نعرف حقيقته يوجده اللّه سبحانه في الأنبياء، وهو شعور يغاير الشعور الفكري المشــترك بين أفراد الإنسان عامةً، ولا يغلط معه النبي في إدراكه، ولا يشتبه، ولا يختلجه شك ولا يعترضه ريب في أن الذي يوحي إليه هو اللّه سبحانه، من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر، أو التماس دليل، أو إقامة حجة، ولو افتقر إلى شيء من ذلك، لكان اكتسابًا عن طريق القوة النظرية، لا تلقيًا من الغيب، من غير توسيط القوة الفكرية[١]، وقال ســبحانه وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٢]، فإن هذه الآية تبين لنا أنّ الذي يتلقى الوحي من الروح الأمين هو (نفس) النبي الشريفة.

«إنّ الوحي مســألة دقيقة تحكي العلاقة الخاصــة بين الأنبياء وربهــم»[٣]، «وهكذا أوحــى اللّه تعالــى إلى خاتم النبييــن بالقرآن الكريم»[٤]، لأنّ الوحي هو «اتصال مباشر بين الرب وعبده المنتخب، ولعله أسمى درجات التكلم»[٥]، ولذلك حدد القرآن ثلاثة أنواع لهذا الاتصال في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٦].

فالنوع الأول: «إلا وحيًا» أي بلا واسطة مثل الرؤيا في المنام كما

---

(١) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٣، الصفحتان ١٢٨ و١٢٩.
(٢) سورة **الشعراء**، الآيتان ١٩٣ و١٩٤.
(٣) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد في الإسلام**، الجزء ٢، الصفحة ٥٥.
(٤) محمد وصفي، **الارتباط الزمني والعقائدي**، الصفحة ٣٩٧.
(٥) محمد تقي المدرسي، **من هدى القرآن**، الجزء ١٢، الصفحة ٤٠٣.
(٦) سورة **الشورى**، الآيتان ٥١ و٥٢.

حدث لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنوع الثاني: «من وراء حجاب» أي خارج المحيط وليس من خلفه كما خاطب اللّه سبحانه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[١]، والنوع الثالث: «يرسل رسولًا» أي من الملائكة فيبلغ عبده ما يشاء من أمره[٢].

وأن لتلقي الوحي وإبلاغه ثلاثة مقاطع هي:

١. تلقي الوحي منه سبحانه وتعالى حتى وصوله إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٢. وجود الوحي عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعدما يتنزل من اللّه عز وجل على قلبه.

٣. خروج الوحي المنزل من قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حتى يصل إلى الناس[٣].

وأنّ نزول الوحي على النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في مدة ٢٣ سنةً أي بصورة متدرجة وأنّ لهذا التدرج فائدةً مهمةً وهي مواكبة التطور للأحداث الجارية في زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وقد أثبت الشيخ البلاغي الحكمة من تشريع نزول الوحي بصورة متراخية أو متدرجة حيث يقول «لا بد من أن تكون كتب الوحي والتشريع جاريةً في كمالها على منهاج حكمة التدرج في نزول الوحي الإلهي»[٤]، وأنّ

---

(١) جوادي آملي، **الوحي والنبوة في القرآن**، الصفحة ٢٤١.

(٢) محمد جواد مغنية، **التفسير الكاشف**، الجزء ٦، الصفحة ٥٣٤.

(٣) كمال الحيدري، **عصمة الأنبياء في القرآن**، الصفحة ١١٩.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء٣، الصفحتان ٢٤ و٢٥؛ مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤٤.

القرآن الكريم قد نزل موافقًا لهذه الحكمة أي التدرج بالوحي الإلهي حيث يقول الشيخ البلاغي «لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات المتجددة آنًا فآنًا يتدرج في نزوله نجومًا الآية والآيتان والأكثر والسورة»[١].

ولقد كان للشيخ «البلاغي» رأي في بيان عدم حجية ما في كتب العهدَين على المسلمين وذلك بوجوه:

الوجه الأول: «أنه من المتعذر إيصال السند في كل واحد من هذه الكتب إلى الأنبياء معادن الوحي والإلهام»[٢].

الوجه الثاني: «أنه لا تمكن معرفة رسالة الأنبياء السابقين، وتعيين كتبهم الصادرة عن الوحي معرفةً يقينيةً، إلا بسبب إخبار رسول اللّه خاتم المرسلين، والقرآن الذي هو كلام اللّه بواسطة دلالة العقل على صدق رسول اللّه بدعواه الرسالة، وأنّ القرآن الكريم هو كلام اللّه العظيم فلو شككنا - والعياذ باللّه - بالرسول والقرآن كما يريدون، لم تبقَ لنا معرفة بنبي مرسل ولا اسم كتاب إلهامي؛ فإنّ كتب العهدَين بنفسها ووجوه مضامينها هي التي تصد عن الإذعان باتصال سندها، وصحة تواترها وصدورها عن الوحي والإلهام، وتمنع عن التصديق بنبوة أنبيائها، والوثوق بنقل دلائل نبوتهم لو صحت نسبتها إليهم»[٣].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحتان ٥٥ و٥٦.



الوجه الثالث: «شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحًا، وإن حامى بعض النصارى عن ذلك وكتبوا في كتبهم قولهم «متى حُرِّفت؟ ولماذا حرّفت؟ ومن حرّفها؟ ولأي غرض حرّفها؟» فمن جملة الشهادات ما في الثالث والعشرين من إرميا في خطاب الشعب:

أمّا وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ لأنّ كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا»[1].

الوجه الرابع: «شهادة بعض كتب العهدَين على بعضهم الآخر بالتحريف ضمنًا وإشارةً، وهو أنّ **التوراة** في ثامن عشر التثنية من العشرين إلى الثانية والعشرين قد أعطت علامةً لما ليس في كلام اللّه وما هو كذب على اللّه والوحي، وإنّ في العهدَين لكثيرًا من هذا القبيل الذي يعرف بهذه العلامة أنه ليس من كلام اللّه ولا من الوحي والإلهام في شيء».

الوجه الخامس: «هو أنه يوجد من نتائج الجمع بين مضامين العهدَين وموانع كثيرة من نبوة المسيح ورسالته وقداسته، بل يلزم منهما شِرك موسى، وهارون، وداود، وأساف، وسليمان، والمسيح، وكفر أرميا، واستحقاق هؤلاء القتل، وأنهم لمقدسون عن مثل ذلك وكل ما يَشين».

الوجه السادس: «أنّا قد وجدنا التبديل الصريح والتصرف الواضح في العهدَين في التراجم والمطابع، وهو لا يعدو القسيسين ورؤساء الدين»[2].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٥٨.

المبحث الثاني:

حقيقة النبوة وأدلتها عند البلاغي

أولًا: النبوة لغةً واصطلاحًا

١. النبوة لغةً

كلمة النبي مأخوذة من «النبوة» و«النباوة» وهي ما ارتفع من الأرض[١]، فالنبوة بمعنى الرفعة وعلو المنزلة، فالنبي شرف على سائر الخلق[٢]، وإنّ لكلمة النبي لفظَين هما:

أ. وردت لفظة «النبيء» أي المهموزة في كتب اللغة بمعنى الخبر، وهي مشتقة من النبأ، فالنبي هو المخبر «المنبئ» عن اللّه تعالى، وهناك معنًى آخر، وهو الطريق لأنّ الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى اللّه تعالى.

ب. و«النبي» بلا همزة، إما أن تكون همزتها مخففةً، وإما أن تكون مشتقةً من النبوة، أو النباوة، أي الارتفاع لأنّ النبي مرتفع الرتبة على غيره[٣].

---

(١) محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، الصفحة ٦٤٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٦٤٤.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نبأ).

٢. النبوة اصطلاحًا

النبوة: «وهي وظيفة إلهية، وسفارة ربانية يجعلها اللّه تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيرسلهم لسائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة، والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير، لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، وترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارَين، دار الدنيا ودار الآخرة»[١].

فالنبوة اصطفاء من اللّه تعالى ولطف بالعباد من كماله المطلق، وهو اللطيف بعباده والجواد الكريم[٢] «فهو لازم عليه سبحانه بمقتضى كماله وحكمته، لا بإلزام ملزم وحساب محاسب»[٣]، إذن فالنبوة هي فيض إلهي ونعمة ربانية يقسمها اللّه على من يشاء من عباده، وكذلك هي امتداد رسالي للأنبياء السابقين مؤكدةً وحدة المنهج والمبادئ[٤].

وكذلك فالنبوة «هي الإخبار عن اللّه تعالى، والنبي هو الإنسان المخبر عن اللّه تعالى بغير واسطة بشر، أو ليس له شريعة كيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قيل سمي نبيًا لأنه أخبر وأنبأ عن اللّه تعالى. وقيل النبي: هو الطريق، ويقال للرسل: أنبياء اللّه؛ لكونهم طرق الهداية إليه،

---

(١) محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الآلهية**، الصفحة ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٢٠١.

(٣) محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، **أصول العقيدة**، الصفحة ٨١.

(٤) محمد حسين فضل اللّه، **من وحي القرآن**، الجزء ٢٠، الصفحة ١٥٥؛ طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحة ٤٩.

فالنبوة بمعنى طريق الهداية»[١].

فالنبـوة فضل وهبة من اللّه تعالى لمن يشـاء مـن عباده لأنه تعالى خلـق الملائكة، وبعث الأنبياء وأيدهـم بالمعجزات، وبذلك تكون النبوة هي «سـفارة بين اللّه وذوي العقـول من عباده، لتدبير حياتهم في أمر معاشـهم ومعادهم»[٢]، فالنبي المرسـل كما يقول الشيخ «البلاغي»: «هو إنسـان كامل يرسله اللّه إلى البشر ليكملهم ويهديهم إلى الصواب، ويرشـدهم إلى ما يحتاجـون إليه في معرفة اللّه وطاعتـه والاحتراز عن معصيتـه، ويحملهم على مـا فيه حفظ كمالاتهم ومصالحهم الشخصية والنوعية في الدين والدنيا، ويزجرهم عما يضرهم فيهما»[٣].

ويعتقـد الإمامية بـأنّ النبوة هـي الأصل الثانـي للعقائد وأنّ جميع الأنبيـاء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسـل من اللّه وعباد مكرمون بعثـوا لدعوة الخلق إلى الحـق وأنّ محمـدًا خاتم النبيين وسـيد الرسـل[٤]. وإنّ وجود الأنبياء ضروري لأنه لو لم يكن هناك رسـول يرغب البشـر بالجنة ويحذرهم من النار، لكان ظلمًا وخلافًا للحكمة، «فالأمل الكبيـر للأنبياء الذين هم مركـز الفضيلة والمنبع الثري للأخلاق الإنسـانية هو معالجة وتغذية الروح البشرية للوصول إلـى الحقيقة العليا والارتفـاع في اتجاه القيـم الأخلاقية، فيتحرك الإنسان في ظل التربية الواقعية والواعية للأنبياء في اتجاه اللا نهاية،

---

(١) علي الصدر، **العقائد الحقة**، الصفحة ٢٠٥.

(٢) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٣، الصفحة ٢٠.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٦٧.

(٤) محمد حسين كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، الصفحتان ٦٣ و٦٤.

ويبتعد عن الغربة، ومن الضروري أن يكون المخططون لمثل هذا المنهج هم الذين اصطفاهم اللّه العالم بأسرار وحاجات الإنسان النفسية"»[١]، وبذلك تكون «النبوة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية والمعارف الربانية ذاتًا، ووصفًا، واسمًا»[٢].

وتبرز أهمية النبوة بسبب حاجة البشر إلى الهداية الإلهية لأنها ضرورة حياتية وفطرية تستلزمها طبيعة الإنسان واستعداده الخلقي وما أنيط به من دور في هذه الحياة:

أ. لعلم اللّه تعالى بحاجة الإنسان إليها فعدم علمه بها جهل يتنزه عنه رب العالمين.

ب. لكرم اللّه ولطفه ورحمته، وقد كتب على نفسه الرحمة، فالبخل بها مع حاجة الناس إليها نقص ممتنع عنه سبحانه وتعالى.

ج. لقدرة اللّه تعالى على هداية الناس، إذ العجز نقص يستحيل على العلي القدير[٣].

ويستخلص من هذه القواعد العقلية أنّ الهداية الإلهية واجبة على اللّه تعالى وجوبًا عقليًا وهي تتطلب مبلغًا عنه يؤديها إلى الناس وذلك هو النبي[٤].

والهداية من لطف اللّه، حيث يقول الشيخ «البلاغي»: «إنّ اللّه جل جلاله هو المرجع الوحيد في أمر التشريع دون غيره بحكم العقل

---

(١) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد في الإسلام**، الجزء ٢، الصفحة ١٣.
(٢) حيدر الآملي، **نص النصوص في شرح فصوص الحكم**، الصفحة ١٦٧.
(٣) داود العطار، **موجز علوم القرآن**، الصفحتان ٥٠ و٥١.
(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٥١.

والفطرة وطريقة العقلاء في عملهم أجمع لأنه جل اسمه هو العالم بحقائق جميع الرسل وواجب في لطفه وحكمته التام فإن الإخلال به قبيح»[١].

وإنّ الشيخ «البلاغي» مَثّل هذه المسألة بملك عادل رؤوف وحكيم فهل يجوز عليه أن يترك رعيته وهذا الإهمال لإصلاح مملكته وهل تراه كاملًا؟ وهل يليق هذا الحال بالكامل...[٢] فكيف لهذا الإله الكامل على الإطلاق العالم بالخفيات والمحيط بحقائق المصالح والمفاسد وأسرارها إله الرحمة، والرأفة، والصلاح، والإصلاح، وهل يليق بجلاله وكماله وقدسه ورحمته، وأن يهمل الإنسان المدني الطبع ويتركه بلا تعليم يكمله، ولا شريعة تنظم اجتماعه.. الخ[٣].

ويقوم الشيخ «البلاغي» بعد ذلك بذكر آيات بينات من القرآن الكريم ليلزم بها ذوي العقول الرشيدة، أي استخدام الدليل النقلي بعد الدليل العقلي، ومنها هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤] وقيل إنّ اللّه لم يكن ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق إلا بعد أن ينصب له على ذلك دليلًا، وكذلك فإنّ فيها تحديًا للمؤمنين بالإضلال بعد الهداية إن لم يتقوا ما بين اللّه لهم أن يتقوه ويجتنبوا عنه وهو بحسب ما ينطبق على الموارد أنّ المشركين أعداء

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، أنوار الهدى، الجزء ٦، الصفحة ٨٦.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٢١.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٤٢٢.

(٤) سورة **التوبة**، الآية ١١٥.

اللّه ولا يجوز الاستغفار لهم والتودد لهم فعلى المؤمنين أن يتقوا ذلك وإلا فهو الضلال بعد الهدى[١].

ويفسر الشيخ البلاغي هذه الآية بأن اللّه سبحانه وتعالى لم يتركهم يتخبطون في ضلالهم ويقطع عنهم رحمة التوفيق بعد أن هداهم بدلالة العقل وبداهة الفطرة إلى أصول المعارف، واللّه هو العالم بالغايات والحكيم في أعماله والعالم بمواقع المصالح والمفاسد، فالقرآن يبين أنّ اللّه يجل ويتقدس عن أن يهمل عباده ويتركهم بلا بيان لما فيه صلاحهم، وفوق ذلك أنه يجل ويتقدس عن أن يقطع رحمته بتوفيقه وتأييده عمن لم يتمرد ولم يخرج عن أهلية الإحسان وما كان اللّه ليتركه يخبط في الضلال بلا توفيق[٢].

وعلى هذا تكون هناك حجة عقلية وتشريعية على جميع البشر بالإيمان بالرسائل السماوية التي تقيم العدل والإنصاف ومحاسن الأخلاق، مع أنها - أي الرسائل السماوية - مؤسسة على الشرائع التي لا يدرك العقل وجوهها[٣]، إذ إنّ الحكمة الإلهية في الرسالة تنظر إلى هذه الشؤون من أحوال البشر وتجعلها بحيث يمكن بحسب حال الناس أن يظهر لها صوت دون إلجاء يسلبهم الاختيار وللّه الحجة البالغة وهو العلي الحكيم[٤] وهذه الحجة العقلية واللزوم العقلي يحتم عدم خلو الأرض من خليفة أو رسول يبلغ عن

---

(١) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ٩، الصفحة ٤١٢.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٢٥ و٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحتان ٤٣١ و٤٣٢.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٤٣٢.

اللّه لتتم الحجة على العباد كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[١].

وقد ذكر الشيخ «البلاغي» في هذا الصدد بقوله: «وحقيقة الأمر أنّ العقل الحاكم بعدل اللّه، وغناهُ، وحكمته، وقدسه، ورحمته، ولطفه، ليحكم بأنّ اللّه تبارك اسمه لا يخلي الأرض من داع إلى توحيده وتقديسهِ وهاد إلى وسائل القرب من حضرته ومرشد إلى نواميس الصلاح وقوانين الشريعة المتكفلة بصلاح وإصلاح أمرهم لآخرتهم ودنياهم»[٢].

ثانيًا: غاية النبوة ومستلزماتها

١. الغاية من إرسال الرسل

يقول الشيخ «البلاغي» في الغاية من إرسال الرسل «لا ينبغي أن يشك ذو رشد بأنّ النبي المرسل هو إنسان كامل يرسله اللّه إلى البشر ليكملهم ويهديهم إلى الصواب، ويرشدهم إلى ما يحتاجون إليه في معرفة اللّه وطاعته والاحتراز عن معصيته، هو الغاية المطلوبة من إرسال اللّه النبي. وتقريره بالبيان الواضح هو أنّ إرسال اللّه النبي في دعوته رحمة من اللّه ولطف من ألطافه لمن يدعوهم النبي، ليقربهم إلى طاعة اللّه، ويبعدهم عن معصيته، وينبههم من رقدة الغفلة، وينقذهم من سورة الهوى والضلال، ويحملهم على

---

(١) سورة **النساء**، الآية ١٦٥.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٤، الصفحة ٦٩١.

جادة الهدى ودين الحق وقوانين العدل وحسن التمدن، والاجتماع، وآداب السياسة، لينالوا سعادة الدارَين»[١].

وعلى هذا القول فإنّ «إرشاد الناس منحصر بإرسال الرسل، هذا وحيث كان اللّه سبحانه متعاليًا عن خلقه لا يخالطهم ولا يعاشرهم، فلا بد من أن يرسل إليهم رسلًا منهم يخالطونهم ويخاطبونهم، ينبؤون عنه، ويبلغونهم بأمره ونهيه وعزائمه ورخصه»[٢].

فالغاية من بعثهم وإرسالهم هو إرشاد الناس نحو مصالحهم ومفاسدهم، ليتمكنوا من اتخاذ السعادة التي خلقوا لأجلها، ولئلا يكون للعصاة والكفار حجة على اللّه، وغاية إرشاد الناس إلى مصالحهم ومفاسدهم ملازمة مع غاية إتمام الحجة. ومن هذه الغايات التنزيه والتزكية، ومن المعلوم أنّ الغرض من إرسال الرسل ليس منحصرًا في مجرد التعليم، بل التزكية من الأغراض، ولإنجاز ذلك اختار اللّه تعالى للنبوة والرسالة من بين الناس عباده الصالحين وأولياءه الكاملين، بحيث يكونون أسوةً كاملةً بين أبناء البشر. وأمّا غاية تعليم الحكمة والمعرفة هو بيان الأحكام والمقررات والتعبديات والتشريعات المتعلقة بالأعمال والمعاملات، والمراد من الحكمة المعارف المطابقة للواقع[٣].

كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤] وكما روي عن الصادق

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٧.

(٢) محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، **أصول العقيدة**، الصفحتان ٨٢ و٨٣.

(٣) محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الإلهية**، الصفحتان ١٩٢ و١٩٣.

(٤) سورة **البقرة**، الصفحة ٢٦٩.

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى وثمرة الصدق»[١]. وإنّ مسألة بعثة الأنبياء جائزة عقلًا، وهي حسنة في نفسها، لأنها تهدي الناس إلى الحق وطريقه القويم، وتعاضد العقل وأحكامه، وترشد إلى الحسن والقبيح اللذَين لا يستقل العقل إلا بمعرفتهما، وما إلى ذلك مما يحصل به اللطف للمكلف، والمراد باللطف كل ما يقرب العبد إلى الخير والطاعة، ويبعده عن الشر والمعصية، لذا يعد إرسال الرسل واجبًا على اللّه تعالى، لأنّ إرسالهم إنقاذٌ للعالم وصلاحٌ للإنسان، وفعل الصلاح واجب على اللّه، إيمانًا بعدالته المطلقة، فما دام اللّه عادلًا فهو لن يفعل إلا ما هو أصلح لعباده[٢].

ولذلك يعد «الغرض من إرسال الأنبياء وبعثتهم هو الدعوة إلى عبادة اللّه، والسير في الطريق المستقيم»[٣]. إنّ اللّه أرسل الرسل الكرام من أجل واجب لطفه ورحمته وحكمته وقدسه وإصلاحه لعباده وهذه غاية ثانوية تشير إلى العلة الأولية وهي رحمة اللّه ولطفه في إصلاح عباده وتعليمهم[٤].

وهناك أربع صفات للرسل هي:

أ. العصمة.

ب. التبليغ.

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٤٣٤.

(٢) القاضي عبد الجبار، **المقتصد في أصول الدين**، الصفحتان ٢٣٦ و٢٣٧.

(٣) نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ٩٥.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٢٦.

ج. الفطانة.

د. الذكورة.

هـ. السلامة من النقائص[١].

ولذلك نجد أنّ الغاية من إرسال الرسل هو أداء الرسالة الإصلاحية إذ يدعو الرسول الإلهي الناس إلى الإصلاح وإقامة العدل[٢].

والشيخ «البلاغي» فسّر الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣] أي مبشرين للإنسان بسعادته في الدنيا والآخرة بسبب خضوعه لما يصلحه في فرديته ونوعه واجتماعه من بيان الشريعة والأخلاق والمعارف. ومنذرين ومحذرين لهُ من الشقاء والخطر المحدق به في دنياه ومستقبله عن مخالفته لما بلغوه فيما يصلحه عن اللّه بالبيان الكافي[٤]

٢. مستلزمات النبوة

إنّ من مستلزمات النبوة العصمة. فالعصمة لغةً: «عصم، أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع»[٥]، وكذلك قيل: «عصم،

---

(١) د. رشدي عليان، وقحطان الدوري، **أصول الدين الإسلامي**، الصفحات من ٢٠ إلى ٣٦.

(٢) محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الإلهية**، الصفحة ١٩٤.

(٣) سورة **النساء**، الآية ١٦٥.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٢٦.

(٥) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، الجزء ٤، الصفحة ٣٣١.

العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة اللّه عبده: أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصمًا: منعه ووقاه»[١]، وهي «بمعنى الإمساك والمنع»[٢]. وقيل أيضًا: «العصمة: هو المنع والحفظ مما يُحذر، والعاصم: هو الحافظ المانع بتسببه أو فعله، والمعتصم: هو الملتجئ إلى العاصم، واللائذ به؛ ليمنعه ويحفظه مما لاذ والتجأ حذرًا منه[٣].

أمّا العصمة اصطلاحًا: فإنها لطف من اللّه تعالى لا داعي معه إلى ترك الطاعة ولا إلى ارتكاب المعصية مع القدرة عليها[٤] وكذلك العصمة هي قوة راسخة في النفس «ملكة» مانعة عن ارتكاب المعاصي والخطأ مطلقًا، عمدًا أو سهوًا[٥].

والعصمة هي من أهم صفات النبي، وهي بمعنى المصونية عن الخطأ والعصيان مع قطع النظر عمن يتصف بها[٦] والمعصومين لا يخلق اللّه سبحانه وتعالى فيهم ذنبًا[٧] «والعصمة ملكة اجتناب

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عصم، الجزء ١٢، الصفحة ٤٠٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة عصم.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥٨٣.

(٤) سعد الدين التفتازاني، **شرح المقاصد**، الجزء ٤، الصفحة ٣١٢؛ مقداد بن عبد اللّه السيوري، **إرشاد الطالبين**، الصفحة ١٣٠.

(٥) حسن مكي العاملي الهاشمي المطلبي، **بداية المعرفة (منهجية حديثة في علم الكلام)**، الصفحة ١٣٨؛ طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحة ٩٤.

(٦) مقداد بن عبد اللّه السيوري الحلي، **النافع يوم الحشر**، الصفحة ١٣٦؛ جعفر السبحاني، **عصمة الأنبياء في القرآن الكريم**، الصفحة ١٠.

(٧) علي بن محمد الجرجاني، **شرح المواقف**، الجزء ٨، الصفحة ٢٨٠.

المعاصي مـع التمكن منها»[١]، والعصمة متمثلـة بالتزام المعصوم بجميع الأوامـر والنواهي الإلهيـة، على النحو الـذي لا يتخلف عن واجب ولا يجترح محرمًا مطلقًا[٢].

وأول ما يلزم في تحصيل الرسـالة أو النبـوة أمران[٣]؛ أحدهما: كون الرسـول معصومًا في التبليغ غير متهم فيه، مع فرض رسـالته، والآخر: كونه معصومًا عن الذنوب وارتكاب القبائح التي هي ضد لما يدعو إليه من شريعة الهدى والصلاح.

أمّا الأمـر الأول: فقد اتفق عليـه أهل الملل القائلـون بالنبوة والرسـالة؛ لوجـه أوضحته لهم بداهـة عقولهم، وليـس حقيقته إلا تحصيل الغرض من الرسـالة، وقبح نقضه بإرسال الكاذب والمخطئ في التبليغ. وأمّا الأمر الثاني: فحقيقة وجهه وحجته عين الوجه الأول وحجته – وإن خالف فيه اليهود والنصـارى – فإنه يقبح ويمتنع من اللّه القادر القدوس الغني العليم الحكيم أن يجعل رحمته ولطفه في طريق يمنع من فائدتهما ويصد عن منفعتهما، مع إمكان أن يجعلهما في طريق لا يمنع عن حصول الغرض والفائدة ولا مفسـدة فيه، بل هو الناجح في تحصيل الغرض. ولبيان ذلك وجوه[٤].

«الوجه الأول: إنّ إرسـال النبي الذي يصدر منه الذنب والقبيح ومخالفة شـريعة الحق ناقض للغرض المطلوب من إرساله، ونقض الغرض قبيح ببداهـة العقل ومنقصة فاضحة، فهو ممتنع على اللّه؛

---

(١) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، الصفحة ٦٥.

(٢) كمال الحيدري، **عصمة الأنبياء**، الصفحة ٦٧.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٦٧.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٦٨.

فإنّ الوجدان ليشهد بأنّ نفوس البشر المحتاجة إلى الاستصلاح والترويض والإرشاد والتقريب إلى اللّه وشريعة الحق لتنفر نفرةً شديدةً عن الانقياد إلى من يدعوها إلى اللّه والشريعة ويعظها ويوبخها ويزجرها عن شهواتها»[١]، «إذا كان ممن يخالف اللّه والشريعة ويتمرد على أحكامها وينقاد إلى شهواته وهواه مع ادعائه المعرفة والرئاسة الدينية، فلا تصغي إلى إرشاده ولا تعتني به»[٢]، «فانظر بوجدانك إلى المذنب العاصي إذا جاءك واعظًا، مرشدًا، مؤدبًا، زاجرًا لك عن اتباع هواك، فهل ينتج من إرشاده، ووعظه وزجره إلا أن يُستهزأ به ويقال له: كمل نفسك وأصلحها وأرشدها، ثم التفت إلى تكميل غيرك وإرشاده، وحينئذ ادع عليه الرئاسة وفضيلة الإرشاد وسيطرة الزجر والتوبيخ بل نقول - أي الشيخ - أنّ صدور الذنب والقبيح من الرسول - الذي هو الرأس والرئيس والقدوة في الدين - مؤيد ومحرك لدواعي سائر البشر إلى الإقدام على الذنوب والتهاون بالشريعة؛ لشهادة الوجدان بأنّ رئيس الدين إذا أذنب، هان على الناس اتباعه في الاقتحام في الذنوب، وتحركت شهواتهم وأهواؤهم إليها، وقد لهج الناس بقولهم الموافق للحكمة والتجربة: «إذا فسد العالِم فسد العالَم»»[٣]، «على ذلك يلزم من صدور الذنب والقبيح ومخالفة الشريعة من الرسول حصول الفساد من الجهة التي أراد اللّه برحمته ولطفه منها الصلاح، وحقيقة هذا ومعناه أن يريد اللّه الصلاح - لأجل رحمته ولطفه بعباده - من الجهة التي هي أشد وأدعى في انتشار الفساد، وهل يرتاب عاقل

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحتان ٦٨ و٦٩.

في قبح ذلك وامتناعه على اللّه جل شأنه؟!»[1].

«وانظر إلى الملوك، فهل تراهم يرسلون إلى إصلاح رعاياهم المتمردة على شريعة المملكة إلا من يطمئنون بعدم مخالفته تلك الشريعة وقوانين الإصلاح مهما أمكنهم؛ لئلا تفسد الرعية بفساده، ولو وجدوا إلى المعصوم سبيلًا ما عدلوا عنه، وذلك لعين ما ذكرنا من قبح نقض الغرض فهل ترى الملوك أنظر لصلاح رعاياهم من اللّه لعباده؟!»[2].

«الوجه الثاني: إنّ إرسال اللّه للرسول المعصوم ممكن، وحاجة الخلق في الاهتداء إلى الحق وظهور الصلاح والانقياد إلى الرسول وعدم التنفر عنه داعية إلى ذلك. وهو مصلحة بلا مفسدة، بل المفسدة بخلافه، فيجب بمقتضى الحكمة والرحمة واللطف امتناع إرسال غير المعصوم. أفيقال: إنّ وجود المعصوم غير ممكن؟ أو أنّ اللّه لا يعلم به؟ أو أنّ لا مصلحة في إرسال المعصوم؟ أو أنّ في إرساله مفسدةً؟ أو أنّه يجوز على اللّه القدوس الغني العليم الحكيم الإخلال بالحكمة، والعدول عبثًا عما فيه الصلاح وحصول الغرض إلى ضده؟ حاشا وكلا»[3].

«الوجه الثالث: دلالة الكتب المنسوبة إلى الوحي والإلهام بنحو يشير بمضمونه أو فحواه إلى ما ذكرنا من وجه دلالة العقل»[4]، قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٩.
(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٩.
(٣) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٩.
(٤) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٩.

لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]، «وفاعل القبيح ظالم؛ إذ لا أقل من كونه ظالمًا لنفسه بإلقائها في تهلكة العقاب ورذيلة فعل القبيح»[٢]، قال اللّه تعالى:﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٣].

ثالثًا: موانع النبوة أو الرسالة

ذكر «البلاغي» جملةً من الموانع التي لا يمكنها أن تكون في مدعي النبوة وأن وجود أحداها يكشف عن زيف دعواه ومن ثمّ سيفهم منها الأسس الكاشفة عن هوية ومصداقية المدعي والادعاء ومن هذه الموانع:

أ. «ظهور الكذب على المدعي وإن كان في الأمور العادية ومن الكذب الفظيع أن يتقلب مدعى النبوة في دعاواه المتناقضة التي يكذب بعضها بعضًا وينقض بعضها بعضًا.

ب. «أن يخبر عن اللّه تعالى بأمر ويلزم ذلك الإخبار كذبه على اللّه سبحانه بأحد وجوه:

الأول: أن يكون مدعي النبوة مخبرًا بنبوة شخص وصدقه في دعواها ودعوتها ويصرح ذلك الشخص بتكذيب هذا المدعي للنبوة في إدعائه لها»[٤].

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٦٩ و٧٠.

(٣) سورة **فاطر**، الآية ٣٢.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، =

الثاني: أن يعترف مدعي النبوة، والوحي، ويشهد بنبوة شخص ورسالته، وأنّ كتابه ودينه من اللّه وكتابه المعروف ودينه المعلوم وكلامه المتواتر يكذب ذلك المدعي بنحو العموم.

الثالث: أن يعترف مدعي النبوة ويشهد بنبوة شخص ورسالته وأن كتابه ودينه من اللّه جل اسمه ومع ذلك يجحد أكبر الأساسيات من دين ذلك الشخص الرسول وكتابه»[1].

الرابع: أن يبني مدعي النبوة دعواه على أساس دعوى قد قضت الأدلة القيمة والحجج الثمينة بكذبها وخرافيتها.

الخامس: أن يجيء مدعي النبوة في دعوته بتصديق دعوًى نبوة خرافية ورسالة خرافية.

السادس: أن يجيء مدعيها في دعواه ودعوته بما يخالف المعقول ويعده العقل والعقلاء من ضلال الأباطيل.

السابع: إذا كان مدعي النبوة ودعوته سالمَين من الموانع المذكورة وكان متصفًا بفضائل الصدق، والثقة، والأمانة، وشرف النفس، والعفاف، وكرم الأخلاق، ومرضي الطريقة، ومحمود السيرة، ومستقيم الدعوة المعقولة فلا تتسرع النفوس السالمة من داء العصبية، والعناد، والأهواء إلى دعوته بالجحود، ولكن مهما يكن من ذلك فإنّ هذا الوثوق والاعتماد لا يتعديان مرتبة الظن المبني

= الجزء ٥، الصفحتان ٤٣٤ و٤٣٥.

(١) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحتان ٤٣٦ و٤٣٧؛ مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحة ٢١٧.

على الظاهـر ولا بد لذلك من يقين دافع للريب والشـكوك ليكون الإذعان بها ثابتًا على أسـاس رصين ولأجل ذلـك يظهر اللّه المعجز على يده ليكون حجةً قاطعةً على صدقه في دعوى النبوة والرسـالة عن اللّه»[١].

الثامـن: وعـن وجـوب النظر فـي دعوى الرسـالة فـلا رافع للمخاطـرات إلا اتباع هـدى العقل والاسـتضاءة بنـوره في الجد والاجتهاد بالبحث والنظر في أمرها بشـرط مراقبة النفس من معاثر الميل مع الهوى فيجب على المدعـو بحكم العقل وطريقة العقلاء إعمـال النظر في ذلك، فـإن أصاب كان فائزًا بالسـعادة، ومعذورًا بحكم الشـرع والعقـل إن أخطأ، وآمنًـا من العقـاب بحكم العقل والشرع، فأنه لا يكلف اللّه نفسًا إلا وسعها»[٢].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحات من ٤٣٨ إلى ٤٤٢؛ المصدر نفسه، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٢١٧ و٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٢٢٢.

المبحث الثالث:

المعجزة ودلالتها عند البلاغي

أولًا: المعجزة لغةً واصطلاحًا

١. العجز لغةً

«العَجــزُ» مؤخر الشــيء، يذكّر ويؤنث للرجــل والمرأة جميعًــا وجمعه «أعجــاز»[١]. ومعنى الإعجــاز: الفوت والســبق[٢] يقال: أعجزني فلان أي فاتنــي[٣]، والعجز: نقيــض الحزم، عجز عن الأمــر يعجز، ويقال أعجــزت فلانًا إذا لقيته عاجــزًا[٤]، والمعجزة واحدة معجزات الأنبيــاء[٥]، والمعجزة مأخوذة من العجز ضد القدرة[٦].

---

(١) فخر الدين الرازي، **مختار الصحاح**، الصفحة ٤١٣.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٩، الصفحة ٥٩.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ٩، الصفحة ٥٩.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٩، الصفحات من ٥٧ إلى ٥٩.

(٥) المصدر نفسه، الجزء ٩، الصفحة ٥٩.

(٦) سعد الدين التفتازاني، **شرح المقاصد**، الجزء ٢، الصفحة ١٧٥.

٢. المعجزة اصطلاحًا

«الإعجاز: هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى»[١]. وقد عرّف «الآلوسي» (توفي ١٢٧٠هـ) المعجزة بأنها «الأمر الخارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند التحدي»[٢].

أما الشيخ «البلاغي» فقد عرف المعجز بأنه «ما كان بحسب ذاته ومميزاته خرقًا للعادة ممتنعًا على البشر وإرادتهم يعجزون عنه بحسب قدرتهم المحدودة خارقًا عن حدود قدرتهم المجعولة والأسباب العامة ونواميس الطبيعيات وقوانين العلوم وعن نتائج التدريس والتعليم والتجارب في المعامل والتناول بالاتباع»[٣]، ويقول أيضًا «هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية اللّه الخاصة خارقًا للعادة، وخارجًا عن حدود القدرة البشرية، وقوانين العلم والتعلم؛ ليكون بذلك دليلًا على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته»[٤]، فلو كان كاذبًا في دعواه لكان في ذلك إغراء للناس بالجهل وكان توريطًا لهم في متاهات الضلال[٥].

والمعجزة «سميت معجزةً لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان

---

(١) نصير الدين الطوسي، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، الصفحة ٣٧٧.

(٢) أبو الفضل محمود الآلوسي، **روح المعاني**، الجزء ١، الصفحة ٢٧.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٢.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٢٣.

بمثلها»[١] ولصدق تحقيق المعجز خمسة شروط وهي: «أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأمة المبعوث إليها، وأن يكون من اللّه تعالى أو بأمره، وأن يكون في زمان التكليف لأن العادة تنتقض عند أشراط الساعة، وأن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة أو جاريًا مجرى ذلك، وأن يكون خارقًا للعادة»[٢].

أما «السيوري» (توفي عام ٨٢٦هـ) فيقول: «فلأن المعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدي المتعذر على الخلق الإتيان بمثله، أما اعتبار خرق العادة إذ لولاه ما كان معجزًا كطلوع الشمس من مشرقها، وأما مطابقة الدعوى فلدلالته على صدق ما ادعاه إذ لو خالف ذلك كما في قضية مسيلمة الكذاب»[٣] «أنه قيل له: إنّ محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ دعا لأعور فصار مبصرًا، فدعا مسيلمة الكذاب لأعور فصار أعمى: فأن ما حصل غير مطابق لدعواه»[٤]، «وأمّا التعذر على الخلق، فلأنه لو كان كثير الوقوع لما دل أيضًا على النبوة»[٥] فضلاً عن كون المعجز أمرًا خارقًا للعادة مقرونًا بالتحدي وبذلك يكون سالمًا عن المعارضة»[٦].

أمّا السيد الخوئي (توفي عام ١٤١٣هـ) فقد عرف المعجز «هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس

---

(١) أبو عبد اللّه القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٦٩.

(٢) نصير الدين الطوسي، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، الصفحتان ٣٧٧ و٣٧٨.

(٣) المقداد بن عبد اللّه السيوري، **النافع يوم الحشر**، الصفحة ١٣٤.

(٤) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحتان ١٠٠ و١٠١.

(٥) المقداد بن عبد اللّه السيوري، **النافع يوم الحشر**، الصفحة ١٣٤.

(٦) جلال الدين السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، الجزء ٢، الصفحة ٣١١.

الطبيعة ويعجز عنه غيره شـاهدًا على صدق دعواه»[١] ويكمل قوله «وإنما يكون المعجز شـاهدًا على صدق ذلك المدعي إذا أمكن أن يكون صادقًا في تلك الدعوى، وأمّا إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل أو بحكم النقل الثابت عـن نبي، أو إمام معلوم العصمة، فلا يكون ذلك شاهدًا على الصدق ولا يسمى معجزًا في الاصطلاح وإنْ عجز البشـر عن أمثالـه»[٢]. وأنّ المعجز «أمر يعجز البشـر متفرقين ومجتمعين عـن الإتيان بمثلـه، أو هو أمر خارج للعـادة، خارج عن حدود الأسـباب المعروفة، يخلقه اللّه تعالـى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شـاهدًا على صدقـه»[٣]. وأن لا فرق بين المعجزة وخارق العادة في أنّ – المعجزة – لا يمكن أن تأتي على يد البشـر، ولا بد من أن تقترن بالتحدي أي الدعـوة إلى المبارزة والمنازعة في الإتيـان بمثلها في الناس بخلاف – خارق العـادة – فإنه قد يصدر عن عبد خمول في فلاة الأرض لا يعرف أحدًا ولا يعرفه أحدٌ كالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلًا[٤].

ويقول الشـيخ البلاغي إنّ دلالة المعجـز على صدق النبي في دعـواه ودعوته ليـس إلا أنّ مدعي النبـوة إذا كان ظاهـر الصلاح، موصوفًا بالأمانة، معروفًا بصدق اللهجة والاستقامة، لا يخالف العقل في دعوته وأساسـياتها، لم يجز عقلًا إظهار المعجز على يد الكاذب

---

(١) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، الصفحة ٤١.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤١.

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٦٦.

(٤) عبد الأعلى السبزواري، **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**، الجزء ١، الصفحة ١٣٥.

لأنه في هذا المقام من الإغراء بالجهل، ولأجل قبحه يستحيل ويمتنع عن جلال اللّه القدوس[١] «فالمعجز، وإن كان في ذاته ممكن الوقوع من اللّه، لكنه باعتبار عنوان والقبيح يكون ممتنعًا على جلال اللّه»[٢].

و«أنّ الناس بحسب فطرتهم التي لا تدنسها رذائل الأهواء العصبية؛ إذا ظهر لهم صلاح الشخص وصدقه وأمانته واستقامته فيما يعرفونه من أحواله وأطواره، توسموا بباطنه الخير، وأن باطنه موافق لظاهره في الصلاح. وكلما زادت خبرتهم بصلاح ظاهره زاد وثوقهم بصلاح باطنه إلا أنه مهما يكن من ذلك فإنه لا يبلغ بهم مرتبة العلم وثبات الاطمئنان بعصمته عن الكذب في دعواه»[٣].

ثانيًا: تنوع المعجز بحسب الحكمة

إنّ «تنوع المعجز يختلف كثيرًا؛ بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم، فرب خارق للعادة يعرف بعض الشعوب أنه خارق للعادة، لا يكون إلا بإرادة إلهية خاصة، ويكون في بعض الشعوب معرضًا للشك أو الجحود لإعجازه وخرقه للعادة»[٤].

وأنّ النبي لا بد له من معجزة يظهر بها للناس لإقامة الحجة

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٣.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٥.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٢٣ و٢٤.

(٤) المصدر نفسه.

عليهم، وأنّ تلك المعجزة يجب أن تكون ظاهرة الإعجاز بين الناس، على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن في وقته، وإذا تم ذلك لشخص من ظهور المعجز الخارق للعادة. وأدعى مع ذلك النبوة والرسالة، يكون حينئذ موضعًا لتصديق الناس بدعواه، والإيمان برسالته، والخضوع لقوله وأمره، فيؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر[١]. ولذلك نجد «أنّ معجزة كل نبي تناسب ما يشتهر في عصره من العلوم والفنون»[٢].

ويقول الشيخ «البلاغي» إنّ: «اللازم في حكمة تحصيل الغرض من المعجز أن يكون كافيًا من جهة ذاته في الحجة والدلالة والإقناع للذين يدعوهم النبي أو الرسول إلى الإيمان، ويكون بعيدًا عن وساوس جهلهم ومثار شكوكهم، ولا شك أنّ في كل أمة معارف وفنون يتقدمون فيها، ويعرفون نتائجها التي تنالها قدرة البشر المحدودة، ويميزون ما هو خارج عن قدرة البشر مما هو من نحو نتائجها، فمقتضى الحكمة أن يكون المعجز بحسب كل قوم مما يعرفون خرقه للعادة وخروجه عن قدرة البشر، بحسب ميزانهم من العلم الذي تقدموا فيه وعرفوا حدود نتائجه العادية»[٣].

ويذكر الشيخ «البلاغي» في تنوع المعجز أمثلةً من خلال الرسائل السماوية الكبرى من يهودية، ومسيحية، وإسلامية، ومعاجز هذه الرسائل، مبتدأ بأقدمها زمنًا وهي رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول: «كان في عصر موسى النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الرائج من المصريين صناعة

---

(١) محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الإلهية**، الصفحتان ٢٠٩ و٢١٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٧؛ المصدر نفسه، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٤.

السحر المبنية على قوانين عاديةٍ، يجري عليها التعليم والتعلم، فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة، وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية، ولأجل ذلك اقتضت الحكمة أن يحتج عليهم بمعجزة «العصا» التي ألقاها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمام أعينهم، فصارت ثعبانًا تلقف ما يأفكون، ويسحرون به الناس من الحبال والعصي، ثم رجعت بعد ذلك «عصا» كحالها الأول، ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا أثر؛ فإنهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أنّ أمر «العصا» خارج عن صناعة السحر، وعن حدود القدرة البشرية؛ ولذا آمن السحرة بأنّ أمرها من اللّه تعالى»[1]، ثم ينتقل بعد ذلك الشيخ البلاغي إلى معجزة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان، وفيها منهم نزلاء كثيرون، فكان للطب فيها رواج ظاهر، وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع، والبرص، والقوباء بنحو يختص بروحانية الكهنوت، ويوهم أنه من بركات الكهنة والآثار الروحية، وإن كان من نحو الحجر الصحي، فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والأعمى والأكمه مما يعرفون أنه خارجٌ عن حدود الطب، ومزاعم الكهنة وقدرة البشر، ومن خارق العادة الذي لا يكون إلا بقدرة اللّه تعالى[2].

ويلحظ أن العرب في عصر رسول اللّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

---

(١) المصدر نفسه، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٢٤ و٢٥؛ المصدر نفسه، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٧.

(٢) المصدر نفسه، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٥؛ المصدر نفسه، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٧.

قــد كانت معارفهم نوعًا منحصرةً بفنون لغتهم وشــؤون كلامهم في الفصاحــة والبلاغة وجودة البيــان، وقد ولعوا بذلــك ولعًا لم تُمحَ رســومه على مرور القرون، وقد زاد ولعهم بذلــك وتقدموا فيه في ذلك العصر تقدمًا باهرًا، حتى صــار ذلك عنوان فخرهم ومعارفهم ومفاخرتهــم، يعقدون لــه المواســم والمحافل وميادين المســابقة فيه وحتــى صار لهجتهم في البدو والحضــر، حتى رقت بينهم هذه الصناعة إلى أوج مجدها، وزهت بأجمل مظاهرها وأحاطوا بأطرافها ومقدورهــا، ولم يكن لهم في غير ذلك من معــارف الدنيا تقدم ولا معرفة بحدودها، ولا ما يرتبط بنواميس علمها، فكان أنســب شيء لهم فــي المعجز وأوفق بحكمتــه هو القرآن الكريــم، ولذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون الذي عليه المدار في الحجة لرسالة خاتم النبيين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنه يكون حجة على العرب بإعجاز بلاغته وبعجزهم عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثلــه[1]، كما في قولــه تعالــى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2] وقولــه: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

«وأنّ ما قام به الأنبياء من خوارق العادات لم يكن مما تعلموه، ومارســوه، أو رأوه من قبل، فإنّ المعجزة ليست لها مبادئ تتدارس وتمتهن بها، بل تحــدث القدرة على فعلها في نفوس الأنبياء تلقائيًا مــن دون تعليم بشــري ولا ممارســة جهد، بل بتفضل مــن الخالق

---

(١) المصدر نفسه، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٤٧ و٤٤٨؛ المصدر نفسه، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٦.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٣.

(٣) سورة **يونس**، الآية ٣٨.

تعالى، أحكم الحاكمين، تأييدًا لنبيه في دعواه، فلذا يستحيل على أحد معارضة نبي من الأنبياء في معجزة من معاجزه[١].

ثالثًا: القرآن الكريم (المعجزة الخالدة)

إنّ معجزات الأنبياء على نوعَين:

أ. «مؤقتة خاصة: هي المعجزات المؤقتة بزمن معين، ولا سيما بقوم أو أفراد معينين، كمعجزات الرسل والأنبياء السابقين قصيرة الأمد، زالت بزوال أيامها، وماتَ من شاهدها. والمتطلع إليها لا يجدها إلا في الأخبار، كمعجزات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من: قلب العصا حيةً، وفلقها البحر، معجزات عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى...إلخ»[٢]، ومن هذه المعجزات ما ثبت بالقرآن الكريم، أو نقل إلينا بالخبر المتواتر مثل[٣]:

- الإسراء إلى بيت المقدس الثابت بالقرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[٤] والإسراء ليس بالروح فقط، بل بالروح والجسد.

- انشقاق القمر، قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[٥].

---

(١) حسن مكي العاملي، **بداية المعرفة**، الصفحة ١٣٦.

(٢) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحة ١٠٥؛ نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحتان ١٠٧ و١٠٨.

(٣) نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ١٠٨.

(٤) سورة **الإسراء**، الآية ١.

(٥) سورة **القمر**، الآية ١.

- نبع الماء من بين أصابعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهذه المعجزة تكررت عدة مرات.

- إبراء المريض بلمسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

- إخباره بحوادث قبل وقوعها، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ليأتين على الناس زمان، لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله، أصابه من غباره»[١].

ب. خالدة عامة: هي المعجزة الخالدة بخلود الدهر غير مؤقتة بزمن معين، وعامة لجميع البشر غير مختصة بقوم دون آخرين.

والمعجزة الخالدة العامة الوحيدة هي (القرآن الكريم) والسر في ذلك واضح: لأنّ عموميتها تثبت عالمية الرسالة الإسلامية لجميع الشعوب والأمم، وخلودها يثبت ختمها لجميع الديانات والرسالات فهي خاتمة الشرائع وصالحة للبقاء مدى الدهور والعصور لا تتغير ولا تتبدل»[٢]. وأنّ القرآن الكريم أنزله اللّه سبحانه وتعالى على نبيه وأيده به حين بعثه بالنبوة قرآنًا عربيًا لا يأتيه الباطل من بين يدَيه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أعجز به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحداهم فيه بالمعارضة وعجزهم فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب[٣].

«وعن أبي المفضل، قال حدثنا أبو الحسين رجاء بن يحيى

---

(١) جلال الدين السيوطي، **الجامع الصغير**، الجزء ٢، الصفحة ٤٤٣.

(٢) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحتان ١٠٥ و١٠٦.

(٣) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، **إعلام الورى**، الجزء ١، الصفحة ٧٠؛ محسن الأمين الحسيني العاملي، **أعيان الشيعة**، الجزء ١، الصفحة ٢٢٥.



العبرتائي، قال حدثنا يعقوب بن السكيت النحوي، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد بن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضةً؟ قال: إنّ اللّه تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»[1].

وأنّ القرآن الكريم من أهم المعجزات الباقية مدى الدهر، فإنّ هذه المعجزة كانت آيةً للرسول الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حياته الكريمة وبعد موته وإلى يوم الناس هذا وحتى تقوم الساعة[2]. ويقول السيد «الخوئي» (توفي عام ١٤١٣هـ) أنّ هناك عدة أسباب جعلت القرآن يتفوق على بقية المعجزات الأخرى للأديان السابقة وهي:

أ. القرآن باق خالد وإعجازه مستمر يسمع الأجيال ويحتج على القرون.

ب. إنّ الشرائع السابقة منتهية منقطعة، والدليل على انتهائها هو انتهاء أمد حجتها لانقطاع زمان المعجزة التي شهدت بصدقها.

ج. ثم أنّ القرآن الكريم يختص بخاصية أخرى وبها يتفوق على جميع المعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون، وهذه الخاصية هي تكلفه بهداية البشر[3].

---

(١) أبو جعفر الطوسي، **الأمالي**، الصفحة ٥٨٠.

(٢) محمد بن باقر بن محمد حسين الشريعتي الأصفهاني، **البيان في عقائد الإيمان**، الصفحة ٤٠.

(٣) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، الصفحتان ٥٢ و٥٣.

أما الشـيخ «البلاغي» فقد ذكر مزيتَين مـن مزايا القرآن الكريم على بقية المعجزات الأخرى، هما:

١. «أنّه باق مدى السنين ممثل بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليـه ويمارس أمره وينظر فيه ويعرف كنهـه وحقيقته، فهو باد في كل آن ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسـالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها ماثل لكل من يريد النظر في الحقائق ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه إعجازه إلى أساطير النقل ومماراة قال أو قيل.

٢. «أنه بصريح بيانه قـد تكفل بالإثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة وشهادة إعجاز لها ولم يوكل أمر ذلك إلى غيره مما يختلج فيه الريب»[١].

ولمعجزة القرآن الكريم شرط أسـاس وهو التحدي، فالتحدي هو طلب المنازلة والمعارضـة والقرآن الكريم تحدى العرب، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله، وهم أرباب الفصاحة والبيان شعرًا ونثرًا[٢] كما «قال ابن المقفع: يا قوم إنّ هذا القرآن ليس من جنس البشْر»[٣].

ولقد دعـا القرآن الكريم العرب إلى معارضته والإتيان ولو بمثل آية واحدة منه إلا أنّ ظنونهم خابت وافتضحوا أشـد الفضيحة وظهر عجزهم عما راموا إليه[٤].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الجزء ١، الصفحة ٢٧.

(٢) نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ١٠٩.

(٣) أبو منصور الطبرسي، **الاحتجاج**، الجزء ٢، الصفحة ٣٠٤.

(٤) المفيد محمد بن محمد العكبري، **أوائل المقالات**، الجزء ٤، الصفحة ٢٦٥؛ محمد باقر الأصفهاني، **البيان في عقائد الإيمان**، الصفحة ٤٠.

وهنالك عدة آيات للقرآن الكريم عن التحدي وهي كما يأتي[١]:

لقد تحدى القرآن أن يؤتى بمثله، بقولـه: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾[٢] وتحداهم أن يأتوا بعشـر سـور مثله، بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٣] وتحداهم أيضًا أن يؤتى بسورة واحدة صغيرة أو كبيرة في التشريع أو في العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٤] ثم كرر التحدي في قوله تعالـى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[٥] * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٦]. وفـي موضع آخـر تحدى الإنس والجـن بتهكم، قال تعالـى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٧]. ولقـد ذكر القرآن الكريم الجن لأنهم ليسـوا من أهل اللسـان العربي الذي أُنـزِلَ القرآن على أساليبه وكذلك جاء ذكرهم في القرآن تعظيمًا لشأنه[٨].

---

(١) داود العطار، **موجز علوم القرآن**، الصفحتان ٥٣ و٥٤؛ نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ١٠٩.

(٢) سورة **الطور**، الآية ٣٤.

(٣) سورة **هود**، الآية ١٣.

(٤) سورة **يونس**، الآية ٣٨.

(٥) سورة **البقرة**، الآية ٢٣.

(٦) سورة **البقرة**، الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٧) سورة **الإسراء**، الآية ٨٨.

(٨) جلال الدين السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، الجزء ١، الصفحة ٧.

ويقول «الباقلاني» (توفي عـام ٤٠٣هـ) إن التحدي في القرآن الكريم هو تحد قائم طوال حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في مكة والمدينة على السـواء، وإنّ المشـركين عجزوا عن الإتيان بمثله أو مثل بعضه وهو عجز يدل عليه النقل المتواتر[١].

أمـا وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فالشـيخ «البلاغي» يقول: «وإنّ للقرآن المجيد أيضًا وجوهًا من الإعجاز مما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشـد، إذا أطلع عليها»[٢]، ويميز الشيخ «البلاغي» بين نوعَين من الإعجاز:

الأول: الإعجـاز الموجه إلى العرب من ناحيـة الفصاحة والبيان الموجود في القرآن والتحدي لهم بالإتيان ولو بسورة واحدة.

الثاني: الإعجاز الموجه لكل البشر أو لكل ذي رشد[٣].

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، **إعجاز القرآن**، الصفحة ٢٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٣٢.

(٣) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٣٢.

الفصل الثالث



الخلافة والإمامة في فكر البلاغي

وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإمامة وأدلتها في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: أدلة المنكرين للإمامة ورد البلاغي عليهم.

المبحث الثالث: دور الإمامة في حفظ معالم الدين في فكر البلاغي.

المبحث الأول:

الإمامة وأدلتها في القرآن والسنة

١. الإمامة

«عبارة عن الخلافة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في أمور الدين والدنيا، وافترض طاعته على الأمة فيما أمر به أو نهى عنه»[١].

والإمامة منصب إلهي، ورئاسة عامة في أمور الدين والدنيا يختارها اللّه تعالى لفرد كامل من البشر، ويأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأن يرشد الأمة إليه، ويقوم نيابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في إرشاد الناس، وحجة اللّه على خلقه[٢].

وأمّا الإمام فهو المقتدى والمتبع، وقال «الراغب الأصفهاني» (توفي عام ٥٠٢هـ): «إنّ الإمام يقتدى بأقواله وأفعاله»[٣]. فالإمام هو الذي يقوم بتدبير الأمة وسيادتها والقيام بأمورها وتأديب جُناتها وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها، ومحاربة من يكيدها

---

(١) السيد علي الموسوي البهبهاني، **مصباح الهداية في إثبات الولاية**، الصفحة ٤٨.

(٢) حسن الأمين، **دائرة المعارف الشيعية**، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ٢٠٤.

ويعاديها. و «إنّ الإمـام في الأمة رجل مقتدًى يفيد من يقودهم مما أوتي من قوة في الفكر والرؤية، فيتأسـون به في سلوكه وسيرته في الحياة، ويطيعون أمره»[١].

ولذلك نجد أنّ الإمامة لها مفهوم واسع يشمل القيادة الفكرية والزعامة السياسـية معًـا، وأنّ الإمـام - بعد وفاة النبـي وصيانةً لمنجزاتـه واسـتمرارًا لقيادتـه - كان مكلفًا بتعليم النـاس الثقافة القرآنيـة والحقائق الدينيـة والتعاليم الاجتماعيـة، وأن يقودهم من جميع الجهات والجوانب والأبعاد[٢].

والإمامة لم تتحقـق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شـخص أو تعيينـه لهذا المنصب الإلهـي، وإنما خاضعـة لإرادة اللّه يختار من يشـاء من عباده ممن تتوفر فيه شـروط الإمامـة، ولذلك اقتضت حكمة اللّه الأزليـة أن يوجد موجودًا يكون واسـطةً في الفيض على مَنْ دونه، والبرهان الفلسـفي يثبت حقيقة وجود موجود جعله اللّه في العالم سببًا وواسـطةً لإعطاء الفيض والوجود للموجودات التي دونه. والإمامة هي أعلى درجة وجودية يصل إليها الإنسان في أعلى درجات سموه وتقربه إلى اللّه سبحانه[٣]. والإمامة رئاسة عامة خلافةً عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في أمور الدين والدنيا[٤].

ولهذا كانـت الإمامة والخلافة هي الحجر الأسـاس عند جميع

---

(١) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد**، الجزء ٤، الصفحة ١١.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٤، الصفحة ١١.

(٣) كمال الحيدري، **المنهج العقائدي**، الصفحتان ٥٦ و٥٧.

(٤) محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء ١، الصفحة ١١٥.

الفرق الإسلامية، بل عند جميع العقلاء، لأنّ في الإمامة والخلافة تقام معالم الإسلام، ويعرف الحلال والحرام، وتقام الحدود وتدرأ المفاسد، ولذلك لم يهمل الإسلام هذا الركن الذي تتوقف عليه معالم الشريعة واستمراريتها. ولأجل هذا نذكر جملةً من الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢. أدلّة الإمامة في القرآن الكريم

هناك مجموعة من الأمور نشير إليها في مجال الاستدلال بالقرآن الكريم وهي:

الأمر الأول: «أنه يُفهم من القرآن الكريم أنّ الإمامة عندما جعلت بوصفها قضيةً ذات طبيعة مستمرة في وجودها وحركتها، لأنها وإن كانت تمثل ظاهرة تكامل للنبوة نفسها، وحركة الرسالات الإلهية، ولكنها في الوقت نفسه ظاهرة تكاملية أساسية في حركة المجتمع الإنساني والبشري أيضًا، لأنها تمثل الأداة في تجسيد الهدف للرسالات الإلهية وتحقيقها»[1].

وإنّ هذه الظاهرة لا يمكن أن تكون منقطعةً أو ثابتةً في حال دون حال، فالنبوة تمثل ظاهرةً تكاملية للحركة الإنسانية، والمؤشرات على هذا الاستمرار من القرآن الكريم عديدة، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، فإن هذه الآية

(١) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحة ١١٧.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

الكريمة تشـير إلى «أنّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما خوطب بالإمامة فهم من ذلك أنّ هذه الإمامة هي أمر باقٍ ومسـتمر، ولذلك كان سـؤاله عن دور ذريته في هذه الإمامـة «...قال ومن ذريتي...» وكان جوابه تعالى لإبراهيـم: «أن أكد هذا الفهم من الخطـاب، فقال: إنّ عهد الإمامة لا ينال الظالمين»»[١].

ولذلك نجد الآية تصرح أنّ الإمامة البشرية في الأرض في ولده وذريته، كمـا كانت النبوة في ولده وذريته، وغيـر وارد أن تكون في الظالمين لأنهم مستبعدون عنها، لارتكاسـهم في الخطايا والذنوب والمعاصي، فهي خالصة لأولئك النفر المخلصين، ففي الآية – إذن – دلالة علـى عصمة الأئمة، باعتبارهم أولياء، ولأنه تعالى اسـتثنى الظالمين من نيـل المنصب، والظالم غير معصـوم قطعًا، فهو إذن لا ينـال هذا المركز والمقام نظرًا لظلمـه وعدم عصمته، فمن خالف جزئيةً أو كليةً من الشرع الشريف فهو ظالم، والظالم لا تناله الولاية[٢].

وكذلك في هذه الآية صفة سـلبية تمنع الإنسان من بلوغ مرتبة الإمامة فهذه الآية أوضحت صفة الذيـن لا ينالهم العهد الإلهي من ذريـة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعدم اسـتحقاقهم مقـام الإمامة، هذا في الجانب السـلبي، أما في الجانب الإيجابي فهناك صفات لا بد من توفرها في الإمام ونعني بها الصفات التـي يلزم أن يتحلى بها الفرد عند بلوغه تلك المرتبة، وهي مرتبة تسـلم عهد اللّه سـبحانه، كما تحلى بها نبي اللّه وخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣].

---

(١) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحتان ١١٧ و١١٨.

(٢) محمد حسين الصغير، **الفكر الإمامي**، الصفحة ١٠٤.

(٣) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحتان ٧٥ و٧٦.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١] إنّ هذه الآية الشريفة أوضحت لنا أن الإمامة لا بد فيها من عنصرَين مرتبطَين ببعدَين في شخصية الإنسان، هما:

أ. البعد العملي، وهو الصبر.

ب. البعد العلمي، وهو اليقين[٢].

الأمر الثاني: أنّ القرآن الكريم حين يتحدث عن الإمامة يربطها بمصير حركة الإنسان والمهمات الأساسية التي يتحملها في الحياة الدنيا والآخرة، بحيث تصبح الإمامة ملازمةً لحركة الأمم ومن الأمثلة على ذلك:

- ما يذكره القرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء، وما قاموا به من أعمال في هداية الناس وإرشادهم وإنقاذهم من الضلالة؛ ولذلك فإنه يصفهم بالإمامة، ويرتب على هذا الوصف الواجبات الأساسية للمجتمع الإنساني الكامل: «فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والعبادة للّه تعالى» كما جاء ذلك في القرآن الكريم، حيث يختم المقطع الذي يتناول فيه ذكر الأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٣].

- «ما يذكره القرآن الكريم في وصف مصير الناس يوم القيامة، حيث تدعى كل جماعة منهم بإمامهم، الأمر الذي يشير إلى الارتباط

---

(١) سورة **السجدة**، الآية ٢٤.

(٢) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ٧٦.

(٣) سورة **الأنبياء**، الآية ٧٣.

بين مصير الجماعة والإمام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1]. وأنّ الإمامة حالة مستمرة مع الأمم والجماعات»[2].

الأمر الثالث: آية الاستخلاف المطلق التي وردت في القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾[3].

إنّ «هذه الآية الكريمة تدل على ضرورة الإمامة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الذي يتحقق فيه الأمن الكامل والتوحيد المطلق في العبادة للّه تعالى، لأنّ ذلك لم يتحقق في زمن الرسول ولا من بعده، ولا زال الشرك باللّه والخوف من الناس ظاهرةً قائمةً في التاريخ الإنساني منذ زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإن كانت بعض درجات الاستخلاف أو التمكين للدين أو الأمن قد تحققت في بعض الأزمنة الماضية، ولكن درجة الاستخلاف على مستوى التوحيد المطلق للّه تعالى المذكور في الآية الكريمة لم يتحقق على مدى التاريخ»[4].

وهناك بعض الآيات التي تدل على وراثة الأرض المطلقة لعباد اللّه الصالحين منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[5].

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ٧١.
(٢) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحتان ١١٨ و١١٩.
(٣) سورة **النور**، الآية ٥٥.
(٤) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحة ١٢٣.
(٥) سورة **الأنبياء**، الآية ١٠٥.

الأمر الرابع: هناك عدة آيات ذكرها القرآن الكريم تشـير إلى أنّ الإمامة هي استمرار للنبوة في إرشاد الناس، منها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١] فإن الظاهر من هذه الآية أنّ الشاهد الذي يلي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو استمرار لمسؤولية النبي في الشـهادة، وأنّ هذا الشاهد منه، ولذا جاء تفسير هذه الآية: أنّ المقصود منها هو الإمام علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ[٢].

الأمر الخامس: ورد في القرآن الكريـم عن وصف عباد الرحمن ودعائهم مـن قولـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣] فـي هـذه الآية «أعطيت القدوة عنوان الإمام، وجاء في تفسير ذلك على نحو التأويل تطبيقه علـى الأئمة، فلا بد من أن تكون باقيةً ومسـتمرةً فـي هذا المجال إلى أن تتكامل حالة المجتمع الإنساني الصالح، ويتحول إلى مجتمع القدوة»[٤].

الأمر السـادس: ذكر القرآن الكريم عدة آيـات تحدثت عن أنّ الغاية والهدف من إرسـال الأنبياء والرسـل هو حـل الاختلاف بين الناس، وهي آيات عديدة، منها قولـه تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا

---

(١) سورة **هود**، الآية ١٧.
(٢) أبو جعفر الطوسي، **الأمالي**، الصفحة ٣٧٢.
(٣) سورة **الفرقان**، الآية ٧٤.
(٤) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحتان ١٢٦ و١٢٧.

جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

في هذه الآية يبين اللّه سبحانه وتعالى الاختلاف القائم بين الناس ولذلك فلا شك بضرورة استمرار النبوة في الإمامة، ليتحقق هذا الهدف الإلهي في إرشاد الناس، وهذا هو ما تشير إليه آيات قرن طاعة الرسول بطاعة اللّه تعالى، وكذلك آيات قرن طاعة أولي الأمر بطاعة اللّه والرسول، ولاسيما في مورد الاختلاف والنزاع[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

في هذه الآية إرشادٌ وإشارة إلى أنّ حل الاختلافات على مستوى التطبيق الاجتماعي إنما يمكن أن يتحقق بوصفه هدفًا أعلى وأسمى للإنسانية، من خلال استمرار النبوة في ولاية الأمر، بعد النبي وهو دور من أدوار الإمامة[٤].

الأمر السابع: آية الولاية التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ٢١٣.
(٢) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحة ١٢٧.
(٣) سورة **النساء**، الآية ٥٩.
(٤) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحة ١٢٧.
(٥) سورة **المائدة**، الآيتان ٥٥ و٥٦.

ومن النصـوص الصريحة على وجود النـص على خلافة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قولـه تعالـى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١] فهي تدل على أنّ الولاية المطلقة للّه سـبحانه فهو المتصرف في شـؤون عباده، وهي تؤكد من وضع الـولاء والولاية للّه تعالى وللرسـول، بوصفها طريقًا لتحقيق التكامل والنضج في حركة المجتمع الإنساني، وأنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حيث أنه تصدق وهو راكع[٢].

الأمـر الثامن: يذكر القرآن الكريم مـن الملازمة بين وجود الأمم وواجبـات الإمامة بصورة عامة، فقد ذكر القـرآن الكريم في أكثر من مورد[٣]: أنّ في كل أمة (شـهيدًا)، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٤] كما ورد في بيان أنّ لكل قوم (هاديًـا)، قال تعالـى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٦].

---

(١) سورة **المائدة**، الآية ٥٥.

(٢) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، الجزء ٢، الصفحة ٧٣.

(٣) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحة ١١٩.

(٤) سورة **النساء**، الآية ٤١.

(٥) سورة **الرعد**، الآية ٧.

(٦) سورة **فاطر**، الآية ٢٤.

٣. أدلة الإمامة في السنة

أ. أدلة جمهور المسلمين

إنّ النص على ضرورة الإمامة له وجوه[١]:

الوجه الأول: هناك عدة روايات نستدل بها على ضرورة الإمامة، ويمكن تقسيم هذه الروايات إلى طوائف ثلاثٍ:

الطائفة الأولى: الروايات التي تفترض أنّ وجود الإمامة أو الإمارة أو الخلافة بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ واستمرار الحكم بعده أمرٌ ضروريٌ ومفروغٌ منه، ولذا تُرتب أحكامًا خاصةً، ومن تلك الروايات ما يقسم الأئمة على نوعَين: أئمة عدل، وأئمة جور، أو الأمراء إلى أمراء عدل وأمراء جور، أو الروايات التي تتحدث عن صفات الحاكم وما ينبغي أن يتصف به من الصفات، إلى غير ذلك من الروايات التي تذكر أن وجود أصل الإمامة أمر مفروغ منه، ولكن تحاول أن ترتب على ذلك أمورًا أخرى، وهذه الطائفة رواياتها عديدة، وهي بالمئات وموجودة تحت عناوين متعددة في كتاب البيعة، وفي كتاب الإمارة والقضاء من مجاميع الحديث.

الطائفة الثانية: روايات البيعة التي تتحدث عن وجوب البيعة وضرورتها، مثل ما روي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٢] وهذا يدل على ضرورة الإمام بالملازمة، ولذا تجب بيعته، ولكن يتم تأكيدها دون ذكرها صراحةً، إذ لا يمكن تحقق البيعة بغير إمامة.

---

(١) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحات من ١٣١ إلى ١٤٠.

(٢) منصور علي ناصف، **التاج الجامع للأصول**، **الجزء ٣**، الصفحة ٤٦.

الطائفة الثالثة: الروايات التي تذكر ضرورة وجود «السلطان» و«الأمير» و«الخليفة» بعناوين متعددة، وهي ضرورة ترتبط بحياة الناس ومعاشهم، من قبيل ما ورد في عدة نصوص من ارتباط نظام الناس وحياتهم ومعاشهم، بالإمامة والخلافة، وأنّ وجود أصل النظام يمثل ضرورةً من ضروريات العقل ولا يمكن تجاهلها، ومن ثم فلا بد أن يكون هناك حاكم لحفظ النظام، وإذا كان من الضروري أن يكون هناك حاكم، فلا بد من أن يكون الحاكم فقيهًا، وهناك عدة روايات منها قوله صلى اللّه عليه وعلى آله: «السلطان ظل اللّه في الأرض يأوي إليه الضعيف، وبه ينصر المظلوم...»[1] وضرورة وجود مأوًى للضعيف ونصرة المظلوم من المسلمات الإسلامية الدينية والإنسانية.

الوجه الثاني: الروايات التي تدل على تحقق الاختلاف بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على «العبادة»، وأنّ هذا الاختلاف أمر حتمي، وهي عديدة:

أ. ما رواه أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتَين وسبعين فرقةً، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتَين وسبعين فرقةً، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً»، وزاد في رواية «اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»، وزاد أبو داود في رواية: «وأنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق إلا دخله»[2].

---

(١) المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ٦، الصفحة ٥، الحديث ١٤٥٨٢.

(٢) أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند أحمد بن حنبل**، الجزء ٢، الصفحة ٣٣٢.

ب. ما رواه حذيفة بن اليمان «قلت: يا رسول اللّه إنا كنا بشرّ (أي في الجاهلية) فجاء اللّه بخير (وهو الإسلام) فنحن فيه فهل من وراء ذلك الخير شر؟ (أي هل وراء هذا الخير الذي جاء به الإسلام شر كذاك الشر الذي كنا فيه) قال: نعم، قلت: وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس...»[١].

الوجه الثالث: الروايات التي تؤكد وقوع الاختلاف بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على مستوى التأويل والتفسير، في رواية عن عرفجة، قال سمعت رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «أنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»[٢] ومحل الشاهد فيها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنه ستكون هنات وهنات»، بحيث تفرق أمر الأمة.

وعن ابن عمر - أيضًا - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[٣]، وروايات أخرى - أيضًا - بهذا المضمون عديدة تدل على وجود هذا الاختلاف، ويدل على ذلك أيضًا روايات افتراق الأمة إلى اثنتَين أو ثلاث وسبعين فرقةً، إذن عندما نلاحظ هذه الروايات بجميع طوائفها يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة:

---

(١) أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الصفحة ٧٠٨٤.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج قشري النيسابوري، **صحيح مسلم**، الجزء ١٢، الصفحتان ٢٤١ و٢٤٢.

(٣) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، الصفحة ٤٦٩١.

أولًا: أنّ هناك ما يدل على ضرورة الإمامة بمعنى الحكم بصورة خاصة.

ثانيًا: أنّ هناك اختلافًا سوف يكون بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلا بد من وجود الإمامة لحل هذا الاختلاف، وهو اختلاف يكون بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على مستوى العبادة، كما يكون - أيضًا - على مستوى التأويل.

ب. أدلة أهل البيت

هناك عدة روايات عند أهل البيت على ضرورة الإمامة ويمكن تقسيمها على طوائف خمس، هي[١]:

الطائفة الأولى: الروايات التي دلت على وجوب الإمامة وضرورتها بصورة صريحة وواضحة، منها رواية عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: إنّ الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئًا ردهم، وإن نقصوا شيئًا تممه لهم»[٢].

ورواية أخرى عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ اللّه لا يدع الأرض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئًا ردهم، وإذا نقصوا أكمله لهم فقال: خذوه كاملًا، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم، لم يفرق بين الحق والباطل»[٣].

---

(١) محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، الصفحات من ١٤٢ إلى ١٥٥.

(٢) أبو جعفر الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحة ١٧٨.

(٣) الصدوق، **علل الشرائع**، الجزء ١، الصفحة ٢٣١.

الطائفة الثانية: الروايـات التي وردت في وجوب معرفة الإمام، وأنّ الإنســان يجب عليه معرفة إمامه، ويترتب على ذلك اسـتنتاج ضرورة أن يكون الإمام موجودًا حتى يمكن للإنسان أن يعرفه.

ومنها رواية عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقـول: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[1].

وفـي رواية أخرى عـن الفضيل، عن الحارث بـن المغيرة قال: «قلت لأبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال»[2].

الطائفة الثالثـة: الروايات التي دلت على أنّ لـكلّ نبي وصيًا، وأنه لا يمكن أن يكون هناك نبـي دون وصي، منها رواية عن معاوية بـن عمار، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قـال: «إنّ الإمامة عهد من اللّه سبحانه معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون بعده، إن اللّه تبارك وتعالى أوحى إلى داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن اتخذ وصيًا من أهلك فإنه قد سـبق في علمي أن لا أبعث نبيًا إلا وله وصي من أهله»[3].

وهناك رواية وردت فـي نصوص عن الأئمة: كثيرة جدًا، ومنها: في حديث اللوح الذي نزل من السـماء مكتوبًا فيه أسـماء الأئمة،

---

(١) أبو جعفر الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحتان ٣٧١ و٣٧٢.
(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٣٧٣.
(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٢٧٨.

وروى أبــو بصير عن أبــي عبــد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ، في حديــث طويل: «... هذا كتــاب من اللّه العزيــز الحكيم لمحمد نبيــه ونوره - إلى قوله - إني لم أبعث نبيًا فأكملــت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصيًا...»[١].

الطائفة الرابعة: الروايــات التي تدل على أنّ الأرض لا تبقى من غير إمام وإلا ســاخت الأرض بأهلهــا، أو أنّ الأرض لا يمكن أن تخلو من حجة، أو تخلو من إمام، وأنها إذا خَلَتْ من الإمام ساخت بأهلها، ووردت آيات كثيرة عن هذا المضمون، منهــا رواية عن «زرارة»، عن أبي عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث له في الحســين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في آخره: «ولولا من على الأرض من حجج اللّه لنفضت الأرض ما فيها وألقت ما عليها، إن الأرض لا تخلو ساعةً من حجة»[٢].

ورواية عن الحســن بن زياد، قال: سمعت أبا عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنّ الأرض لا تخلــو من أن يكون فيها حجة عالم، إنّ الأرض لا يصلحها إلا ذلك، ولا يصلح الناس إلا ذلك»[٣].

الطائفة الخامســة: النصوص التي وردت في بيان ما أشرنا إليه وذكرناه عن ضرورة الإمامة، وهي ثلاثة أمور:

الأمــر الأول: أنّ الإمامة ضــرورة من أجل حــل الاختلاف على مســتوى العبادة، ومن الروايات التي تدل على ضرورة الإمامة لبيان الحلال والحرام، عن «الحرث بن المغيرة»، قال: «ســمعت أبا عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إنّ الأرض لا تترك إلا بعالم يحتاج الناس إليه ولا

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٥٢٧.

(٢) الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، الجزء ٤، الصفحة ٢٠٢.

(٣) محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٢٣، الصفحتان ٣٥ و٣٦.

يحتاج إلى الناس ويعلم الحلال والحرام»[١].

الأمـر الثاني: أنّ الإمامـة ضرورة من أجل حـل الاختلاف على مستوى التأويل، وتفسير الشـريعة والدين، ومن الروايات التي تدل علـى أنّ الإمامة، ضرورة لرفع الالتباس، فقـد ورد عن «عبد الأعلى مولى آل سام»، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: ما ترك اللّه الأرض بغير عالم ينقص ما زاد النـاس، ويزيد ما نقصوا، ولو لا ذلك لاختلط على الناس أمورهم»[٢] ومحل الشـاهد «لاختلط على الناس أمورهم».

الأمر الثالث: أنّ الإمامة ضرورة من أجل إقامة الحق والعدل بين الناس بصورة كاملة.

ج. الإجماع

حكي عن العلماء إجماع جميع علماء المسلمين على ضرورة الإمامة، سـواء علماء مدرسـة أهل البيت، أو مدرسـة الصحابة والجمهور، حيث اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة فرض واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام اللّه ويسوسـهم بأحكام الشـريعة التي أتى بها رسـول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، واستثنى «ابن حزم» من هذا الإجماع النجدات من الخـوارج، إلى أن قال: «مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأمة وإيجاب الإمامة»[٣].

---

(١) محمد الحسن الصفار القمي، **بصائر الدرجات**، الجزء ٨، الصفحة ٤٨٥.

(٢) الصدوق، **علل الشرائع**، الجزء١، الصفحة ٢٣٧.

(٣) ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الجزء ٣، الصفحة ٣.

و«إنّ نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأنّ أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر وتسليم النظر له، وكذا في كل عصر من بعد ذلك. ولم يترك الناس فوضًى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعًا دالًا على وجوب نصب الإمام»[١].

وعلى ذلك قال المتكلمون كافةً: «الإمامة واجبة إلا ما يحكى عن «أبي بكر الأصم» من قدماء أصحابنا أنها غير واجبة إذا تناصفت الأمة ولم تتظالم... فأمّا طريق وجوب الإمامة ما هي؟ فإن مشايخنا رحمهم اللّه، البصريين يقولون: طريق وجوبها الشرع وليس في العقل ما يدل على وجوبها. وقال البغداديون و«أبو عثمان الجاحظ» من البصريين وشيخنا «أبو الحسين» رحمه اللّه تعالى: إنّ العقل يدل على وجوب الرياسة، وهو قول الإمامية»[٢].

وخلاصة القول: «اتفق الأئمة على أنّ الإمامة فرض وأنه لابد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين وينصف المظلومين من الظالمين، وعلى أنه لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدنيا إمامان لا متفقان ولا مفترقان»[٣].

إذن، فالإجماع في نصوص مدرسة أهل البيت وعلماء الجمهور مسلّمة على وجوب الإمامة.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، الجزء ١، الصفحة ١٩١.

(٢) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، الجزء ٢، الصفحة ٣٠٨.

(٣) عبد الرحمن الجزيري، **الفقه على المذاهب الأربعة**، الجزء ٥، الصفحة ٤١٦.

د. النص على إمامة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

أجتزئ هنا بأحاديث يسيرة تدل على النص على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالإمامة بعد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهذه الأحاديث هي:

١. حديث الغدير: ونصه: «من كنت مولاه فعليٌّ هذا مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأَحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...»[١]. وقد ألّف فيه من السنة، واعترف بتواتره، نصًا وسندًا، أكثر من ثلاثين علمًا من الأعلام[٢]، وروى حديثه هذا وبنصوص متقاربة ١١٠ من الصحابة، ومن التابعين ٨٤ تابعيًا[٣]، وقد أخرج حديث الغدير عدد كبير من علماء السنة أحصاهم الشيخ «الأميني» بـ ٣٦٠ عالمًا، وذكر أسماءهم[٤].

٢. عن أبي سعد بن أبي وقاص، قال: «قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[٥].

٣. وعن «ابن عباس» قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعلي: «أنت وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي»[٦].

---

(١) أحمد بن حنبل، **المسند**، الجزء ٤، الصفحة ٢٨١.
(٢) عبد اللّه الغريفي، **التشيع**، الصفحتان ١٦٩ و١٧٠.
(٣) محمد حسين الصغير، **الفكر الإمامي**، الصفحة ١٨٨.
(٤) عبد الحسين الأميني، **الغدير**، الجزء ١، الصفحات من ١٤٩ إلى ١٥١.
(٥) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، الجزء ٧، الصفحة ١٢٠.
(٦) الخوارزمي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصفحة ٧٤.

٤. وعن «أبي حمزة الثمالي» عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لما أن قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى اللّه تعالى إليه: أن يا محمد قد قضيت نبوتك، واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر، وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك: عند علي بن أبي طالب، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار النبوة من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء»[١].

٥. عن سلمان أنه سمع رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: «إنّ أخي وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب»[٢].

٦. عن «أبي بريدة» عن أبيه قال، قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لكل نبي وصي ووارث، وإنّ عليًا وصيي ووارثي»[٣].

٧. اشتكى بعض الصحابة إلى النبي من علي ذات مرة، فبدا الألم على وجه النبي، وقال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي»[٤].

٨. عن «ابن عباس»، أنّ النبي خرج بالناس في غزوة تبوك قال: «فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال له نبي اللّه: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست نبيًا، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، قال

---

(١) الكليني، **الكافي، الجزء ١**، الصفحة ٢٩٢.
(٢) الخوارزمي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصفحة ٦٢.
(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٢.
(٤) عباس محمود العقاد، **عبقرية الإمام**، الصفحة ١٦٤.

وقال رسول اللّه: أنت وليي في كل مؤمن بعدي وقال: سدّوا أبواب المسجد غير باب علي... وقال: من كنت مولاه فإن مولاه علي... إلخ»[١].

٩. وفي دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لبني عبد المطلب، قوله لهم، ومدّه يده: «من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي؟ قال علي: فمددت، وقلت: أنا أبايعك، فبايعني على ذلك...»[٢].

١٠. عن «أنس بن مالك» قال: «كان عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طير، فقال: اللهم أنّي بأحب خلقك إليك وإلي ليأكل معي من هذا الطير، فجاءه علي فأكل معه»[٣].

١١. قال الرسول لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما خلفه على المدينة في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[٤].

١٢. قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[٥].

١٣. قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها»[٦].

---

(١) أحمد بن حنبل، **المسند**، الجزء ٥، الصفحة ٢٥.
(٢) المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ٣، الصفحة ١٤٩.
(٣) الخوارزمي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصفحة ٥٩.
(٤) أبو عبد اللّه البخاري، **صحيح البخاري**، الجزء ٥، الصفحة ٤٩٢.
(٥) الحاكم النيسابوري، **المستدرك**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٢.
(٦) محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٢، الصفحة ٢٩٩.

١٤. قال رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعلي: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[١].

١٥. قال رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٢].

١٦. قال رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «علي مع الحق والحق معه، يدور الحق معه حيث دار»[٣].

هذه نماذج من أحاديث الرسول الأعظم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في أمير المؤمنين علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، بعضها ينطق بالنص الصريح على إمامته، وبعضها ينطق بالدلالة الالتزامية والتضمينية على إمامته.

---

(١) الحاكم النيسابوري، **المستدرك**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ١٢٤.

(٣) محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٥، الصفحة ٦٣٣.

المبحث الثاني:

أدلة المنكرين للإمامة وردّ البلاغي عليهم

الإمامة مبدأ قائم على أساس من الكتاب والسنة والعقل والإجماع، وهذا المبدأ ظاهر لا غبار عليه ولا سرية معه، وهو شائع ومعروف عند جميع المسلمين منذ وفاة الرسول الأعظم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إلا أنّ هناك بعضًا ممن أنكر الإمامة وبعضهم اختلف في تفسير الآيات القرآنية الواردة عن الإمامة[١].

وقد صدرت مقالة نشرت في العدد ٩٦ من مجلة **السياسة المصرية**، في سنتها الثانية، عنوانها «المهدي المنتظر... نشأته، وأطواره في التاريخ»، بتوقيع «زكي نجيب محمود»[٢]. وعن

---

(١) محمد حسين الصغير، **الفكر الإمامي**، الصفحة ١١٠.

(٢) فيلسوف مفكر، من دعاة التغريب، ولد في إحدى قرى محافظة دمياط بمصر سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وتوفي في إحدى مستشفيات القاهرة سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، نال شهادة دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، تولى رئاسة تحرير مجلة **الفكر المعاصر** منذ نشأتها، وكذا مجلة **الثقافة**. ألّف وترجم كتبًا عديدةً في الفلسفة والثقافة والأدب، أدرج في كتبه ومقالاته أفكاره المعادية للدين والشرع الحنيف، مما حدى بالكثيرين إلى التصدي له والرد عليه وتفنيد ادعاءاته ودحض شبهاته، كالعلامة البلاغي، انظر، نسمات الهدى ونفحات المهدي، الجزء ٦، الصفحات ٣ إلى ٢٩؛ والشيخ محمد متولي الشعراوي، =

هــذه المقالة قال الشــيخ البلاغي إنّ «من واجــب الحقيقة الدينية والتاريخية أن نعلق على بعض كلماتها على وجه الإيجاز»[١].

ومن الموضوعات التي ذكرتها المقالة، هي:

١. التشكيك بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

قال صاحــب المقالة: «كثيرًا ما تعترض الإنســانية أزمنــة يكثر فيها الأحزاب والفوضى، فسرعان ما تسود الفكرة عند الشعوب الساذجة أنّ السماء ستُنزل رجلًا يعيد النظام، وينشر الأمن والعدل بين الناس. فالعقول البســيطة إذا حلت كارثة لا تلجأ إلا إلى القوة الإلهية؛ وقد حدث ذلك عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء - إلى أن قال - وهــذه الفكرة لعبت دورًا كبيرًا في الإســلام، حتى أنها لا تزال إلى اليوم تستولي على معظم العقول»[٢].

وفــي حالة تعجب للشــيخ البلاغي، حيث قال قد كنا نســمع من طنيــن الإلحاد - في روايــة تأريخ الأديان - مــا اختلقته الأفكار الشــاذة من أوهام الأهواء، أخذًا عن نزعات المبادئ المادية، وهو: «إن البشــر لمّا أرعبتهم الأهوال الكونية بصدفة الطبيعة اختلقوا لهم ما وراء الطبيعة إلهًا، تصوروه قادرًا على التصرف بإرادته في العالم؛

= وكمال المليجي، انظر، محمد خير رمضان، **تتمّة الأعلام**، الجزء ١، الصفحة ١٩٢؛ وانظر، خير الدين الزركلي، **إتمام الأعلام**، الصفحة ١٠٢؛ وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، الصفحة ١٩٥.

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، نسمات الهدى ونفحات المهدي، الجزء ٦، الصفحة ٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٣ و٤.

وذلك لكي يلتجئوا إليه ويستغيثوا به عند عروض الأهوال والكوارث، ليخلصهم منها»[١]. ولذا فإنّ هذا الكتاب لم يحترم الحقائق، ولا أهل الأديان في مبادئهم، بل تحمل المسؤولية الكبرى لشرف الحقيقة.

وقد رد الشيخ البلاغي عليه وقال: «على رسلك أيها الكاتب! إنّ أهل الأديان الذين يقولون بنحو ما تذكره عنهم، هم إلهيون متدينون، قد أخذوا هذا من البشائر الإلهية بوساطة النبوات. ويا ليت ما يتضح لنا أنّ المناقشة معهم في هذا القول - شكًا أو جحودًا - هل هي في الإلهية التي هي مركز الحقائق، أو في صدق النبوات، أو في صدور النبأ عنها؟ أما المناقشة في المركز المذكور، فيلزم فيها المصارحة بتعديل صفوف البحث، ليجري الكلام على مجاريه. وكذا الكلام في صدق النبوات وأما صدور هذا النبأ عنها؛ فإن كل أمة تملي عليك من كتب وحيها وتقاليدها البشرى بذلك شيئًا كثيرًا[٢].

وأما ما جاء عن رسول اللّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في شأن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنّ الشيخ البلاغي يرد على الكاتب بقوله: «وعلينا - معاشر المسلمين - أن نملي عليك بعض ما جاء في ديننا عن رسول اللّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في شأن المهدي مما يجبهُ الريب والتشكيك»[٣].

فمن طرق أهل السنة وكتبهم فيما جاء عن الرسول الأكرم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أحاديث آخر الزمان، وحوادثه، والمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٤ و٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٥.

أ. «أبشـروا بالمهدي، رجـل من قريش من عترتـي، يخرج في اختلاف من النـاس وزلزال، فيملأ الأرض قسـطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[١].

ب. «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث اللّه رجلًا من أهل بيتي يملؤها عدلًا كما ملئت جورًا»[٢].

ج. «لـو لم يبق من الدنيـا إلا يوم لطول اللّه ذلـك اليوم حتى يبعث رجلًا من أهل بيتي، يواطئ اسـمه اسمي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[٣].

د. «ثم يخرج رجل من أهل بيتـي، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا»[٤].

هـ. «لا تقوم السـاعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وعدوانًا، ثم يخرج من عترتي من يملؤها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[٥].

و. «فيبعـث اللّه رجلًا مـن عترتي وأهل بيتـي، فيملأ الأرض

---

(١) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ٣، الصفحتان ٤٢٦ و٤٢٧، الحديث ١٠٩٣٣.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ١٥٩، الحديث ٧٧٥.

(٣) أبو داود السجستاني، **سنن أبي داود**، الجزء ٤، الصفحة ١٠٤، الحديث ٤٢٨٢.

(٤) يوسف بن عبد اللّه، **الاستيعاب**، الجزء ١، الصفحة ٢٢١؛ ابن عساكر، **تأريخ دمشق**، الجزء ١٤، الصفحتان ٢٨٢ و٢٨٣، الحديث ٣٥٦١.

(٥) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ٣، الصفحتان ٤٢٤ و٤٢٥، الحديث ١٠٩٢٠؛ أحمد الموصلي، **مسند أبي يعلي**، الجزء ٢، الصفحة ٢٧٤، الحديث ٩٨٧.

قسطًا وعدلًا»[١].

ز. «المهدي من عترتي، يقاتل على سـنتي كما قاتلت أنا على الوحي»[٢].

ح. «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»[٣].

ط. «المهدي رجل من وُلدي، وجهه كالكوكب الدُري»[٤].

ي. في خطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ومنا المهدي، وهو من ولدك»[٥].

ك. «نحن ولد عبد المطلب سـادات أهل الجنـة، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[٦].

ل. «ثم يخرج رجل مني يملؤها عدلًا كما ملئت جورًا»[٧].

م. «كيـف تهلك أُمة أنا في أولها، وعيسـى بن مريم في آخرها

---

(١) الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحَين**، الجزء ٥، الصفحة ٦٥٩، الحديث ٨٤٨٦.

(٢) نور الدين السمهودي، **جواهر العقدَين**، الصفحة ٣٠٦؛ ابن حجر، **الصواعق المحرقة**، الصفحة ٢٥١.

(٣) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ١، الصفحة ١٣٦، الحديث ٦٤٦؛ أبو عبد اللّه الكنجي، **كفاية الطالب**، الصفحة ٤٨٦.

(٤) المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ١٤، الصفحة ٢٦٤، الحديث ٣٨٦٦٦.

(٥) أحمد بن حجر الهيثمي، **مجمع الزوائد**، الجزء ٩، الصفحة ١٦٥.

(٦) أبو عبد اللّه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، **سنن ابن ماجة**، الجزء ٢، الصفحة ١٣٦٨، الحديث ٤٠٨٧؛ الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحَين**، الجزء ٤، الصفحة ٢٢٠، الحديث: ٤٩٩٣.

(٧) نور الدين الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الجزء ٧، الصفحة ٣١٤؛ المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ١٤، الصفحة ٢٦٦، الحديث ٣٨٦٦٩.

والمهدي من أهل بيتي في وسطها؟»[١].

ن. «منّا الذي، يصلي خلفه عيسى بن مريم»[٢].

س. «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٣].

وأما ما جاء من طرق الشيعة ومسانيدهم، فهو مما يضيق عن ذكره هذا المجال وفي **رسالة نصائح الهدى** المطبوعة في بغداد سنة ١٣٣٩ - ذكر عن ذلك - من طرق الشيعة وأهل السُنة، بالأسانيد المعتبرة عن الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعن أئمة أهل البيت مائة وعشرة أحاديث، كلها تصرح أو تعين أنّ المهدي هو ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٤].

٢. الإمامة عند الشيعة

ذكر الشيخ «البلاغي» ما قاله الكاتب عن الإمامة عند الشيعة في مقالته حيث قال الكاتب: «ويرجع ذلك إلى أنه حدث في صدر

---

(١) إبراهيم بن محمد الجويني، **فرائد السمطين**، الجزء ٢، الصفحات من ٣٣٨ إلى ٣٤٠.

(٢) المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ١٤، الصفحة ٢٦٦، الحديث ٣٨٠٣٧.

(٣) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٤، الصفحة ٤٣٨، الحديث ٢٢٣٠.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، نصائح الهدى، الجزء ٦، الصفحات من ٩٤ إلى ١٣٤.

الإسلام أن نهض جماعة شايعوا علي بن أبي طالب في إمامته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وحجتهم في ذلك أنّ الإمامة قضية ليست من المصالح العامة التي تُعرض أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها، بل هي وصية يوصيها القائم بالأمر إلى من يخلفه، ويتعين أن تخضع هذه الأمة لهذه الوصية.

وتلك الجماعة - التي يطلق عليها اسم «الشيعة» في التأريخ - تقول: إنّ النبي محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أوصى بإمامة علي قبل موته، وقال في ذلك أقوالًا كثيرةً مثل: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[1]»[2].

وغير خفي من الأحاديث المتقدمة، والمشار إليها، وأضعافها مما لم نذكره، بل من اتفاق المسلمين في أمر المهدي والمسيح، أنّ أمر المهدي يرجع إلى تبليغ رسول اللّه وبشراه في تعاليم دين الإسلام. وأمّا اعتقاد الشيعة في الإمامة، فحججهم فيه معروفة عنهم - لمن له معرفة - مدونة في كتبهم، المنتشر مطبوعها ومخطوطها في أطراف العالم، مجهزة بالحجج النيرة الباهرة من الكتاب والسنة والعقل.

ومن جملة ذلك أنهم يقولون إنّ نصب الإمام، وتعيين الذي هو صالح للإمامة الدينية - بحسب علمه، وكماله الظاهر والباطن،

---

(١) أبو عبد اللّه القزويني، **سنن ابن ماجة**، الجزء ١، الصفحة ٤٣، الحديث ١١٦؛ أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ١، الصفحة ١٣٥، الحديث ٦٤٢؛ محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء٥، الصفحة ٥٩١، الحديث ٣٧١٣.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، نسمات الهدى ونفحات المهدي، الجزء ٦، الصفحات من ١٤ إلى ١٦.

وملكاته الراقية الزكية الثابتة المستمرة - إنما يكون من اللّه تبارك اسمه وجلت آلاؤه، ويكون ذلك العهد متصل بالرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، مستند إلى الوحي الإلهي. وحجتهم في ذلك من الكتاب المجيد تؤخذ من قوله تعالى لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فإنه واضح الدلالة على أنّ الإمامة الدينية وزعامتها العامة هي عهد اللّه وبجعله، ولا تنال الظالمين، بل تجري على روح الصلاحية الدينية وحقيقة مصالح البشر ورغائبهم الصالحة بوساطة العهد بأمرها إلى الصالح الكامل المقدس في الظاهر والباطن، وهو من يعلم اللّه أن لا يظلم غيره ولا نفسه بتعدي الحدود الشرعية والمعقولة، كما يشير إلى ذلك بفحواه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

وحجتهم من العقل ما يرشد إلى وجهه المشرق وحي الآيتَين الكريمتَين، وهو أنّ الأمانة الشرعية والزعامة العامة الدينية التي تخلف النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في رئاسة الدين والدنيا، وتنوب عنها في وظائفها، إنما هي زعامة ومصلحة عامة للبشر، لا تختص بأمة ولا قومية ولا بمصلحة قطر خاص أو قادة مخصوصة، بل تسري بصلاحها العام مع الدين حيثما سار، يدًا بيد، وجنبًا لجنب. ويشترك في أمرها وفائدتها وشؤونها ونفوذها كل من الأرملة، واليتيم، والطفل، والهرم، والضعيف، والقوي، والعاجز، والعبد، والمولى، والفقير، والغني، والصالح، وغيره، وهي أكبر مصلحة عامة ينتظم بها الصلاح

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

(٢) سورة **الأنعام**، الآية ١٢٤.

والإصلاح لأمور البشر، ولا يكون من ذلك على الوجه المطلوب فيها والكامل في الصلاح، إلا ما استند إلى علم اللّه القدوس العليم واختياره.

ويشير الشيخ «البلاغي» إلى الغرائب التي لا قيمة لها في سوق المعرفة والأدب والصدق والأمانة، قول القائل: «وحجتهم في ذلك أنّ الإمامة ليست من المصالح العامة التي تطرح أمام الجمهور لإبداء رأيه فيها وكأنه بهذا الكلام يرثي لحقوق الأمة، ويسكب لها عبرات الرحمة»[١].

ويرد عليه الشيخ «البلاغي» بقوله: «كفكف دموعك أيها الكاتب، فإنّ مبدأ الشيعة بالوصية بالإمامة المسندة إلى الرسول وإلى الوحي مبني ومؤسس على أحسن الوجوه وأصحها في رعاية الصالح لعامة البشر في الحال والمستقبل، ومطابقة الرغائب الصحيحة الصالحة الحرة لجميع الناس بالنحو الجاري بروح اللطف الإلهي والعدل والحكمة، والمنزه عن الخطأ، والخداع، والاستبداد، والمحاباة، وعن تدخل المدلسين في الحل والعقد وتمثيل الأُمة، والذين يكمون أفواه ذوي الحقوق بالضربة القاضية، وعن تمويه الاستبداد والضغط والاستعباد باسم الحرية، ألا تدري أن الشيعة ينسبون هذه الوصية من إمام إلى إمام إلى عهد الرسول إلى عهد اللّه واختياره؟»[٢].

ويقول الشيخ «البلاغي»: «أوَليس اللّه سبحانه بأنظر لخلقه

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، نسمات الهدى ونفحات المهدي، الجزء ٦، الصفحة ١٦

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ١٦ و١٧.

منهم لأنفسهم، وأحسن رعايةً لمصالحهم العامة والخاصة؟ وهو القدوس الحكيم الذي أحاط بكل شيء علمًا، والغني المطلق، واللطيف الرؤوف الرحيم[١]. وإنّ اختيار اللّه سبحانه وتعالى للإمام هو روح الرعاية لعامة البشر وصلاح أمرهم، والنظر إلى المستقبل في شؤون الإمام والرعية، وهو الجامع لكل حكمة وفائدة تفرض في اجتماع الآراء، والمنزه من نقائص البشرية، من حيث الجهل والخداع والتدليس والاستبداد والاستئثار والضغط والمحاباة والميل وجر النار إلى القرص والاستعجال واغتنام الفرص، ولذلك فالإمامة على مبدأ الشيعة تجري على أرقى وأحسن وجه في صلاح البشر، والرعاية لحقوقهم، ومساواة الضعيف بالقوي»[٢].

وفي هذا الصدد يرد الشيخ «البلاغي» على الكاتب بقوله: «وهل تنكر بعد هذا - أيها الكاتب - وجوب خضوع الأُمة لهذه الوصية المستندة إلى الرسول وتعيينه واختياره القائم بحقيقة الصلاح العامة؟ وقد كتب الشيعة مبدأهم هذا ودونوه في كتبهم مدعومًا بالبراهين وموازين المنطق ونواميس المعقول، فإن كانت لك مناقشة فيما دونوه، فهلم إلى البحث النزيه، فإن الحقيقة بنته»[٣].

وأما بشأن تعرض الكاتب لقول الشيعة بوصية الرسول الأعظم محمد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بإمامة أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث رد عليه الشيخ «البلاغي» وقال: «وأمّا تعرضك لقول الشيعة بوصية الرسول

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ٦، الصفحة ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بإمامة علي، فدع أمر هذه الوصية لما مضى، وإن كانت رغمًا عن الكوارث المتتابعة تثبت وجودها، وتظهر ذاتها بالمظاهر الجلية، من خصوص روايات أهل السنة في مسانيدهم وجوامعهم وغير ذلك من كتبهم»[1].

وتتجلى منه حديث الغدير وهو صحيح متواتر، بل في أعلى درجات التواتر، قطعي الصدور، واضح الدلالة على إمامة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرغم من محاولات التعتيم عليه، وطمس معالمه، وكتم الكاتمين، فقد قاله النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أكثر من مرة، وأشهرها وآخرها ما قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند منصرفه من حجة الوداع، في ١٨ ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، ورواه عنه أكثر من مائة صحابي؛ ثم كانت مناشدات أمير المؤمنين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الصحابة به لإثبات حقه بالخلافة مشهورةً[2]، وفي هذا الحديث قال الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...»[3].

وفي حديث المنزلة، حيث قال الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي من بعدي»[4]. وفي حديث الولاية، حيث قال الرسول محمد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، الجزء ٦، الصفحة ١٤.

(٣) أبو عبد اللّه القزويني، **سنن ابن ماجة**، الجزء ١، الصفحة ٤٣، الحديث ١١٦؛ أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء١، الصفحة ١٣٥، الحديث ٦٤٢.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، الجزء ٣، الصفحة ١٣٥٩، الحديث ٣٥٠٣؛ أبو عبد اللّه القزويني، **سنن ابن ماجة**، الجزء ١، الصفحة ٤٥، الحديث ١٢١.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هو ولي كل مؤمن بعدي»[١]. وفي حديث الخلافة، حيث قال الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم الدار: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[٢]. وفي حديث الوصية، حيث قال الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لكل نبي وصي ووارث، وإن عليًا وصيي ووارثي»[٣]. وأمّا في حديث الثقلَين الذي هو من الأحاديث المتواترة، وله طرق عديدة وألفاظ مختلفة، ومن ألفاظه أنّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «إني تارك فيكم الثقلَين: كتاب اللّه عز وجل وعترتي، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما»[٤].

من خلال هذه الأحاديث نجد أننا بالنسبة إلى الوئام وتوحيد الكلمة أشد احتياجًا منا إلى إيراد الأدلة والإدلاء بالحجج على هذه الحقيقة[٥]. وعلى هذا نجد أنّ نفوذ الإمامة الشرعية الدينية قد اعترضت الفترة ما بين كل نبيَّين وما بين كل رسولَين من رسل اللّه

---

(١) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ٥، الصفحة ٦٠٦، الحديث ١٩٤٢٦.

(٢) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ١، الصفحة ١٧٨، الحديث ٨٨٥؛ المتقي الهندي، **كنز العمال**، الجزء ١٣، الصفحات من ١٣١ إلى ١٣٣، الحديث ٣٦٤١٩.

(٣) الخوارزمي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصفحتان ٨٤ و٨٥.

(٤) محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٥، الصفحة ٦٢١، الحديث ٣٧٨٦؛ أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، الجزء ٣، الصفحة ٣٨٨، الحديث ١٠٧٢٠.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، نسمات الهدى ونفحات المهدي، الجزء ٦، الصفحة ١٩.

بأسباب بشـرية؛ إذ عرقل الناس مسـاعيها الكريمة، حيث إن اللّه سـبحانه لا يلجئ عباده في أفعالهم وتركهم، بـل يريد منهم الطاعة الاختيارية، لكي يرتقوا باختيارهم إلى معارج الكمال وسـعادة الحال والمسـتقبل، بعد أن أرشـدهم إلى سبيل الرشـاد، وأقام لهم علم الهدى بتبليغ الرسول المتكرر المؤكد كما يقتضيه لطفه ورحمته[١].

ولذلك فالشـيعة يقولـون، كسـائر المتمدنيـن: «إنّ الزعامة السياسـية الزمنية المدنيـة، القائمة بالأمن العـام وانتظام المدنية، والمكافحـة لموبقات الفوضوية، من شـأنها وواجبها أن تُعرض أمام الجمهور ورعاية الرعية لإبداء رأيهـم الحر فيها، من دون تدخل كيت وكيت في أمرها، كما تشـير إليه احتياطـات الحكومة المتمدنة في الانتخابات للاختيار والتأسيس»[٢].

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

المبحث الثالث:

دور الإمامة في حفظ معالم الدين في فكر البلاغي

أولًا: مقام الإمامة في الإسلام

إنّ الإمامة هي القيادة الفكرية والزعامة السياسية وإنّ هذه الزعامة والقيادة في صورتها الصحيحة والواقعية هي تحقيق للأهداف وتنفيذ للرسالة الإسلامية، تلك الرسالة التي أسسها رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فحقق بها أمةً ذات رسالة ودستور للحياة. وإذا امتزج الاستعداد الإنساني الذاتي بالرسالة الدينية، فتمحورت المرجعية الفكرية والزعامة السياسية في شخص واحد في قيادة المجتمع الإسلامي، واستفاد من تمكين اللّه له في الأرض في سبيل تبليغ قوانين الشريعة والأطروحة السماوية على جميع الأصعدة، وقام بإجرائها وتنفيذها، واستطاع أن يصون الشخصية الإسلامية والكرامة الإنسانية من السقوط والانحطاط، فهذا الإنسان الفذ هو الإمام الواقعي حقًا؛ بيده أزمة أمور الدين والدنيا جميعًا. فالإمام هو شخصية قيادية توحيدية إلهية، لهو نموذج كامل للإنسانية وعطاء شامل، وهو الذي بإمكانه أن يقود حركة الناس نحو الكمال الإنساني، ولهذا يجب على العباد المؤمنين إطاعة أوامره، والاقتداء به في كل الأمور[1].

---

(١) مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد**، الجزء ٤، الصفحتان ١١ و١٢.

والإمامة ولاية إلهيــة ينصّب لها اللّه من يشــاء من عباده، كما يهب النبــوة لأولئك العظمــاء من بني الإنســان بفــارق: أن النبي هو باني هــذه الرســالة الدينية، وإنما يــؤدي الإمام دور الحراســة لهذا الدين الإلهي، وعلى الناس أن يســتلهموا منــه القيم المعنوية والروحية لجميع جوانب حياتهم المعنوية والمادية. والإمامة شخصية لائقة عالمة بالعلم الإلهــي، معصومة عن المعاصــي والآثام، يقوم صاحبها بعد رسول اللّه برعاية استمرار سيرة مؤسس هذه الشريعة؛ ويراقب حوادث الحياة واعيًا للمخاطر الناشــئة من عناصر الانحراف الاجتماعي، ويكــون هذا الإمام رجلًا عــادلًا لائقًا متقيًــا منزهًا عن الرذائل الأخلاقية، كي تكون سيرته وسلوكه أسوةً للناس[1].

وأشــرف مقامــات النيابة والخلافــة على الإطــلاق هي مقام الإمامــة، وكذلك هي أرفع مراتب الخلافــة الإلهية، فلا مرتبة فوقها البتــة، ولازمه أن يكون الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ جامعًــا للكمالات وحائزًا على أشــرف مراتبها وأن يكون صاحب ملاكات ومراتب معرفية يؤدي من خلالها وظيفتــه ودوره مرجعًا للأمة في كل ما تحتاج إليه[2]، وهناك جوانب وأبعاد معرفية في الإمام المعصوم هي:

١. البعد التشريعي في الإمام

«اشتمل القرآن الكريم على جوانب عديدة يمكن حصرها إجمالًا بما يلي:

أ. الجانب العقائدي.

---

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ١٥ و١٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٩٧.

ب. الجانب الأخلاقي.

ج. الجانب العملي الفقهي (الأحكام الشرعية من حلال وحرام...).

د. الجانب العلمي (بيان جملة من الحقائق الكونية في بعدَيها الآفاقي والأنفسي، الظاهري والباطني).

هـ. الجانب اللغوي والاعجازي»[1].

ومن خلال هذه الجوانب البالغة الأهمية يؤدي الإمام دورَين مهمَّين هما:

١. دور البيانية: هو الدور الأساسي في بعده التشريعي وكما صرح القرآن الكريم به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] إنّ القرآن الكريم يوضح لنا أنه قد اشتمل على جميع الجوانب المتقدمة ولم يقتصر على الجانب الفقهي، وبذلك يمثل الإمام مرجعية العالم الأولى في كل ما يمت بصلة إلى القرآن الكريم وموضوعاته المختلفة[3].

٢. دور الحافظية: وهو أيضًا أساسي في وظيفته التشريعية وهو يتمثل بحفظه للقرآن الكريم ومنهجه المبين من خلاله، في جميع الجوانب المتقدمة، وهو الذي يصون الشريعة من الانحراف الذي قد يقع من قبل المغرضين، وهذا الدور الريادي العظيم قد أشار

---

(١) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ٩٨؛ كمال الحيدري، **بحث حول الإمامة**، الصفحة ٢٩٧.

(٢) سورة **النحل**، الآية ٤٤.

(٣) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ٩٨.

إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١] إنّ حفظ القرآن يحتاج إلى أسباب حقيقية مباشرة، وجهة واضحة المعالم، وكذلك مأمونة الجانب، قادرة على ذلك وليس هنالك من هو أعظم من الإمام نفسه، وأن الدور الحفظي الذي يؤديه لا يقتصر على حفظ متن القرآن ونصوصه وإنما يعم حفظه جميع الموارد والمواضيع، ولما كان متن القرآن واضحًا ونصوصه واضحةً لجميع المسلمين فإنهم اختلفوا فيما بينهم في تفسيره، وتأويله، وصارت الأمة فرقًا ومذاهب وقد بلغت بحسب الضبط الروائي – لا التاريخي – ثلاثًا وسبعين فرقةً كلها في النار إلا واحدة[٢].

كما قال الرسول الأكرم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقةً، واحدة منها ناجية والباقون هالكون»[٣]، وإنّ هذه الفرقة الناجية نجت لأنها حفظت المنهج القرآني والشريعة المقدسة عن الانحراف، ولولا هذه الفرقة المتمثلة بأئمتها أولًا وأصالةً، وبعلمائها ثانيًا ووراثةً، لما بقي من الإسلام باقية، ولصار الانحراف هو سمته الأولى، كما هو حال الشرائع الأخرى[٤].

---

(١) سورة **الحجر**، الآية ٩.

(٢) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحتان ٩٨ و٩٩.

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، الحديث ١٧١٨؛ أبو داود السجستاني، **سنن أبي داود**، الحديث ٤٦٠٦؛ أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند أحمد**، الجزء ٦، الصفحة ٢٧٠؛ محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الحديث ٢٦٤١؛ جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، الجزء ٢، الصفحة ٢٩٨.

(٤) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ٩٩.

٢. التشريع بين البيانية والتأسيس

من وظائف الإمام التشـريعية بيان الأحكام الشـرعية، وهذه الأحكام الشرعية تمر بمرحلتَين، هما[١]:

١. مرحلة الجعل والاعتبار.

٢. مرحلة الإبراز لذلك الجعل.

«فالمرحلة الأولى – الثبوتية – هي عبارة عن ملاك (مصلحة أو مفسـدة)، وإرادة (حب أو بغض)، وجعل واعتبار، والمرحلة الثانية – الإثباتيـة – هي عبارة عن إبـراز وإظهار لذلك الجعل الشـرعي، وبناءً على حصـر دور الإمام بالبيانية والكشـف، تُنفـى عنه الولاية الشـرعية. أما بناءً على ثبوت صورة الجعل له، فسـتثبت له الولاية التشريعية»[٢].

إنّ الولاية التشـريعية مجالها التأسـيس لا البيان، وأما التبليغ فمجاله البيان حصرًا. ونجد أنّ الأحكام الشرعية تقف وراءها ملاكات خاصة بها، وهذه الملاكات هي عنصر أساسـي مـن عناصر مرحلة الثبوت، فالله سـبحانه وتعالى قد بيّـن أولًا – قبل جعل الحكم – الملاك المقتضي للحكم، في أداء الصلاة وجود مصلحة، وفي شرب الخمر وجود مفسـدة، وهكذا، وتلك المصلحة تولد الحب، وتلك المفسـدة تولد البغض، فالمصلحة والمفسـدة هما طرفا ملاكات الأحكام، والحـب والبغض هما طرفـا الإرادة، فلوجود مصلحة في الصلاة، أرادهـا اللّه – أي أحبهـا – ثم ترجم هـذا الحب والإرادة

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ١٠٢.

(٢) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ١٠٣.

بإيجـاب الصلاة على المكلفين؛ حرصًا منـه تعالى على عدم فوات هذه المصلحة العظيمـة عليهم، وبعد ذلك احتاج ذلك الجعل إلى إبـراز وإعلان وإظهار، وقد بيـن ذلك القرآن الكريم جـزءًا مهمًا، ثم جاءت السـنة متممةً، حيث أظهرت وكشفت ما لم يظهره ويكشف عنه القرآن الكريم[١].

٣. البعد التكويني في الإمام

ويقصد بها الولاية التكوينية في عالم التكوين وهي بمعنى التصرف، ومن تثبت له الولاية التكوينية يكون قادرًا على التصرف في مفردات عالم الوجود لا على نحو الاسـتقلال وإنما بإذن من اللّه تعالى، وأما التصرف التكويني الذاتي الاستقلالي فمنحصر باللّه تعالى، وقد ذكر القرآن الكريم والسنة الشريفة موارد عديدةً للولاية التكوينية، منها[٢] قولـه تعالـى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٤].

فإن هـذه المخلوقات جميعًـا تأتمر بأمره، كمـا أن تحاوره مع الهدهـد دليل آخر علـى ولايتـه التكوينية. وفي قصـة «آصف بن برخيا»[٥] الذي وعد سـليمان بأن يأتيه بعـرش بلقيس قبل أن يرتد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ١١٠؛ كمال الحيدري، **بحث حول الإمامة**، الصفحة ٥٧.

(٣) سورة **الأنبياء**، الصفحة ٨١.

(٤) سورة **النمل**، الآية ١٧.

(٥) المفيد، **الاختصاص**، الصفحة ٩٣.

إليه طرفه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[١].

٤. البعد المعرفي في الإمام

يُعدّ القرآن الكريم مصدرًا معرفيًا أساسيًا كما أنه يتضمن حقائق كونيةً كبيرةً وعظيمةً، فهو الداعي إلى التغيير، حيث عبر عنه في جملة من الروايات بأنه قرآن صامت في قبال القرآن الناطق المتمثل بأهل البيت، فعن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذلك الكتاب الصامت - أي القرآن - وأنا القرآن الناطق»[٢]، والناطقية في المقام هو الفاعلية، فهم القرآن الفاعل الذي يملك القدرة على التأثير بنفسه ولكن بإذن اللّه سبحانه وتعالى[٣].

وأيادي الإمام المعرفية تجدها واضحةً في مجمل المعارف الإسلامية سواء كانت حصوليةً أو حضوريةً؛ كان «الحسن بن علي الوشا» - من خيرة أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ - يقول: إني أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمئة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد[٤]، وما أعيتهم مسألة قط، احتاج الكل إليهم ولم يحتاجوا إلى أحد البتة[٥].

---

(١) سورة **النمل**، الآية ٤٠.
(٢) محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٣٩، الصفحة ٤٨، الحديث ٢٧٢.
(٣) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ١٢٦.
(٤) أبو العباس النجاشي، **رجال النجاشي**، الصفحة ٤٠.
(٥) كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، الصفحة ١٢٨.

ثانيًا: الولاية والإمامة في فكر البلاغي

تُعدّ الولاية من الأصول الثابتة في الإسلام لكنها خضعت لاجتهادات المذاهب فراحت تظهر من خلال ما أفرزته هذه المذاهب وأخذت تتوسع وتضيق من خلال الأفق الذي ينظر من خلاله إلى هذا الأصل الذي يمس حياتنا وأحكامنا على نحو مؤثـر، فالإمامية امتازت بهذا الأصل عن سائر فرق المسـلمين وهو فرق جوهري أصلي وما عداه من الفـروق فرعية عرضيـة كالفروق التـي تقع بين أئمـة الاجتهاد، والإمامة منصب إلهي يختاره اللّه بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليهم ويأمرهم باتباعه[1].

ولـم يترك البلاغي فرصـةً في بيان هذا الأصـل الاعتقادي ما دامت النصوص القرآنية التي يتناولها تتعاطى وهذا الأصل، فاستفاد من روايات الفريقَين ومقابلة النصوص القرآنية مع بعضها في ضمن سياقها لبيان أفضلية أهل البيت وما نزل بحقهم لتسهم هذه المكانة والموقعية للأئمة في إبراز أهليتهـم للإمامة والولاية كما في حديث الثقلَين: قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا فإنهما لن يفترقا حتـى يردا عليّ الحوض»[2]، رواه ثلاثة وثلاثون صحابيًا سـمعوه من رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنّ لفظ العترة والأحاديث الكثيرة الصحيحة

---

(١) كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، الصفحة ٦٥.

(٢) أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند أحمد**، الجزء ٣، الصفحات ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩؛ الجزء ٤، الصفحات من ٣٦٧ إلى ٣٧١؛ أبو محمد الدارمي، **سنن الدارمي**، الجزء ٢، الصفحة ٤٣٢؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، الجزء ٤، الصفحتان ٣٦ و٣٧، الحديث ١٨٧٣؛ محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٥، الصفحة ٦٢، الحديث ٣٧٨٦.



الواردة في تعيين أهل البيت يعنيان المراد من أهل البيت فضلًا عن دلالة العرف والمحاورات، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فإنهما لن يفترقا حتى يردا علَي الحوض يعنيان الأئمة الاثني عشر المعصومين من عترة الرسول وذريته، ومن دلائل ذلك الإجماع على أنّ من عدا هؤلاء ليس معصومًا ولا يتصف بأنه مثل كتاب اللّه لا يضل من تمسك به[1]. ثم قال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنّ اللّه عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن» ثم أخذ بيد علِي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[2].

ويستغرب «البلاغي»: لماذا لم يروه «البخاري» في جامعه على الرغم من هذه السعة في روايته في مختلف كتب الحديث؟ لكن الحاكم في مستدركه ذكر أن هذا حديث صحيح على شرط الشيخَين «البخاري ومسلم» ولم يخرجاه بطوله، ثم علق «البلاغي» على ذلك بقوله: لم أجد من تعقيب على الحاكم على استدراكه فيكون ذلك موافقةً ممن عاصر الحاكم ومن بعده على **الاستدراك** وصحة الحديثَين على شرط «البخاري» و«مسلم»، وأن الحديث بتواتره في غنًى عن التعرض له في جامع البخاري[3].

ولقد استفاد «البلاغي» من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] مستندًا إلى عدد من

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحات من ٩٨ إلى ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ١٠٢.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ١٠٢ و١٠٣.

(٤) سورة **آل عمران**، الآية ٣٣.

الروايات عن أئمة أهـل البيت، بأن آل محمد كانـوا مقصودين في التنزيل من آل إبراهيم بنص الوحي على الرسول في ذلك[١]، ويذكر أنّ أهم مصاديق الخيرات فـي قوله تعالـى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٢] هي الولاية وتسند ذلك روايات في **الكافي** عن الأئمة، فمعنى الآية الكريمة: لكل أمة شريعة أمرت باتباعها وقد نسخ بعض الشرائع فسارعوا إلى الحق واطلبوا خيرات الأحكام وهي التي لم تنسخ وجاء بها الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم[٣].

كما فسر (السـلم) بالولاية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤]. فذكر أنّ هذه الآية والتي بعدها تناديان بأنّ المخاطبين فيهما هو نوع المؤمنين باللّه ورسـوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقـد كانوا حين الخطاب بالآية ومدة حياة الرسـول مستوسـقين بأجمعهم للسلم فيما بينهم إذن فمـا الذي أُمروا بـأن يدخلوا فيه؟ ما هـو إلا عنوان يضمن لهم دوام السـلم بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ويحكم انتظامه. ولم نجد لهذا العنوان بيانًا وتفسيرًا معقولًا إلا ما ورد عن أهل البيت، أنها الولاية.

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٥١٣؛ أبو النضر بن عياش، **تفسير العياشي**، الجزء ١، الصفحة ١٦٨؛ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، الجزء ١، الصفحة ٢٣٠؛ محمد بن إبراهيم، **غيبة النعماني**، الصفحة ٢٨١.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٤٨.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٦٣؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ٨، الصفحة ٣١٣، والجزء ٣، الصفحة ٤٨٧.

(٤) سورة **البقرة**، الآيتان ٢٠٨ و٢٠٩.

ثم يضيف فيقول: «ولعمر الحق أنّ ولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ والأئمة من آل الرسول لهي أشرف أنواع السلم وأعظمها بركةً، بها يستوسق السلم العام بين المسلمين بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبها يستحكم نظامه ويقر قراره ولو تمسك كافة المسلمين بها لما حدثت الحروب الطاحنة كحروب البصرة، وصفين، والنهروان، وكربلاء، والحرة وغيرها ولما ذهب خيار المسلمين أضاحي لقساوة زياد وابنه الحجاج وأشباههم»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[٢] فإن «البلاغي» يفسر (البيّنات) في هذه الآية بأنّ منها آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، وكذلك آية المودة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤] وغيرها من الآيات المأثور تفسيرها في فضل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وزعامته وولائه[٥]، كما فسر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٦]. فضلاً عن أنهم أهل بيت النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معتمدًا على الروايات المفسرة عن أهل البيت، إضافةً

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٣٥١؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحة ٣٤٥؛ المازنداني، **المناقب**، الجزء ٣، الصفحة ٩٦؛ أبو النضر بن عياش، **تفسير العياشي**، الجزء ١، الصفحات ١٠٢ و١٩٤ و٣٠٠؛ الطوسي، **الأمالي**، الجزء ١، الصفحة ٣٠٦.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٠٩.

(٣) سورة **الأحزاب**، الآية ٣٣.

(٤) سورة **الشورى**، الآية ٢٣.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٣٥١ و٣٥٢.

(٦) سورة **آل عمران**، الآية ١١٠.

إلى استدلاله على (كان) التامة وليست الناقصة[١].

كما استفاد من تفسير ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾[٢]. إنّ الأئمة كرسول اللّه وارث من لا وارث له من أرحامه، ونصت بعض الروايات عنهم بأنّ هذه الحصة لبيت المال فهو تنازل منهم عن حقهم لمصلحة الوقت[٣].

وفي رواية عن «ابن محبوب»، عن الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه سأله عن الآية، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إنما عني بذلك الأئمة، بهم عقد اللّه عز وجل إيمانكم»[٤] ولا يخفى أنّ اليمين تعقد عقدة مؤادها، وعليه الآية، ويعقدها الحالف، وعليه قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿بِمَا

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحات من ٥٩٥ إلى ٥٩٨؛ جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، الجزء ٢، الصفحة ٢٩٤؛ أبو النضر بن عياش، **تفسير العياشي**، الجزء ١، الصفحات ١٩٥ و١٢٨ و١٣٠؛ علي بن إبراهيم، **تفسير القمي**، الجزء ١، الصفحة ١١٠.

(٢) سورة **النساء**، الآية ٣٣.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحتان ٨٥٨ و٨٥٩؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحة ١٦٨؛ أبو النضر بن عياش، **تفسير العياشي**، الجزء ١، الصفحة ٢٤٠، الحديث ١٢٠؛ أبو داود السجستاني، **سنن أبي داود**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٣، الحديث ٢٩٠٢؛ العاملي، **وسائل الشيعة**، الجزء ١٧، الصفحة ٥٥١؛ الطوسي، **تهذيب الأحكام**، الجزء ٩، الصفحة ٢٨٧؛ الطوسي، **الخلاف**، الجزء ٢، الصفحة ٣٠؛ العاملي، **مفتاح الكرامة**، الجزء ٨، الصفحة ٢٠٥؛ محمد حسن، **جواهر الكلام**، الجزء ٣٩، الصفحة ٢٦٠.

(٤) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٨٥٧؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحة ٢١٦.

عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[١] ويعقدها المستحلف آخذ الميثاق والآمر بالحلف وإعطاء العهد، وعليه جاءت الرواية نظرًا إلى أنّ يمين الولاء وميثاقه قد أخذها اللّه على العباد وأمر بإعطاء عهدها، والرواية ناظرة إلى المصداق العالم لجميع المسلمين وغير نافية للمصداق الاتفاقي، وهو الإرث بولاء النصرة وضمان الجريرة، ومنه ولاء السائبة من المعتقين[٢].

وأنّ «معنى الرواية جار على مبدأ الأئمة من العترة أهل البيت في أنهم كرسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أولى بالمؤمنين من أنفسهم على نهج حديث الغدير المتواتر، وأنهم داخلون في الميثاق المذكور في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣].

وقد فسر «البلاغي» الأسماء التي علمها سبحانه لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنها أسماء هؤلاء الهداة وقد روى «الصدوق» عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تبارك وتعالى علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم على الملائكة وهم أرواح طاهرة وأنوار قدسية تضيء بالهدى، والطهارة، والعصمة الاختيارية[٤]، وضعف أن تكون أسماء الأدوية والنباتات والشجر والجبال ونحو ذلك، لعدم المناسبة لسؤال الملائكة ولا للاحتجاج عليهم بالعلم بمواقع الحكمة في خلق الخليقة بل ليس فيه جواب لسؤالٍ أصلًا مع أن ذلك لا يناسب قوله تعالى: ﴿عَرَضَهُمْ﴾

---

(١) سورة **المائدة**، الآية ٨٩.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٨٥٧.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ٨١.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٨٥٧.

و﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ و﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فـإن الإشـارة وهذه الضمائر مختصة بمن يعقل[١].

وفـي تفسـير قولـه تعالـى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٢]. يذكر «البلاغي»: من ظهورها هي كناية عن تشريعاتهم الجاهلية الأهوائيـة وزعمهم أنّ العمل بها بِـرّ، ولكن انظر إلى هؤلاء الذيـن اتقوا اللّه وأخلصوا له في طاعته واتباع شـريعته واعرفوا البر من أعمالهم، فإنّ اتيان البيوت من أبوابها والأمور من وجوهها وأعمال البر من حيث أمر اللّه وشرع، وعن الباقر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال: أن يؤتى الأمر من وجهه في أي الأمور كان. ومن هـذا الباب ما اتفقت عليه رواية الفريقَين من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ: «أنا مدينة العلم وعليٌ بابها»[٣]. وفي معرض تعداد وصف أهل البر في سـورة البقرة التي تختم آيتها بقولـه تعالـى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[٤]، يعلّق «البلاغـي»: «ومن المعلوم أنه لم يجمع هـذه الصفات من صحابة

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحتان ١٧٥ و١٧٦؛ الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، الجزء ١٤؛ الصدوق، **علل الشرائع**، الصفحة ١٠٥؛ علي بن إبراهيم، **تفسير القمي**، الجزء ١، الصفحة ٣٦.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٨٩.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٣١٠؛ أبو جعفر أحمد البرقي، **المحاسن**، الصفحة ١٢٤؛ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، الجزء ٢، الصفحة ٦٦، الحديث ٢٩٨؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، الجزء ٢، الصفحة ٣٧٧؛ ابن المغازلي، **المناقب**، الجزء ٨١، الصفحة ١٢٢؛ نور اللّه الحسيني التستري، **إحقاق الحق**، الجزء ٥، الصفحات من ٤٦٥ إلى ٥٠١.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ١٧٧.

رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلا أمير المؤمنين علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ باستقراء الأحوال كيوم أُحد، والأحزاب، وخيبر، وحُنين فهو معنيّ بهذه الآية يقينًا وأما غيره فلا أقل من الشك في جامعيته لهذه الصفات»[١].

كما فصل الحديث في آية المباهلة[٢] ودعمها بالروايات من طرق الفريقَين لاسيما عن «مسلم» و«الترمذي» و«الحاكم» و«البيهقي» وأسباب النزول للواحدي وغيرهم ثم ناقش «ابن تيمية» و«محمد عبده» مدافعًا عما خلص إليه من نتيجة بشأن فضل علي وفاطمة والحسن والحسين لكونهم المخاطبين والمقصودين في آية المباهلة[٣].

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٨٤؛ الطبرسي، **مجمع البيان**، الجزء ١، الصفحة ٤٧٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ سورة **آل عمران**، الآية ٦١.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحات من ٥٣٤ إلى ٥٣٨؛ الزمخشري، **تفسير الكشاف**، الجزء ١، الصفحة ٣٦٨؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، الجزء ٤، الصفحة ٣٢، الحديث ١٨٧١؛ محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، الجزء ٥، الصفحة ٢٢٥، الحديث ٢٩٩٩؛ الحاكم النيسابوري، **المستدرك**، الجزء ٣، الصفحة ١٥٠؛ أبو بكر البيهقي، **سنن البيهقي**، الجزء ٧، الصفحة ٦٣؛ فخر الدين الرازي، **تفسير الرازي**، الجزء ٨، الصفحة ٨٠؛ أبو السعود العمادي، **تفسير أبي السعود**، الجزء ٢، الصفحة ٤٦؛ ابن الصباغ، **الفصول المهمة**، الصفحة ٢٥؛ البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، الجزء ٢، الصفحة ٢٦٦؛ الواحدي، **أسباب النزول**، الصفحة ٦٨؛ البغوي، **معالم التنزيل**، الجزء ١، الصفحة ٤٨٠؛ ابن حجر، **الصواعق المحرقة**، الصفحة ١٥٦؛ الجويني، **فرائد السمطين**، الجزء ١، الصفحة ٣٧٧؛ الحلي، **عمدة** =

وفسر «البلاغي» قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]. وفي الآية يكون المعنى ابتلى إبراهيم بكلمات إمامته وإمامة الأئمة، وتحمل أعبائها، وأداء شكرها، وقوله ﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ أي مرجعًا ومقصدًا، وزعيمًا في أمور الدين والدنيا، وقد استفاض الحديث عن الأئمة، أنّ إمامة إبراهيم كانت بعد نبوته[٢].

ويدل على ذلك: «أنّ نبوة إبراهيم كانت، قبل أن يولد له ولد، وقبل شيخوخته، ومقتضى الآية أن قول اللّه له بجعله إمامًا كان بعد أن صار له أولاد يرجو أن يكون له منهم ذرية، وأما قبل ذلك فلم يكن له رجاء، فإن القرآن في سورة الحجر يُخبر أنه لما بُشر بإسحاق»[٣]، قال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[٤].

وعبّر «البلاغي» عن الإمامة بأنها لطف من اللّه، ومن أكبر المصالح لأمور الناس العامة والخاصة، وفي قوله «ومن ذريتي» هو لمزيد من الاستبشار والابتهاج، ونحو من الشكر إذا علم من الكلمات والأسماء أنّ الأئمة من ذريته[٥].

= **عيون أخبار الرضا**،الصفحات ١٨٩ و٢٩٠؛ المفيد، **الاختصاص**، الصفحة ٢٦؛ ابن تيمية، **منهاج السنة**، الجزء ٤، الصفحة ٣٥.

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٢٣٩ و٢٤٠؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحتان ١٩٨ و١٩٩.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٤٠.

(٤) سورة **الحجر**، الآية ٥٤.

(٥) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٤٠.

ويشـير البلاغي أنّ اللّه سبحانه وتعالى قد أبان ما لهذه الإمامة من الفضل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهي بيانٌ لشرف الإمامة في فضيلتها وفضل الإمام، فإن الإمامة بجعلي وعهدي في الدلالة على الإمام بحسب أهليته لهذه الكرامة في كماله وقيامه بمصلحة الناس، على ما يقتضيه اللطف فـي صلاحهم وأهليته لانقيادهم إليه، وهذا العهد الكريم من نحـو الوصية والدلالة علـى التعيين، ونظير ذلك قولهم: ولي العهـد[١]. ويقول «البلاغـي» أنّ «الظالم يعم من ظلم نفسه بمخالفته للحق، وكيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفسـه أو لغيره لأن يعهـد اللّه إليه بإمامة النـاس وإصلاح أمورهم وإرشـادهم»[٢]، ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[٣]. وفـي رواية البرهان عن الكافي، والمفيد عن هشـام بن سالم ودُرِست، عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في تفسير الآية: «من عبد صَنَمًا أو وَثَنًا أو مثالًا لا يكون إمامًا»[٤].وعن عبد اللّه بن مسعود عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في الآية، عن قول اللّه لإبراهيم: «من سجد لصنم دوني لا أجعله إمامًا»، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فانتهت الدعوة إلي وإلى أخي عليّ لم يسـجد أحدنا لصنم قط»[٥]، وعن الكافي عن الصادق

---

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ٢٤٠ و٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٢٤١.

(٣) سورة **يونس**، الآية ٣٥.

(٤) مركو إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٤١؛ البحراني، **البرهان**، الجزء ١، الصفحة ٣٢٢؛ الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحتان ١٧٥ و١٧٦؛ المفيد، **الاختصاص**، الصفحتان ٢٢ و٢٣.

(٥) الطوسي، **الأمالي**، الصفحتان ٣٧٨ و٣٧٩؛ ابن المغازلي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الصفحة ٢٤٠.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يكون السفيه إمام التقيّ»[١].

ويعقب الشيخ «البلاغي» بقوله إنَّ «ذكر عبادة الصنم من باب النص على أحد المصاديق من موانع الإمامة، وهي ما تنافي العصمة التي يدل العقل على اعتبارها في هذه الإمامة، ومن شواهد ذلك ورشحاته أن الفطرة وحكم العقل بعثت جميع الحكومات المتمدنة على أن تجعل من قوانينها الأساسية أن من حكم عليه جريمة توجب العقوبة - ولو بسجن مدة قليلة - يكون ساقطًا باصطلاحهم عن الحقوق المدنية، أي لا تكون له وظيفة في الحكومة يتسلط فيها على غيره، ولا تنفعه في ذلك توبة، أليس اللّه بأحكم الحاكمين؟»[٢].

كما أشار «البلاغي» إلى رواية الفريقَين بشأن المخاطبين بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣] مفادها: «وما أنزلت آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعليٌ رأسها وأميرها» أي عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ رأس الذين آمنوا وأميرهم وشريفهم[٤].

وهكذا يمضي «البلاغي» في بيان فضل ومكانة أهل البيت،

---

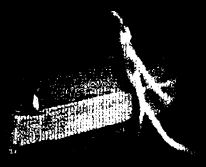
(١) الكليني، **الكافي**، الجزء ١، الصفحة ١٧٥؛ المفيد، **الاختصاص**، الصفحة ٢٢.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحة ٢٤١.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ١٠٤.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ١، الصفحتان ٢٢٢ و٢٢٣؛ جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، الجزء ١، الصفحة ٢٥٤؛ الأصفهاني، **حلية الأولياء**، الجزء ١، الصفحة ٦٤؛ الخوارزمي، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، الصفحتان ١٨٨ و١٩٨؛ سليمان القندوزي، **ينابيع المودة**، الصفحة ١٢٥؛ ابن حجر، **الصواعق المحرقة**، الصفحة ١٢٧؛ ابن أبي الفتوح الأربلي، **كشف الغمة**، الجزء ١، الصفحة ٣٠٢.

باعتبارهم الامتداد الطبيعي لخط الإمامـة القائدة في الأمة. وأنّ ما أورده في فضلهم يكشـف عن أهلية أهل البيت، لتبوء هذه المكانة المقدسة دون سـواهم. فقد نحى البلاغي باتجاه بيان هذا الفضل معتمدًا علـى معطيات النص القرآني ومسـتفيدًا ذلك من روايات الفريقَيـن وبهـذا الاعتماد الأخير يوفـر البلاغي مقبوليـةً لمضمون الإمامة فيهم لدى جمهور المسلمين.



الفصل الرابع

المعاد بنظر الشيخ البلاغي

وتضمّن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعاد في القرآن.

المبحث الثاني: المعاد عند فرق المسلمين.

المبحث الثالث: المعاد عند الشيخ «البلاغي».

المبحث الأول:

المعاد في القرآن

ماهية المعاد

المعاد: «هو بعث الأجسام البشرية وتعلق أنفسها بها للنفع والانتصاف والجزاء»[١]، وهو الأساس الخامس من أسس العقيدة الإسلامية، والمعاد يوم القيامة يعني الإيمان بعودتنا للحياة بعد الموت وذلك للمحاسبة على ما عملناه في حياتنا الدنيوية من أعمال صالحة أو سيئة تحددها المحكمة الإلهية الكبرى التي تمتاز بالدقة والضبط. وهو الذي يثاب فيه المطيعون ويعذب فيه العاصون[٢].

فإذن يتجلى معنى المعاد بأنه الاعتقاد بحياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيوية سيبعثنا اللّه سبحانه من جديد يوم القيامة، فالإنسان يموت في هذه الحياة بل وتنتهي هذه الحياة بما فيها لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل الوجود، وتمتد هذه المرحلة التي تلي مرحلة الدنيا حتى قيام الساعة حيث يبعث اللّه من في القبور.

ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للفكر الإسلامي فمنه تؤخذ الأسس العقائدية ومن المفروض أن تعرف رؤية القرآن

---

(١) علي الصدر، **العقائد الحقة**، الصفحة ٣٩١.

(٢) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحة ١٣٦.

المجيد لهذا المبدأ العقائدي وهو المعاد ولذلك نرى أنّ القرآن قد اهتم بالمعاد اهتمامًا كبيرًا حتى أنه ذكر المعاد وحياة الآخرة في أكثر من ألف آية مباركة لمختلف مظاهر المعاد في يوم القيامة[١]، ويسرد لنا الكتاب العزيز قصصًا وتساؤلات وبراهين من زمن الأنبياء وأممهم في شأن المعاد وكيفيته وبذلك نسلط الضوء على بعض الآيات القرآنية المباركة التي تتحدث عن المعاد من خلال عدة مواضع:

أولًا: أدلة وجود المعاد

١. أدلة عقلية

لقد اعتمد القرآن الكريم على محاورة العقل في إثبات إمكانية المعاد فيقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٢]، في هذه الآية يبين اللّه سبحانه الذين يجهلون عظمته وقدرته أو علمه، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم، فهم أنفسهم أدل الدلائل، وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث، فالله أحياهم أولًا وأماتهم ثانيًا، ولا تزال القدرة لإحيائهم مرةً، وجمعهم مرةً أخرى يوم القيامة[٣] «لأن من قدر على فعل الحياة في وقت قدر عليها في كل وقت، ومن قدر على الإيجاد قادر على الإعادة، ومن عجز عنها في وقت يعجز عليها في كل وقت»[٤].

---

(١) طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحة ٥٩.

(٢) سورة **الجاثية**، الآية ٢٦.

(٣) نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ١٠٥.

(٤) الجويباري، **تفسير البصائر**، الصفحة ٢١٨.

فإنّ «من قدر على إيجادكم أول مرة قادر على بعثكم وقت ما يشاء كما يحكم العقل بذلك وإذا كان التفكير بالاستحالة نابعًا من التصور الساذج الذي يعجب للحياة كيف تنطلق من التراب الذي لا يملك أي مظهر للحياة؟ فإنّ إمكانية خلق الإنسان من النطفة التي ترجع في بدايتها إلى التراب في عملية التحول... إلى أن تتحول إلى إنسان كامل»[١] وأنّ هذه الآية تخاطب العقل تمامًا وتحاول إقناعه بالأدلة والبراهين لأنّ اللّه سبحانه وتعالى لا يقدر على الإحياء أحد سواه تعالى لأنه قادر، وفي الآية تزييف لحجة الكافرين، وأنّ الآية برهان إجمالي لإثبات المبدأ والمعاد معًا وذلك أنّ الأفعال المختلفة المنتظمة دليل واضح وبرهان قاطع على فاعلية إلهية حكيمة عليمة بالحياة والموت، والألوهية الحكيمة العادلة ألزمت الجمع إلى يوم الجمع[٢].

وفي قوله تعالى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. إنّ في هذه الآية مخاطبةً ثانيةً للعقل وهو تنبيه على أنّ خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب كونية وبدائع أرضية أعظم من خلق الإنسان، وفيها تقرير أنّ من قدر على خلق السماوات والأرض على ما فيها من العجائب من باب أولى يكون قادرًا على خلق الإنسان وإعادته لأن من قدر على فعل الحياة في وقتٍ قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيًا عجز عنها في

---

(١) طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحتان ٦١ و٦٢.

(٢) الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الجزء ٩، الصفحة ٢٥٤؛ طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحة ٦١.

(٣) سورة **غافر**، الآية ٥٧.

كل وقت، وهي مسألة أهون من خلق السماوات والأرض لتكون الآية ردًا قويًّا على ريب الكافرين من الساعة لاستبعادهم إمكانية عودة الحياة للإنسان ثانيةً، واحتجاجًا عليهم في أمر البعث[1]، بأنه من «كان قادرًا على الأصعب في نظر المخالف وقياسه وهو خلق السماوات والأرض كان على الأسهل أقدر وهو خلق الإنسان»[2] فالناس يمثلون إحدى ظواهر هذا الكون الكبير المتمثل بالسماوات التي تضم ملايين الكواكب وفي كل كوكب ما يعجز الفكر عن إدراكه، فمن خلق السماوات والأرض وما فيهن وما عليهن وما تحتهن أيعجز عن إعادة الإنسان وبعثه من جديد بعدما خلقه من قبل أن يكون شيئًا؟ قطعًا لا، والتي تستطيع أن يهتدي إليها صاحب العقل السليم والقلب النقي[3]، «أنّ الفكرة واضحة فإذا كان الإنكار قادمًا من جهة استحالة بعث الحياة من التراب فالآية تثبت إمكانية ذلك من إمكانية بداية الحياة، فإنّ القدرة على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية تستلزم القدرة على ذلك في النهاية»[4].

٢. أدلة حسية

إنّ اللّه سبحانه وتعالى استخدم في الآيات القرآنية مشاهد حسية في خلق الإنسان وفي خلق النبات وذلك لتقريب الصورة إلى الإنسان ولتكون هذه المشاهد الحسية أكثر وضوحًا إليه لأنه أحيانًا

---

(١) الطبرسي، **مجمع البيان**، الجزء ٩، الصفحة ١٣٢؛ طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحتان ٦١ و٦٢.

(٢) الجويباري، **تفسير البصائر**، الجزء ٣٥، الصفحة ٨٠١.

(٣) محمد حسين فضل اللّه، **من وحي القرآن**، الجزء ٢٠، الصفحة ٦٠.

(٤) طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحة ٦٤.

يكـون قريبًا إلى الإيمان بالماديات وكما في قولـه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

في هذه الآية ذكر سبحانه وتعالى مراحل خلق الإنسان بوصفها دليـلًا قاطعًا على قدرته وعلى حقيقة لا يسـتطيع أحد إنكارها فقد خلقه سـبحانه أولًا من التراب ثم حول التـراب إلى نطفة ثم تعلقت برحم المرأة لتكون علقةً فمضغةً ثم عظامًا ليكسـو بعد ذلك الهيكل العظمي باللحم، ثم يولد الطفل وينتقل في مراحل نموه إلى أن يصل إلى الكهولة والشـيخوخة أو يتوفى قبل ذلك؛ فالقـادر على خلقه وإمداده بسبل نموه في كل المراحل، قادر على بعثه من التراب من جديد كما خلقه من التراب قبل أن يكون شيئًا مذكورًا[2].

و«إنّ المحاولـة الواقعية التي تريد أن تجعـل من قصة المعاد نظامًـا للحياة يتمثل فـي المراحل التي يقطعها الإنسـان منذ بداية وجوده إذ ينتقل في كل مرحلة من العدم إلى الوجود»[3].

إذن هذه الآية بينـت لنا حقيقةً وهي بـأن الرحلة للعالم الآخر تبدأ منذ انعقاد نطفة الإنسـان في رحم أمه حيث أنه يحسب أيامًا وسـنين بعد ولادته للدنيا فيرحل ليخلفه الجيل الصاعد، وأنّها تبدأ بيوم الهجرة من الدنيـا إلى مراحل أخرى من حياتـه.. وأنّها بالفعل لمرحلة مستقبلية محتومة تمر على كل إنسان.

---

(١) سورة **غافر**، الآية ٦٧.

(٢) طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع**، الصفحة ٦٣.

(٣) محمد حسين فضل الله، **الحوار في القرآن**، الآية ٩١.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[١]. في هذا النص سـأل سبحانه وتعالى عبادهُ عن الذي خلق السماوات والأرض فهم لا يملكون جوابًا إلا أن يقولوا خلقهـن رب العزة العالم بكل شـيء الذي جعل لكـم الأرض مهدًا يرتاح الإنسـان فيها وهو الذي أنزل من السماء ماءً بقدر ويعني غيثًا ومطـرًا (بقدر) أي على قدر الحاجة لا زيـادةً عليها، ولا ناقصًا عنها فيضر ولا ينفع، بل هو مطابق للحاجة وبحسـبها وذلك يدل على أنه واقع من مختـار يجعله على تلك الصفة قد قـدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بجميع ذلك[٢].

وقيل أنه «لما اسـتدل بتنزيل الماء بقـدر وإحياء البلدة الميتة علـى خلقه وتدبيره اسـتنتج منه أمرًا آخر لا يتـم التوحيد إلا به وهو المعـاد الذي هو رجوع الكل إليه أي كما أحيـا البلدة الميتة كذلك تبعثون من قبوركم أحياءً»[٣]. وأنّ الذي أنشـأ الحياة أول مرة كذلك يعيدها والذي أخرج الأحياء أول مرة قادر على إخراجهم يوم القيامة فالإعادة من البدء وليس فيها عزيز على اللّه[٤].

٣. عدل الله وحكمته

إنّ من أدلة إثبات المعاد هو دليل العدل وذلك من صفات الباري عز

---

(١) سورة **الزخرف**، الآيات من ٩ إلى ١١.
(٢) الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الجزء ٩، الصفحة ١٧٩.
(٣) الجويباري، **تفسير البصائر**، الجزء ٣٧، الصفحة ١٣٣.
(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، الصفحة ٢٤.

وجل أنه تعالى عادل، ومن موارد العدل الإلهي مجازاة العباد: بالثواب للصالحين وبالعقاب للعاصين، الذين هتكوا الأعراض وأراقوا الدماء وغصبوا الأموال وماتوا وهم على هذا الحال. أما أهل الخير والصلاح فقد تركوا ملذات الدنيا وزخارفها وأقبلوا على أعمال الخير وتحملوا مشقة التكليف بفعل الواجبات وترك المحرمات، ووقع عليهم الظلم والطغيان والاضطهاد وغصب الحقوق، وحرموا من زينة الحياة الدنيا وماتوا وهم على هذا الحال، ومضت الأجيال جيلًا بعد جيل ولم ينصب ميزان العدل، ولم يؤخذ من الظالم حق المظلوم[١].

ولذلك «نجد في الغالب أنّ أهل الفساد أفضل حالًا في الدنيا من أهل الخير والصلاح، فلا بد إذن من يوم آخر في عالم آخر ينصب فيه ميزان القسط والعدل وترجع الحقوق المغصوبة لأهلها وتجزى كل نفس بما كسبت»[٢]. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[٣].

وأما دليل الحكمة فهي التي تقتضي المعاد ومن العبث والسفه القول بعدم وقوع المعاد لأنّ الخالق تعالى حكيم غاية الحكمة، وأنّ ما من شيء في السماوات والأرض إلّا وتتعلق به العديد من الحكم والمصالح ولولا ذلك لكان الخالق عابثًا ولاهيًا تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا[٤] وهو القائل ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحتان ١٣٨ و١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ١٣٩.

(٣) سورة **غافر (المؤمن)**، الآية ١٧.

(٤) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحة ١٣٧.

(٥) سورة **الدخان**، الآيتان ٣٨ و٣٩.

فـي هاتَين الآيتَين دليل على صحة البعـث ووقوعه: لأنه لو لم يكن خلف هذا العالم الفاني عالم باق وأنّ اللّه سبحانه يوجد الأشياء ثـم يعدمها هكذا بالأجـزاء لأصبح نوعًا من اللعـب واللّهو الذي لا يجوز عليه سـبحانه ولكنه تعالى جعل الحق الميزان في كل شـيء ولما كان الكـون مرتكز على قاعدة الحق فـي كل مفرداته فلا يمكن أن يكون وجود الإنسـان عبثًـا؟ إذ يخلق ويعدم بـلا غاية ومن دون تحمل الإنسان مسؤوليته أمام اللّه، كما يقول هؤلاء المنكرون للمعاد وبذلـك نعرف أنّ الإيمـان باللّه في مضمون حكمتـه لا يلتقي بهذا الإنكار من قريب أو بعيد[١].

ولذلك فالحكمة تقتضي أنه لا بد لخلق الإنسان من هدف كبير نبيل وغرض حكيم لا الفناء والعدم، وموت الناس في هذا العالم مع عدم تحقق الغرض دليـل على تحققه في عالم آخر ويوم آخر تتجلى فيه حكمة الحكيم تعالى شأنه في أبهى صورها[٢].

ثانيًا: الآيات الدالة على المعاد

١. أشراط الساعة

«الشـرط: العلامة، والجمع أشراط، وأشراط السـاعة: أعلامها»[٣]، و«المراد من أشـراط السـاعة العلامات والآيات التي تخبر عن دنو القيامة، وقربها، وهي مأخوذة من الذكر الحكيم»[٤]، وقال سـبحانه:

---

(١) محمد حسين فضل اللّه، **من وحي القرآن**، الجزء ٢٠، الصفحة ٢٩٢.

(٢) طارق محمد علي، **عقائدنا**، الحلقة الثانية، الصفحة ١٣٨.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء ٧، الصفحة ٣٢٩، مادة شرط.

(٤) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٤، الصفحة ٢٤١.

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[١] ولقد جاء في الذكر الحكيم أمور يستظهر منها أنها من أشراط الساعة، كالآتي:

أ. بعثة النبي الأكرم:

يقول سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾[٢]. في هذه الآية يبيّن لنا سبحانه وتعالى أنّ المشركين الذين لا يؤمنون سوف تأتيهم الساعة بغتةً حتى يؤمنوا ولكن لا يفيدهم عندها إيمانهم، وأنّ بعثة النبي من معالم الساعة، لا ينافي وجود هذه المدة الطويلة بينه وبين القيامة، وذلك لأنّ ما مضى من عمر الأرض والمجتمع الإنساني أزيد بكثير مما بقي منه، فيصبح جعل ظهوره من معالم الساعة. ويحتمل أن يكون المراد من أشراط الساعة التي جاءتهم انشقاق القمر بيده، ونزول القرآن الذي هو آخر الكتب[٣].

ب. اندكاك السد وخروج يأجوج ومأجوج:

لقد جاء في الذكر الحكيم أنّ «ذا القرنَين» وصل في مسيره إلى قوم طلبوا منه أن يبني لهم سدًا يحجز عنهم يأجوج ومأجوج ويقيهم شرهما، فقام «ذو القرنَين» بعملية كبيرة، حيث سد ما بين الجبلَين – الذي كان طريق نفوذها بزبر الحديد ثم أنجز عملية بناء السد بما يحكيه[٤] تعالى من قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ

---

(١) سورة **محمد**، الآية ١٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٢.
(٤) المصدر نفسه، الصفحتان ٢٤٢ و٢٤٣.

إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[1] فـي هـذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنَين أنه قال للقوم الذين شكوا إليه فساد يأجوج ومأجوج فـي الأرض وبذلوا له المال، فلـم يقبله، وقال لهم أعينوني برجال وأعطوني وجيئوا بزبر الحديد، لأعمل منه - في وجوه يأجوج ومأجوج - الردم[2].

وقولـه تعالـى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا * ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[3] وقولـه: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ ومعنـاه مـا وعـد اللّه بأنـه يفعله، لا بد مـن كونه، فإنه حق لا يجـوز أن يخلف وعـده[4] وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ﴾ في هذه الآية يعرب عن أنّ اندكاك السـد من أشـراط الساعة. والمراد أنه بعد انقضاء أمر السـد يموج بعض الناس في بعض، فيرتفع من بينهم النظم، ويحكم فيهم الهرج والمرج، ومعنى (يومئذ) يوم انقضاء السد، فكان حال هؤلاء كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه[5].

ويظهر هـذا أيضًا في آية أخـرى أعني قوله تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[6].

---

(١) سورة **الكهف**، الآية ٩٦.
(٢) الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الجزء ٧، الصفحة ٩٢.
(٣) سورة **الكهف**، الآيتان ٩٨ و٩٩.
(٤) الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الجزء ٧، الصفحة ٩٤.
(٥) المصدر نفسه، الصفحة ٩٥.
(٦) سورة **الأنبياء**، الآيتان ٩٦ و٩٧.

وخلاصة القول: أنه عندما ينفرج سد يأجوج ومأجوج، يتفرق المحجوزون خلف السد، في الأرض، فلا ترى أكمةً إلا وقوم منهم يهبطون منها، وعند ذلك يقترب الوعد الحق، وهذا هو المراد منه أشراط الساعة[١].

ج. إتيان السماء بدخان مبين:

قال سبحانه: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[٢].

إنّ مفاد هذه الآية إلى أشراط الساعة، وأنه قبل قيام البعث يغشى الناس دخان مبين، ويؤيد ذلك أنّ الآية تتضمن ذكر يومَين:

١. يوم تأتي السماء فيه بدخان مبين.

٢. ويوم يبطش فيه الرب تعالى البطشة الكبرى.

ولما كانت البطشة الكبرى راجعةً إلى يوم البعث الذي يأخذ فيه اللّه تعالى الظالمين والكافرين بشدة وقدرة، يكون ذلك قرينةً على أنّ ما يقع في اليوم الأول، من أشراط الساعة، فيوم تظهر فيه آية الساعة وعلامتها، ويوم تتحقق فيه نفس الساعة[٣].

---

(١) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٣.

(٢) سورة **الدخان**، الآيات من ١٠ إلى ١٦.

(٣) جعفر السبحاني، **الإلهيات**، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٥.

٢. يوم الحساب

الحســاب هو «المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها، والموافقة للعبد على ما فرط منه، والتوبيخ له على سيئاته، والحمد للّه على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه»[١].

والحســاب «هو من عقائدنا الحقة»[٢]، ولذلــك فإنَّ «الناس يوم القيامة على أربعة أقسام من حيث الحساب، فمنهم من يدخل الجنة دون حساب وهم المحبون لأهل البيت والذين لم يصدر منهم أي ذنب أو ماتــوا مع التوبة، والطائفة الثانية على عكس الأولى وهم الذين يدخلون جهنم بدون حســاب وهؤلاء هــم الذين يخرجون من الدنيا بغير إيمان فليس لهم حســاب لأنّ عملهم لا يساوي شيئًا»[٣]، ويقول القــرآن الكريم عنهــم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[٤]، في هذه الآية أخبر اللّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم بأنهم الذين جحدوا أدلة ربهم وأنكــروا (لقاءهُ) أي لقاء ثوابــه وعقابه في الآخرة من حيث أنكروا البعث والنشــور بأنهم قــد أحبطت أعمالهم لأنهم أوقعوها على غير الذي أمرهم اللّه به ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ وصفهم اللّه بأنهم لا وزن لهم كما يقال في التحقير للشــيء: هذا لا شــيء من حيث أنه لا يعتد به[٥]. وأمّا «الطائفــة الثالثة وهم الذين يحاسبون يوم القيامة ويستغرق حســابهم وقتًا طويلًا إلا أنّ عاقبتهم

---

(١) المفيد، **اعتقادات الإمامية**، الصفحة ١١٤.

(٢) الصدوق، **الاعتقادات**، الصفحة ٧٣.

(٣) عبد الحسين دستغيب، **سلسلة أصول الدين**، الجزء ٢، الصفحة ٩٠.

(٤) سورة **الكهف**، الآية ١٠٥.

(٥) الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الجزء ٧، الصفحة ٩٨.

إلى الجنة لغلبة حسناتهم على سيئاتهم»[١]، وأمّا الطائفة الرابعة وهم الذين كانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم وهؤلاء لو شملتهم الشفاعة واللطف الإلهي فهم من أهل النجاة وجنات الخلد، وإلا فمحكومون بالعذاب ومصيرهم إلى النار حتى يطهروا من درن المعاصي وبعد ذلك يخرجون من النار ويدخلون الجنة[٢].

إن المحاسبة على السيئات لا بد منها ولو كان صاحبها من المؤمنين ومن المغفور له، إلا أنّ الحساب سيكون عندئذٍ حسابًا يسيرًا وبلطف ومغفرة، وأما الكافر فسوف يحاسب حسابًا عسيرًا[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[٤].

ثم إنّ الغرض من الحساب ليس هو وقوفه سبحانه وتعالى على ما يستحقه العباد من الثواب والعقاب، وبالوقوف على أعمالهم الصالحة والطالحة وهذا واضح، بل الغرض منه الاحتجاج على العاصين، وإبراز عدله تعالى على العباد في مقام الجزاء لأن يوم الحساب هو يوم العدل الإلهي[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ

---

(١) عبد الحسين دستغيب، **سلسلة أصول الدين**، الجزء ٢، الصفحة ٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كاظم الحسيني الحائري، **أصول الدين**، الصفحة ٣٥٥.

(٤) سورة **الانشقاق**، الآيات من ٧ إلى ١٢.

(٥) جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، الصفحة ٤٢٧.

مُّعْرِضُونَ﴾[١]، في هذه الآية يشير اللّه عزّ وجل للناس عن اقتراب وقت حسابهم - يعني القيامة - أي وقت محاسبة اللّه إياهم ومساءلتهم عن نعمهِ هل قابلوها بالشكر؟ وعن أوامره هل امتثلوها؟ وعن نواهيه هل اجتنبوها؟ وإنما وصف بالقرب لأن كل ما هو آت قريب[٢].

وبذلك نجد أنّ الحساب هو الذي فيه يكشف اللّه سبحانه بقدرته وفي لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم وسيئاتهم، وهو أسرع الحاسبين، ويأبى اللّه إلا أن يعرفهم حقيقة ذلك ليبين لهم فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فيخاطب عباده جميعًا من الأولين والآخرين بمجمل حساب أعمالهم مخاطبةً واحدةً يسمع منها كل واحد منهم قضيته دون غيره، ويظن أنه المخاطب دون غيره حتى يفرغ عزّ وجل من حسابهم جميعًا في مقدار ساعة من ساعات الدنيا، ويخرج لكل إنسان كتابًا يلقاه منشورًا، ينطق عليه بجميع أعماله لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فيجعله اللّه مخاطبًا نفسه والحاكم عليها[٣] بأن يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤].

٣. يوم الحشر

الحشر في اللغة «بمعنى الجمع، يقال: حشرهم حشرًا أي جمعهم. وحشر الأجساد عبارة عن جمع أجزاء بدن الميت وتأليفها بمثل ما

---

(١) سورة **الأنبياء**، الآية ١.

(٢) العلامة المجلسي، **حقيقة عالم الموت**، الصفحة ٣٦٠.

(٣) الفيض الكاشاني، **العلم - التفكر - العلم - العقائد**، الصفحة ٢٣٩.

(٤) سورة **الإسراء**، الآية ١٤.



كانت. وإعادة روحه المدبرة إليه كما كان...»[1].

والحشر يعني «إخراج الجماعة عن مقرهم وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر»[2]، وإنّ الحشر من العقائد الحقة وإنّ من أنكره كفر ولاشك في إمكانه ووقوعه، واللّه قادر على كل ممكن، وعالم بالجزئيات، فيعيد الجزء المعين للشخص المعين[3].

وتبيّن لنا بعض الآيات «أنّ حشر الناس يوم القيامة من مظاهر رحمته سبحانه وأنه التزم على نفسه أن ينظر إلى العباد بعين الرحمة ولذلك حشرهم يوم القيامة»[4]، قال سبحانه: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[5].

في هذه الآية نجد أنّه سبحانه يردف قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، مشعرًا بأنّ جَمْعَ الناس يوم القيامة من مظاهر رحمته، ولذلك نقول أنه كيف حشر الناس من مظاهر رحمته مع أنّ الكفار والمنافقين في الدرك الأسفل من النار؟ والإجابة عنها واضحة لأنّ الهدف من وراء البعث والنشور إيصال كل ممكن إلى كماله المطلوب، ونيل الرحمة الإلهية وهو غاية طبيعية

---

(١) علي الصدر، **العقائد الحقة**، الصفحة ٤٤٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، الصفحة ١١٩.

(٣) العلامة المجلسي، **الاعتقادات**، الصفحة ٤١؛ فخر الدين الطريحي، **مجمع البحرين**، الصفحة ٢٥٢.

(٤) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ٨، الصفحة ٣٢.

(٥) سورة **الأنعام**، الآية ١٢.

للحشـر، فلو تخلف الكافر عن نيل ذلك الكمـال والرحمة فلا يضر بالهـدف المتوخى من البعث وهذا نظير الامتحـان، فإن الغاية فيه إظهـار ما في كنه الممتحن من الكمال علـى نحو لولاه ما ظهر، مثلًا ابتلاء إبراهيم بذبح إسـماعيل كان سببًا لظهور الكمالات الكافية فيه كالإخلاص للّه، فالغرض من خلق الإنسـان وبعثه شيء واحد، وهو إيصاله إلى الكمال المطلوب، فلو قصر الكافر فيكون هو المسـؤول في ذلك المجال فحسب[١].

وخلاصة القول أنّ المقصود من حشر الآخرة هو:

أ. حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعًا، أي جمع أجزاء الميت بعد التفرقة، ثم إحياء الأبدان بعد موتها وهذا يرادف البعث والنشـور في المعنى، قال تعالـى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[٢].

ب. حشرهم إلى موقف الحساب، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٣].

ج. «حشـرهم إلى الجنـة والنار»[٤]، قـال تعالـى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[٥]، وقال تعالـى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ

---

(١) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ٨، الصفحة ٣٣.
(٢) سورة **ق**، الآيات من ٤١ إلى ٤٤.
(٣) سورة **الكهف**، الآية ٤٧.
(٤) نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية**، الجزء ٣، الصفحة ١٥٥.
(٥) سورة **مريم**، الآية ٨٥.

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٢].

ثالثًا: المعاد الجسماني والروحاني

من المسائل الشائكة في مبحث المعاد هو تبيين كيفيته، وأنه هل هو جسماني فحسب أو روحاني كذلك، أو هو جسماني وروحاني معًا؟ وهناك عدة آيات قرآنية نستنتج منها موقف القرآن من جسمانية المعاد وروحانيته كالآتي:

١. المعاد الجسماني

هو حشر الأبدان لتعلق النفوس بها ولكون المعاد جسمانيًا فقد تضافرت الآيات عليه وهي على طوائف[٣]:

الطائفة الأولى: الآيات التي دلت على إحياء الموتى في هذه النشأة من باب الإعجاز والكرامة، وفي جميع تلك الآيات كان الحشر بعود البدن الدنيوي لا البرزخي، بل العنصري. هذا من جانب، ومن جانب آخر ترى أن القرآن الكريم يصف الدار الآخرة بأنها الحياة الواقعية. يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٤]. فلا بد من التوفيق بين هذين الأمرَين.

---

(١) سورة **طه**، الآية ١٠٢.

(٢) سورة **الفرقان**، الآية ٣٤.

(٣) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ٨، الصفحات من ٨١ إلى ٨٤.

(٤) سورة **العنكبوت**، الآية ٦٤.

وبعبارة أخرى يكون المحشور في الآخرة هو البدن الدنيوي والحياة الدنيوية حياة غير كاملة، ومن جانب آخر تكون الحياة الأخروية هي الحيوان، فكيف يمكن الجمع بين كون المحشور هو البدن الدنيوي العنصري وبين كون الحياة الأخروية كاملةً، فلا محيص من القول إنّ البدن المحشور مع أنه عين البدن الدنيوي لكن يتمتع بكمال خاص.

وبعبارة أوضح لو كانت الحياة في النشأتَين حقيقةً واحدةً وكان الاختلاف مختصًا بالتوقيت والدوام، ما كان هناك أي حاجة إلى زوال السماوات والأرض وإيجاد نظام آخر، ولأجل ذلك نأخذ بكلا الأمرَين:

أ. أنّ المحشور هو البدن الدنيوي العنصري لا البرزخي.

ب. أن المحشور يحظى بدرجة عالية من الحياة.

الطائفة الثانية: الآيات التي تبين بدء الخلقة، وأنّ الإنسان خلق من تراب ويعاد إليها، ثم يخرج منها: يقول سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[2].

الطائفة الثالثة: الآيات التي تشرح كيفية الحشر وأنّ الناس يبعثون من القبور. قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ

---

(١) سورة **طه**، الآية ٥٥.

(٢) سورة **نوح**، الآية ١٨.

(٣) سورة **يس**، الآية ٥١.

جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[١].

الطائفة الرابعة: الآيات التي تدل على أنّ الأعضاء والجوارح تشهد على الإنسان، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٣].

الطائفة الخامسة: الآيات التي تدل على طروء التبدل والتغير على البدن الأخروي الملازم لكون المحشور بدنًا ماديًّا عنصريًّا لا صوريًّا مجردًا عن المادة، قال سبحانه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[٤]، ويقول أيضًا: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[٥].

الطائفة السادسة: الآيات التي تبين شبهة المنكرين للمعاد من امتناع إحياء العظام البالية، وهي تدل على أنّ المدعى كان هو إحياء البدن الدنيوي حسب ما كان، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٧].

---

(١) سورة **القمر**، الآية ٧.
(٢) سورة **النور**، الآية ٢٤.
(٣) سورة **يس**، الآية ٦٥.
(٤) سورة **النساء**، الآية ٥٦.
(٥) سورة **محمد**، الآية ١٥.
(٦) سورة **يس**، الآية ٧٨.
(٧) سورة **سبأ**، الآية ٧.

إنّ هـذه الطوائف من الآيـات تعرب عن موقـف القرآن حيال المعاد الجسـماني والمعاد هو البدن الدنيوي حقيقةً، «وذلك لأنه لا واقعية للإنسان سـوى هيكله الجسـماني، والروح سار في بدنه سـريان النار في الفحم والماء في الورد، فإذا بطـل البدن بالموت بطلت الروح أيضًا، فلا يبقى هناك واقعية باسـم الروح حتى يعاد، وإنما المعاد ما يبقى من الإنسـان بعد موته من عظامه وسائر أجزاء بدنه»[١].

٢. المعاد الروحاني

المعاد الروحاني «هو حشـر الإنسـان مع روحه ونفسـه، وثمة كلام وهو أنه إن أريـد من المعاد الروحاني هو حشـر البدن الدنيوي مع روحه ونفسـه فليس ذلك معادًا روحانيًا في الاصطلاح بل هو معاد جسماني، لأنّ من يصف المعاد بالجسماني لا يريد منه البدن المماثل للجماد بل البدن نفخ فيه روحه وصار ذا حس وحركة وعقل وإدراك. وإن أريد منه حشر النفوس والأرواح مجردةً عن البدن فيصبح وصفه بالروحاني لكنه يخالف صريح القرآن لما عرفت من تأكيده على حشر الأبدان الدنيوية بنحو يكون مناسبًا للحشر الأخروي»[٢].

ولقد ذهب بعض الفلاسفة إلى القول إنّ المعاد روحاني فقط، لانقطاع الصلة بين الروح والبدن بالموت فيستحيل حينئذ أن تتعلق الروح بالمادة من جديد[٣]. فالروح هي التي تبصر وتسـمع، وتذوق

---

(١) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ٨، الصفحة ٧٦.
(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٨٤.
(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٧٦.

وتلمس، وتشم وتفكر، وللروح غير هذه الإدراكات الخمسة الظاهرة أعمال أخر: كالتفكير والتعقل... والروح حقيقتها مجهولة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى غموض هذا المخلوق، بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

٣. المعاد جسماني وروحاني معًا

في الحقيقة هنالك اختلاف في وجهات النظر اتجاه هذه المسألة وكل وجهة نظر لها أصحابها وهؤلاء لهم أدلتهم على ما يذهبون إليه.

ولقد «ذهب المحققون من المتكلمين والحكماء كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والمحقق الطوسي، والعلامة الحلي من الإمامية، والغزالي، والكعبي، والحليمي، والراغب الأصفهاني، من السنّة، إلى أنّ المعاد جسماني وروحاني، لأنّ النفس وإن كانت مجردةً إلا أنّ تجردها ليس تامًا حتى يستحيل تعلقها بالمادة من جديد»[2].

وعن القول إنّ المعاد جسمانيٌّ فقط، لا يخلو عن غموض، فلو أريد من جسمانيته هو بعث البدن المنسلخ عن الروح، فيعود إلى القول بمعاد الإنسان بصورة جماد فاقد للإدراك والشعور ومن الواضح أنّ مثل هذا لا يقبل الجزاء ولا الثواب والعقاب، فينتفي الغرض من المعاد، وإن أريد منه البدن المرافق مع الروح، فلا يكون

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ٨٥.

(٢) جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، الجزء ٨، الصفحة ٧٧.

المعاد عندئذ جسمانيًا فقط، ولأجل ذلك عاد كثير من المتشرعة إلى القول بجسمانية المعاد وروحانيته[١].

ويؤكد بعض الفلاسفة أن الروح هي أساس الإنسان ولولا الروح لمات البدن فالإحساس الحاصل للإنسان إنما يحصل بوساطة الروح ووجود الروح في البدن فالبدن هو آلة تنفيذية خاضعة للروح أي أنّ البدن جهاز تنفيذي بيد الروح.

إذن فالروح هي أساس الإحساس لدى الإنسان وهذا الإحساس قد يكون لذيذًا أو أليمًا باختلاف المؤثر وبخروج الروح عن البدن - بالموت مثلًا- ينتهي دور البدن بدفنه بالتراب وتحلق الروح خالدةً في الجنة والنعيم أو تبقى متألمةً في النار والجحيم وإنّ لذة الروح أو ألم الروح إنما يتحققان حينما تبتعد أو تقترب عن رضا اللّه سبحانه يوم القيامة فكلما اقتربت الروح من رضوانه كانت حالة الاطمئنان والفرح وكلما ابتعدت كانت حالة القلق والذعر والألم. وطبيعي أنّ القرب والبعد تحدده أعمال الإنسان في الدنيا، ويجيب أمثال هؤلاء الفلاسفة عن الآيات القرآنية التي تجسد النعيم البدني أو العذاب الجسمي مثلًا يقول سبحانه في وصف بعض اللذائذ في الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[٢]، ويقول أيضًا في وصف العذاب: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٣].

---

(١) المصدر نفسه؛ مكارم الشيرازي، **عقائدنا**، الصفحة ٦٧.

(٢) سورة **الرحمن**، الصفحات من ٧٢ إلى ٧٤.

(٣) سورة **الحج**، الآيات من ١٩ إلى ٢١.

المبحث الثاني:

المعاد عند فرق المسلمين

يقصد بالمعاد «الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة»[١].

والمعاد بعد الفناء أجمع عليه علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهـم، وأنه من أركان الاعتقاد وأصوله، ولا ينكره إلا كافر باللّه العظيم[٢] وقال التفتازاني (توفي عام ٧٩١هـ): «وإلزامًـا أنّ المعاد مثل المبـدأ»[٣]. وهنالك اختلاف بين فرق المسلمين في مسـألة المعاد، هل هو جسماني؟ أو جسماني روحاني؟ وغيرها من الاختلافات.

أولًا: الإمامية

يعتقد الشـيعة الإمامية بالمعاد إذ يقولون فيه هـو «الوجود الثاني

---

(١) التفتازاني، **شرح المقاصد**، الجزء ٢، الصفحة ٢٠٧.

(٢) ملا علي، **منح الروض الأزهر**، الصفحة ٥٦.

(٣) التفتازاني، **شرح المقاصد**، الجزء ٢، الصفحة ٢٠٧.

للأشخاص الإنسانية بعد موتها لأخذ الحق منها أو إيفائه»[١].

إذن فالمعاد هو إعادة جسد الإنسان بروحه وبعثه في القيامة - ذلك اليوم الرهيب- يوم الحساب والعدل والخلود والفصل، وأنّ الاعتقاد بهذا اليوم من العقائد الحقة الأصلية المهذبة للنفوس البشرية[٢]، وقال شيخنا الصدوق (توفي عام ٣٨١هـ) «اعتقادنا في البعث أنه حق»[٣].

اتفق الإمامية على إعادة الأجساد وأنّ المعاد الجسماني هو المتبادر من إطلاق أهل الشرع إذ هو الذي يجب الاعتقاد به ويكفر من أنكره[٤].

وقال شيخ الإسلام المجلسي (توفي عام ١١١١هـ): «إعلم أنّ القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المسلمين وهو من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة ولا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها، وقد نفاه أكثر تلامذة الفلاسفة تمسكًا بامتناع إعادة المعدوم، ولم يقيموا دليلًا عليه، بل تمسكوا تارةً بادعاء البداهة، وأخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة واليقين وترك تقليد الملحدين من المتفلسفين»[٥].

وإنّ كون المعاد جسمانيًا لا روحانيًا فقط، فإنه هو الصريح

---

(١) الفاضل المقداد، **إرشاد الطالبين**، الصفحة ٣٨٥.
(٢) علي الصدر، **العقائد الحقة**، ٣٩١.
(٣) الصدوق، **الاعتقادات**، الصفحة ٦٤.
(٤) عبد الله شبر، **حق اليقين**، الجزء ٢، الصفحتان ٣٦ و٣٧.
(٥) محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٧، الصفحة ٤٧.

من الآيات الكريمة في القــرآن الكريم، وأنّ الناظر في القرآن المجيد المسترســل في قراءتــه يدرك بوضــوح أنّ إنــكار المنكرين وجدال المجادلين إنما هو في المعاد الجسماني، لاستغرابهم إحياء الأجساد بعد موتها وتحللها في الأرض واضمحلالها، بنحو يظهر في المفروغية عــن أنّ الحقيقة الدينيــة المعلنة هي البعث الجســماني، لا بعث الروح وحدها[١].

وأيضًا نجد أنّ المعاد الجســماني والروحاني في القرآن الكريم يتوقف على أمور[٢]:

١. الاعتقاد بتجرد الروح الإنساني.

٢. الاعتقاد بأنّ الروح يعود إلى البدن عند الحشر.

٣. أنّ هناك آلامًا ولذائذ جزئيةً وكليةً، جسمانيةً وروحانيةً.

و«أنّ المعــاد الذي يصر عليه القرآن هــو عود البدن الذي كان الإنســان يعيش به في الدنيا وتعلق الــروح إليه مرةً أخرى ولا يكتفي بحيــاة الروح في عالــم الآخرة، كما أنــه لا يخص الثــواب والعقاب بالجســمانية منهمــا بل يثبــت أيضًــا ثوابًــا وعقابًــا روحانيَّين غير حســيَّين»[٣]. وأمّا الآيات التي وردت في القــرآن الكريم عن المعاد الجسماني والروحاني، فهي[٤]:

١. ما ورد في قصة إبراهيم، وإحياء عزير، وبقرة بني إســرائيل،

---

(١) محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، **أصول العقيدة**، الصفحة ٤٠٩.

(٢) جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، الصفحة ٤٠٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٤١٠.

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[٣].

٢. ما يصرح به على أنّ الإنسان خلق من الأرض وإليها يعاد ومنها يخرج، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٤].

٣. ما يدل على أنّ الحشر عبارة عن الخروج من الأجداث والقبور، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٥].

٤. ما يدل على شهادة الأعضاء يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٦].

٥. ما يدل على تبديل الجلود بعد نضجها وتقطع الأمعاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ٢٦٠.
(٢) سورة **البقرة**، الآية ٧٣.
(٣) سورة **البقرة**، الآية ٦٩.
(٤) سورة **الأعراف**، الآية ٢٥.
(٥) سورة **الحج**، الآية ٧.
(٦) سورة **النور**، الآية ٢٤.

نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

ولذلك فإنّ القول بالمعاد الجسماني والروحاني معًا أقوى المذاهب، وهذا هو الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية وأيدته المؤيدات العقلية حيث إنّ الكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معًا فينبغي عودهما معًا[2].

ثانيًا: الأشاعرة

أكثر المذاهب الإسلامية ترى أنّ المعاد جسماني هو عودة الحياة في الأجساد البالية والتي صعقت بنفخة الصور للصعق ولأنّ الروح جسم سار في البدن، سريان النار في الفحم، والماء في الورد، أي لا ينفك اتصالها بالبدن، فهؤلاء يجعلون المعاد جسمانيًا، وهو ما عليه معظم الأشاعرة.

وذهب بعض علماء الأشاعرة إلى أنّ الأرواح تنفصل عن الأبدان بالموت ولا تفنى بل تعاد إلى أجسامها عند البعث، فالمعاد عندهم جسماني روحاني... ولكل منهم دليله فكلا الفريقَين يؤمن بأصل المعاد والخلاف في كيفيته[3]. أمّا الفريق الثالث الذي أنكر معاد الأبدان أصلًا وجعل المعاد للنفس فقط، والبعض الآخر أنكر المعاد جملةً وتفصيلًا، فهؤلاء هم جماعة من الفلاسفة والمتشككين.

---

(١) سورة **النساء**، الآية ٥٦.

(٢) عبد الله شبر، **حق اليقين**، الجزء ٢، الصفحة ٣٨.

(٣) حمزة حسين عبيد، **الأصول العقائدية**، الصفحة ١٧٧.

وترى الأشـاعرة أنّ الأجسـام تنقلب من حال إلى حال، فهكذا خلق اللّه الأجسام أنه يقلبها ويحيلها من جسم إلى جسم، كما خلق آدم من طين، فقلب حقيقـة الطين فجعلها عظمًا ولحمًا وغير ذلك من أجزاء البدن، وكذلك المضغة يقلبها عظامًا وغير عظام، وكذلك الإعادة يعيده بعد أن يبلى وهو إذا أعاد الإنسـان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلةً لهذه، فإن هذه كائنة فاسدة، وتلك كائنة غير فاسدة بل باقية دائمة[1].

ويتفق الذين تكلموا في أمر المعاد الجسـماني من الأشاعرة أنّ ثمة أشياء من جسم الإنسـان لا تبلى ومنها يتم الخلق (المعاد) وما لا يبلى من جسد الإنسـان ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بقوله: «ليس من الإنسان شيٌ لا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[2].

قال «ابن أبـي العز» (توفي عـام ٧٩٢هـ)، معلقًا على حديث المعاد: «فالنشـأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقـان ويتنوعان من وجه، والمعاد هـو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعـادة ولوازم البداءة فرق. فعجـب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أنّ من رأى شـخصًا وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخًا، علم أنّ هذا هو ذاك، مع أنه دائمًا في تحلل واسـتحالة، وكذلك سـائر الحيوان والنبات، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلةً لصفة هذه النشأة

---

(١) ابن تيمية، **الرد على المنطقيين**، الصفحة ٣٠٨؛ ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، الصفحة ٤١٠.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث ٤٥٥٤؛ مسلم بن حجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، الحديث ٥٢٥٣.

حتى يقال: أنّ الصفات هي المغيرة»[١].

وقد ركز معظم الأشاعرة في موضوع المعاد على الأدلة العقلية، فال «بغدادي»[٢] (توفي عام ٤٢٩هـ). الذي خصص الأصل الحادي عشر من أصول كتابه لبيان «أحكام العباد في المعاد». بدأ كلامه في المسألة الأولى عن فناء الحوادث، وذكر بأنّ اللّه تعالى قادر على فناء العالم جملةً وتفصيلًا، فالذي خلقها من العدم قادر على إفناء جميعها وقادر على إفناء بعضها[٣].

أمّا كيفية الفناء فقد نقل «البغدادي»، عن «أبي الحسن الأشعري» (توفي عام ٣٢٤هـ) قوله: «إنّ اللّه يفني الجسم بأن لا يخلق فيه البقاء في الحال التي يريد أن يكون فانيًا فيه لأنّ الباقي عنده يكون باقيًا ببقاء، فإذا لم يخلق اللّه البقاء في الجسم فني»[٤] أمّا الأعراض فقال عنها: «أجمع أصحابنا على أنّ الأعراض لا يصح بقاءها فإنّ كل عرض يجب عدمه في الثاني من حال حدوثه»[٥].

أمّا الإعادة عند «البغدادي» فذكر أنها من إجماع الأمة عليها فالله تعالى قادر على إعادة الخلق، «وأنّ كلّ ما عدم بعد وجوده صحّت إعادته جسمًا كان أو عرضًا»[٦]. ونقل عن «أبي الحسن الأشعري» قوله: «إنّ الإعادة ابتداء ثان، فكما أنّ الابتداء الأول صح

---

(١) ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، الصفحة ٤١١.

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، فارس كريم فهد، **الخطابي وآراؤه الكلامية**، الصفحة ١٩١.

(٣) أبو منصور البغدادي، **أصول الدين**، الصفحة ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٢٣٠.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ٢٣١.

(٦) المصدر نفسه، الصفحتان ٢٣٢ و٢٣٣.

على الجسم والعرض من غير قيام معنًى بالعرض فكذلك الابتداء الثاني صحيح عليه من غير قيام معنًى به»[١].

أمّا علاقة الروح بالجسد بعد الفناء، وعند البعث فقد قال «البغدادي» بإعادة الأجساد والأرواح، ورد الأجساد إلى الأرواح على التعيين، برجوع كل روح إلى الجسد الذي كان فيه[٢]. ولكون المعاد من التراب الذي تصير إليه الأجسام يقول «الجويني» (توفي عام ٤٧٨هـ): «فلا يبعد أن تصير أجسام العباد على صفة أجسام التراب، ثم يعاد تركيبها إلى ما عهد قبل، ولا نحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد، واللّه أعلم بعواقبها»[٣].

واستدل الأشاعرة بأدلة نقلية على المعاد، كما استدلوا بالأدلة العقلية، فالإمام «الجويني» في معرض حديثه عن الإعادة يقول: «فإن سئلنا الدليل على جواز الإعادة استثرناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب، وشبهنا الإعادة بالنشأة الأولى»[٤] كما قال تعالى ردًا على منكري البعث: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٥] وكذلك «البغدادي»، الذي استدل بالآية الكريمة نفسها، للرد على منكري الإعادة، بعد أن قال: «وما الكلام على من أقر بالحدوث وأنكر الإعادة، فوجه الاستدلال عليه أن يقاس الإعادة على الابتداء، فإنّ القادر على إيجاد

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٢٣٥.

(٣) أبو المعالي الجويني، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، الصفحة ٣٧٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة **يس**، الآيتان ٧٨ و٧٩.

الشيء عن العدم ابتداءً بأن يكون قادرًا على إعادته، أولى إذ لم يلحقه عجز»[١]، حيث قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

ذهب أغلب علماء الأشاعرة على أنّ بعض الجسد الإنساني لا يفنى، ويكون مبتدأ المعاد منه، ألا وهو عجب الذنب، وهو آخر ما يفنى ويبلى تمسكًا بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٣] وقالوا أيضا أنه آخر ما يبلى من الميت[٤].

لكن الشيخ «البيجوري»[٥] (توفي عام ١٢٧٧هـ) علّق قائلا: والأقوى في النظر أنه لا يبلى... وبعد أن ذكر الاختلاف بين العلماء في هل الفناء لجميع الإنسان حتى عجب الذنب؟ أو ثمة استثناء هذا الجزء منه؟ قال: وحاصل الجواب أنّ العلماء قصروا عموم ذلك على غير الأمور التي وردت الأحاديث باستثنائها كالروح وعجب الذنب وأجساد الأنبياء، والشهداء، والعرش، والكرسي، والجنة، والنار، والحور العين ونحو ذلك[٦].

---

(١) أبو منصور البغدادي، **أصول الدين**، الصفحة ٢٣٣.

(٢) سورة **يس**، الآيتان ٧٨ و٧٩.

(٣) سورة **الرحمن**، الآية ٢٦.

(٤) إبراهيم البيجوري، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، الصفحة ١٧٩.

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، عدنان الفراجي، **التوافق بين الأشعرية والسلف في العقيدة**، الصفحة ٢٧٠.

(٦) إبراهيم البيجوري، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، الصفحتان ١٧٩ و١٨٠.

ثالثًا: المعتزلة

إنّ المذهب الاعتزالي يطغى عليه الجانب العقلي، ونجد المعتزلة هنا يأخذون بظواهر نصوص اليوم الآخر دون تأويل يقول القاضي «عبد الجبار» (توفي عام ٤١٥هـ): «وقد اتصل بهذه الجملة الكلام في أحوال القيامة وما يجري هناك من وضع الموازين والمحاسبة وإنطاق الجوارح ونشر الصحف وما جرى هذا المجرى، وجملة ذلك أنّ كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والإقرار به»[١].

أمّا مسألة عذاب القبر فإنّ المعتزلة ينكرونها[٢]، ومما يستدلّ على النكران قول القاضي: «فصل في عذاب القبر، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكى عن «ضرار بن عمرو»، وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا نرى «ابن الرواندي» يقول: إنّ المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به... أما ثبوته، فالذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ﴾[٣] فالفاء للتعقيب من غير مهلة، وإدخال النار لا وجه له إلا التعذيب، ويدل عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[٤] ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر، غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين»[٥].

وأمّا قول المعتزلة في مسألة «الوعد والوعيد» الذي هو من

---

(١) القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، الصفحة ٧٣٤.
(٢) أبو حامد الغزالي، **الاقتصاد في الاعتقاد**، الصفحة ١٣٦.
(٣) سورة **نوح**، الآية ٢٥.
(٤) سورة **غافر**، الآية ٤٦.
(٥) القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، الصفحة ٧٣٠.

أهم مباحث علـم العقيدة عند المعتزلة والوعد هـو: إخبار القرآن بجزاء المؤمنيـن المتقين في اليوم الآخر بالجنـة، والوعيد هو إخبار القرآن بجزاء الكافرين والعصاة في اليـوم الآخر بالنار، فهذه الأخبار أتقع حتمًا؟ أم يكون فيها اسـتثناء لعطف إلهي. ولنرى الآن ما يقوله المعتزلة في ذلك:

١. اهتمّ المعتزلة بمسـألة «الوعد والوعيـد» حتى عدوها من أصول الدين الخمسة، التي يلزم المكلف معرفتها[١].

٢. إنّ وعد اللّه ووعيده واقع لا محالة، يقول القاضي: «فهو أنه – تعالى – وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، فلو لم يجب لكان لا يحسن الوعد والوعيد بهما»[٢].

٣. إنّ الإنسان في الآخرة إما مستحق للثواب أبدًا، وإمّا مستحق للعقاب أبـدًا، ولا ثالث لهمـا، ومعنى هذا أنّ الإنسـان إما مطيع فيسـتحق ما وعده اللّه به، إذن ما قـول المعتزلة في من عمل عملًا صالحًا وآخر سـيئًا، فهو مستحق للثواب من جهة، مستحق للعقاب من جهة أخرى؟ يقول القاضي: «إنّ المكلف لا يخلو إمّا أن يسـتحق الثواب، أو أن يسـتحق العقاب من كل واحد منهما قدرًا واحدًا، أو يستحق من أحدهما أكثر ما يسـتحقه من الآخر، لا يجوز أن يستحق من كل واحد منهما قـدرًا واحدًا... وإذا اسـتحق من أحدهما أكثر من الآخر فإن الأقل لا بد من أن يسـقط بالأكثر ويزول، وهذا القول بالإحباط والتكفير على ما قاله المشايخ»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٦٢٢.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٦٢٤.

٤. أمّا القول في أن يستحق الإنسان من الثواب والعقاب قدرًا واحدًا؟ فيجيب القاضي بقوله: «فإن قيل فما قولكم فيمن استويا... فإن الأمة أجمعت على أن لا دار غير الجنة والنار، فلو تساوت طاعات المكلف ومعاصيه لكان لا يخلو حاله من أحد الأمرين: فإما أن يدخل النار وذلك ظلم، وإما أن يدخل الجنة، ثم لا يخلو حاله وقد دخل الجنة، إما أن يثاب وذلك لا يجوز، لأنّ إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، واللّه – تعالى- لا يفعل القبيح، وإمّا أن يتفضل اللّه عليه كما تفضل على الأطفال والمجانين، وذلك مما لا يصلح أيضًا وقد اتفقت الأمة على أنّ المكلف إذا دخل الجنة فلا بد من أن يميز حاله من حال الولدان المخلدين وعن حال الأطفال والمجانين، فليس إلا أن نقطع أنه لا تتساوى طاعات المكلف ومعاصيه»[1].

٥. قد لاحظنا مما تقدم أنّ المعاصي قد تسقط إذا غلبت الطاعات وأنّ الطاعات قد تسقط إذا غلبت المعاصي وكل هذا لكي يكون الإنسان على إحدى حالَين لا ثالث لهما: إما مثاب أبدًا، وإما معاقب أبدًا.

وفلسفة الإسقاط هذه لا بد أن نقف عندها، ونتساءل: متى يسقط الثواب؟ ومتى يسقط العقاب؟ في حالة غلبة أحدهما على الآخر فحسب، أم هناك حالات أخرى؟ يقول القاضي مجيبًا: «إعلم أنّ الثواب يسقط بوجهَين، أحدهما: بالندم على ما أتى من الطاعات، والثاني: بمعصية هي أعظم منه. وإنما قلنا إنّ الثواب يسقط بالندم على الطاعة، لأنّ الحال في ذلك كالحال فيمن أحسن إلى غيره ثم ندم على ما فعله من الإحسان، فإنّ ندمه على ذلك

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ٦٢٣ و٦٢٤.

يسقط ما كان يستحقه، كذلك هنا، وأمّا سقوطه بمعصية هي أعظم من ذلك، فظاهر أيضًا، لأن ذلك بمنزلة أن يحسن إلى غيره قدرًا من الإحسان يسيء إليه إساءة هي أعظم من ذلك بكثير، ومعلوم أنه والحال هذه لا يستحقه مدحًا ولا شكرًا... وأما العقاب المستحق من جهة اللّه تعالى فإنه يسقط بالندم على ما فعله من المعصية، أو بطاعة هي أعظم منه... ومعلوم أنّ أحدنا إذا أساء إلى غيره ثم اعتذر إليه اعتذارًا صحيحًا، فإنه يسقط ما كان يستحقه من الذم حتى لا يحسن من المساء إليه أن يذمه بعد ذلك، فكذلك الحال في التوبة مع العقاب، وأمّا الطاعة التي هي أعظم منه فإنما تؤثر في إسقاط العقوبة المستحقة لأنّ الحال في ذلك كالحال في من أساء إلى غيره بأن كسر له رأس قلم، ثم أعطاه في مقابلته من الأموال ما لا تسمح نفسك بها»[1].

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ٦٤٣ و٦٤٤.

المبحث الثالث:

المعاد عند الشيخ البلاغي

أولًا: ماهية المعاد عند البلاغي

المعاد: هو يوم القيامة والحشر من القبور للجزاء، وهو اليوم الـذي تعاد فيه الأجسـام بعد البلى[١]. ويشـير «البلاغي» إلى ذلك بقوله بأنه: «لنا اليقين والثقة التامة بما وعد اللّه سـبحانه وتعالى من المعـاد والجزاء»[٢]، فـ«البلاغي» يعتقد بالمعاد وحساب الأعمال يوم القيامة بنوعَيه الروحاني والجسماني، وأنّ المعاد من الأصول التي بني عليها الإسلام وذكرها القرآن الكريم في عدة آيات.

فالمعـاد عقيدة ترمي إلى سـعادة الإنسـان وتوجيـه ملكاته النفسـية نحو الفضيلـة والكمـال، لأنّ الفوز بالـدار الآخرة يتطلب التحلي بالفضائل والمكارم التي يكسبها الإنسان وأنّ المعاد هو يوم الجزاء العظيم الذي يجازي سبحانه وتعالى فيه الإنسان على أعماله،

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحة ٤٨٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٨٣.

إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر[١].

ثانيًا: المعاد الجسماني والروحاني عند البلاغي

المعاد الجسماني هو إحياء الأجسام بأنفسها للجزاء في يوم المعاد، ويكون هذا الجزاء بالنعيم الجسماني، أو الآلام الجسمانية[٢].

وقد أخبر القرآن الكريم بالمعاد الجسماني وبشر وأنذر به، وكافح الأوهام في خيالات امتناعه، وأصبح على إمكانه بالحجة الكافية التي تستلفت العقول إلى مبدأ الإنسان ومبدعه في وجوده العجيب، فيهون عليها التصديق بوقوع المعاد بالتدرج في النظر في حكمة الخالق ورحمته وقدرته[٣].

ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٤] وفي قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[٥]، أفلم ير الإنسان كيف بلغ به الخلق والتصوير من هذه النطفة إلى حالته التي يشعر فيها بما في هيكله من عجائب التراكيب ليكون إنسانًا مولودًا،

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٦٤٧.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٧٥ إلى ٤٨٩.

(٣) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٧٥ و٤٧٦.

(٤) سورة **يس**، الآيات من ٧٧ إلى ٧٩.

(٥) سورة **المؤمنون**، الآيتان ١١٥ و١١٦.

وناشئًا، ورشـيدًا، وترى الإنسـان تضطره الفطرة في أمر طفيف كما هو في صنع الآلات، فيذعن بلا شك بأنها صنعت بصنع قادر عالم بغاياتها، صنعها لأجل غاياتها، فكيف يعرقل شـعوره ويكابر وجدانه، فيتجاهل ويجحد قدرة خالقه وعلمه وحكمته، ويكون من أجل ذلك خصمًا يبيـن خصومته في أمر المعـاد ويتمثل بالعظـام التي تبلى وتصير رميمًا، فيضرب بجهالته هذا المثل السـخيف لجحود المعاد ويقـول إنّ العظام التي صـارت رميمًا كيف تحيـى؟ ومن هو الذي يقدر على جمع أجزائها التي تشـتت وعلى إحيائها؟ ومن هو الذي يحييها؟ قل يجمعها وينشـئها على صورتها الأولى ويحبوها بالحياة، ذلك الخالق القادر العليم هو الذي أنشـأها أول مرة وقدر أوضاعها وأشـكالها ومقاديرها وصلابتها ولينها، على مقتضى الحكمة وحاجة الغاية، ووصلها بالأربطة، وأكمل نظامها بآلات البدن العجيبة، أجرى فيها أعمال الحياة وحفظ الكيان[1].

وأنّ «هـذا الخالـق العليم الذي ينشـئ العظام فـي الأدوار المتعددة والمواليد المتعاقبة بكثرة لا تقدر أن تحصيها، وقدر بنشوء متماثلاتها على ناموس واحد وتماثل باهر، ليسـت هي وحدها بل جميع مواليد العالم في أدوارهـا»[2]، ولذلك يمكن القول للجاحد هـذا هو الخالـق الـذي تعرّفك أنـواع مخلوقاته التـي لا تحصى، وأطوارها بأدوارها، وتشـهد بأنه لا يعييه خلـق ولا يغيب عن علمه خلق، وأنه بكل خلق عليم، وبكل مخلوق عليم فهل يغيب عن علمه جمع رميم العظام وخلقها على صورتها الأولـى وإحيائها؟ ماذا يكبر

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٧٦ و٤٧٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٧٧.

إحياء العظام الرميمة على إنشاء العظام من النطفة واحيائها في دور من أدوار النشأة الأولى؟[١].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٢]، بما فيها من عجائب التقدير ومواقع الحكمة ومحاسن النظام بحيث يجلو النظر في ذلك لكل إنسان بحسب استعداده ويوضح لنا سبحانه وتعالى مواقع القدرة الإلهية والحكمة وقصد الغاية بأوضح المظاهر، وأنّ اللّه تعالى خلق السماوات أي العالم العلوي، والأرض أي العالم السفلي بهذا النظام العجيب بوضعه وحكمته «ولم يعي بخلقهن» ويتعذر عليه شيء منه. أليس هذا الخالق القادر العليم الحكيم هو الذي يحيى الموتى ويبعثهم ليوم الجزاء وأنه حر في خلق هذا العالم ومظاهر القدرة الإلهية لأنه على كل شيء قدير[٣].

وإن «هذا بعض ما في القرآن الكريم مما يستلفت النظر المنزه وينبه العقل الحر على الحجة الساطعة على إمكان المعاد الجسماني وإحياء الأجسام بعد بلاها وعلى وقوعه»[٤].

وخلاصة قول الشيخ «البلاغي» عن المعاد الجسماني هو أنّ «الذي يقوم به المعاد الجسماني هي تلك الأجزاء التي تقوم بها أنانية الإنسان، والثابتة من أول نشوئه إلى آخر عمره، ولا تزول

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة **الأحقاف**، الآية ٣٣.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٨١.

(٤) المصدر نفسه.

بالتحليل، ولم يكن نشـوؤها من النمو بواسطة الغذاء وهي محفوظة لأنانية صاحبها حيثما ذهبت»[١].

وأما المعاد الروحاني نجد أن الشيخ «البلاغي» قد تحدث عن ماهية النفس حيث يقول «إنها قوة أودعها اللّه في الإنسـان ليكون بها وجدانه وتفكيره وإرادته»[٢].

ولبيان مقصود النفس فإن الشيخ «البلاغي» قد قسم خصائص النفس على قسمَين ممتازَين:

القسـم الأول: هي خصائص وأعمال آلية تستخدم بها الجسد التـي هي مرتبطة به هـذا الارتباط الأكيد المشـاهد، وليكون منها الإحسـاس والتفكير والوجدان والإرادة، وأنّ هذه الخصائص نفسية لأنهـا تدور حول النفس وارتباطها بالجسـد، ويقف ظهورها نحوًا ما باحتجابهـا بالنوم أو الإغماء فضلا عن المـوت. ولذلك فإن النفس تثبت مزيتها في بعض أعمالها[٣].

أما القسـم الثاني: «فهـي خصائص نجدها لا تـدور حول آلية الجسـد، وكثيرًا ما لا يكون لها أدنى مساس نجد في الإنسان مدركًا جازمًا حاكمًا بالقطع واليقين بـأنّ الفعل لا بد له من فاعل، والأثر لا بد له من مؤثر، والحادث لا بد له من علة، والنقيضَين لا يجتمعان ولا يرتفعان والضدَّين لا يجتمعان، إلى غير ذلك من القوانين الحسـابية والهندسية»[٤].

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٥٢٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٦٢.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٦٣.

(٤) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٦٣ و٤٦٤.

ولذلك يمكن القول إنّ النفس في حال ارتباطها بالبدن واتحادها به، وإدارة شؤونه في حياته ونموه وحواسه وحاجياته، يكون لها جهتان تتغالب آثارهما: جهة جسمانية وشهوانية وغضبية ينبعث منها حجاب الجهل والنزوع إلى الشخصيات، وجهته روحانية عقلية تشع بالشعور، والإدراك، وترعى النوعيات والحقائق الصالحة فترى من نتائج ذلك التغالب لأعمالها أقسامًا؛ فمنها ما يقوم بآلية الجسد، أي بالحواس الظاهرة والباطنية، فتراه يقوى بقوة الآلة الجسدية ويضعف بضعفها، ويأخذ بالضعف نوعًا من سن الوقوف وذلك كالإحساسات الجزئية والحفظ والتذكر، ومنها ما تستقل به النفس وتدافع به الحجاب، ومنها ما يحتاج في مدافعة الحجاب إلى التجربة والتفكير[1].

وأما إرادة النفس ونزعاتها فقد بيّن الشيخ «البلاغي» توجه النفس إلى مطلوباتها من حيث نزعتها الروحية ومن حيث نزعتها المتولدة من اتحادها بالجسد، وبالحريّ أن نسميها النزعة الجسمانية، وبعد ذلك ينمو ذلك التوجه بحسب الدواعي والاستحسانات والمدافعات من النزعتَين الجسمانية والروحانية إلى أن يبلغ الإرادة الفعالة، فتحرك النفس آلاتها وتعمل أعمالها ولأجل صرف النفس لاختيار عن نزعاتها الجسمانية، وما ينشأ من التمادي على ذلك من الألفة وسهولة الانقياد للشهوات والأهواء المردية والملكات الرديئة، نهض الرسل وأمناء الوحي بأمر اللّه ووحيه بالتبليغ والدعوة إلى الصلاح والكمال والسعادة، بالتعليم، والبيان، والنصح، والوعد، والوعيد، والتبشير، والإنذار، والتربية الروحية، وتعليم الأخلاق الفاضلة، والتدريب على الملكات الراقية، ونيل السعادة العظمى.

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٦٥.

وأتبعهم علـى ذلك العلماء العاملون، كل ذلك ليسـتلفتوا النفس إلى الحقائق الروحية؛ لتكون هي الناهضة بالأعمال والمتقدمة على النزعة الجسمانية[١].

ويشير الشيخ «البلاغي» بقوله أنّ أعمال النفس تثبت وجودها المستقل ومزيتها الخاصة كالآتي:

١. «إنّ النفـس تدرك ذاتهـا، ومن الواضح أنهـا لا تقع تحت الحواس والآلات الجسمانية مطلقًا»[٢].

٢. «تدرك إدراكها الآلي والاسـتقلالي، ومـن الواضح أنّ ذات الإدراك لا يقع تحت الحواس والآلات الجسمانية.

٣. إدراكها ما ينقسم وما لا يتقسم.

نجد أنّ مبـدأ الإدراك وفاعله يدرك ما يقبل الانقسـام وما لا يقبله وعليه فلا يكون المدرك فاعل الإدراك جزءًا من الجسـد قابلًا للانقسام، فيتعين أن لا يكون المدرك جسمانيًا، ولا قوةً يتألف منها الجسـم أو ينحل إليها، بل لا بد من أن يكـون روحيًا منزهًا عن هذه الجسمانية ولوازمها.

٤. دود الحرير وأعمال النفس فيه»[٣].

إنّ دود القز والحرير في نشـأته وأطواره ومواليده المستمرة نراه في بعض المشاهد كيف تغادر نفسه جسده وتتركه فاقد الحياة قد

---

(١) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٦٥ و٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٦٧.

(٣) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٦٧ و٤٦٨.

استولت على عامة أعضائه آثار الموت وتغيرات الفناء، كالجمود والتقلص والذبول المشوه والمعدوم للصورة، فيظهر عليه ذلك بأجلى مظاهر الموت زمانًا، ثم تعود النفس إليه ليعود حيوانًا طريًا قويًا ذا هيأة جميلة، يفعل الأفعال العجيبة، ويخلف نسلًا تجري له نواميسه السالفة[١].

٥. أعمال النفس تثبت وجودها المستقل وميزتها الخاصة.

ونجد ذلك حينما نرى الإنسان ينام فيستولي السكون على جوارحه، وينقطع إحساسه وتفكيره وإرادته العاديات ثم يكون لنفسه من وراء ذلك أمور[٢]:

الأول: أنه يكون في حلمه يحس ويفكر ويريد ويتحرك، ويتكلم ويسمع ويرى، ويرتاح ويتألم، ويضحك ويبكي ويخاف، مع أنه لجوارح حسه عمل في ذلك، ولا لتفكيراته ومعلوماته وأمياله العاديات.

الثاني: أنه يرى في منامه أمورًا غيبيةً ليست مما يناله الحس أو أسباب العلم في اليقظة ويظهر مصداق ذلك بعد أيام، كما وقعت عليه التجارب الكثيرة.

إنّ حقيقة النفس لا تحوم حولها مشاعر الإنسان، ولا تدخل بجميع أحوالها وأطوارها في حدود إدراكه، ويجد أنها في بعض أحوالها تثبت للبديهة وجودها الروحاني ومزيتها وبعض مزاياها الاستقلالية، ومع ذلك يزعجها بعض الناس ويقلق العلم في أمرها[٣]

---

(١) المصدر نفسه، الصفحات من ٤٦٨ إلى ٤٦٩.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٤٧٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٧٣.

وفي قولـه تعالـى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[١]. إنّ اللّه سـبحانه هو العالم والمحيط بحقائـق الروح ومزاياها، وقوله تعالـى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]. وفـي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٣]، وفي هذه الآية يشير اللّه سبحانه وتعالى إلى مصير كل نفس جزاء ما عملـت من خير «مُحْضَرًا» بلا تسـويف ولا بُعد منال، بل هو حاضر أعده اللّه تكريمًا وتبجيلًا للمحسنين «وما عملت من سوء» أي وتجد جزاء ما عملته من سـوء محضرا، إهانةً لهـا وانتقامًا حال كون ذلك الجزاء من شدة هوله وآلامه وخزيه «تود لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدًا» والأمد بمعنى الغاية، والمراد هنا البعد المكاني؛ لئلا تروعها أهواله، وتقاسـي آلامه ومكارهه فإن البعد الزماني لا يجدي مع اليقين؛ فإن كل آت قريب، ومعنى «بينه» يعود إلى ذلك اليوم يوم القيامة. ففيه أن الآيـة إخبار عن حال كل نفس، وهل يخفـى أنّ كثيرًا من النفوس الزكية إذا وجدت ما عملت من خيـر محضرًا، تود لو أنّ يوم القيامة عجل لها من حين موتها؛ لكي تفوز بسعادتها، «ويحذركم اللّه نفسه واللّه رؤوف بالعباد» ومن رأفته تكراره للتحذير والإنذار والإرشاد إلى سبيل النجاة والسعادة، وهداه إلى الصراط المستقيم[٤].

وأما عن بقـاء النفس بعد المـوت فإنّ اللّه سـبحانه وتعالى:

---

(١) سورة **الإسراء**، الآية ٨٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ٢٩.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، آلاء الرحمن، الجزء ٢، الصفحتان ٥٠٧ و٥٠٨.

«قد عرفنا في كتابه المجيد أنّ النفوس تبقى بعد الموت على ما هي عليه من المقام النفساني، إما متمتعةً بمقام الكرامة وإما مبتلاةً بالهوان والسخط، وقرب لأفهامنا القاصرة حالة النفس بعد الموت وبقائها، بمقارنة حالتَيها في الموت والنوم»[1]، فقال جل اسمه ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾[3] فانتظم البيان ببقاء النفوس بعد الموت، هذه على كرامتها، وهذه على هوانها لذلك فالمعاد الروحاني هو الذي يقوم ببقاء النفس لفهمها العقلي[4].

ثالثًا: حكمة المعاد عند «البلاغي»

يرى «البلاغي» أنّ الاعتماد على حقيقة المعاد متقومًا بالإذعان لحكمة اللّه من أجل غناه ووجوب وجوده ولذلك قد أشار إلى بعض وجوه الحكمة في أنّ المعاد جسماني حين يقول: «مهما خفي من شيء فلا يخفى شدة ارتباط النفس بالجسم حال الحياة واتحادهما في الائتلاف والأنانية، يقول الإنسان: «أنا» مشيرًا إلى هيكله الحي بروحه وجسمه بإشارة وحدانية، بلا نظر إلى مائز في جهته

---

(١) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ١٣٥.

(٢) سورة **الزمر**، الآية ٤٢.

(٣) سورة **المؤمن**، الآيتان ٤٥ و٤٦.

(٤) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٨٩.

الجسـمانية أو الروحانية، ولشدة هذا الارتباط والاتحاد ترى الإنسان إذا أراد التعبير عـن أحد هذَين الأليفَين المتحدَيـن يُعبر عن أنانيته بالآخر، فتارةً يقول: «جسـمي»، وتارةً يقول: «نفسي» يجد أنّ ملاذه الروحاني ينتعش بها الجسـم والروح وكذا الملاذ الجسـمي، ويرى الآلام الجسمانية يتأثر بها الجسم والروح، وكذا الآلام الروحانية»[١].

ويتضح لنا أنّ نوع الإنسـان يعلم أنّ جسمه سوف تفارقه الحياة وتنفصل عنه الـروح، فيعود جمادًا يتلاعب به البلـى، ونرى أنّ نوع الإنسـان بحسـب طبعه الأولي، ومنهم من لا يذعـن بخلود النفس كيـف يحاذر في حياتـه على حال جسـمه فيما بعـد الموت مهما أمكنه، ويغار عليه مما يمس كرامتـه، ولا يهون عليه أن يكون معرّضًا للاسـتهانة والإهانة والاستهزاء وتناهب الوحوش له، ولا يستسلم إلا لما استسلم إليه نوع الإنسان كُرهًا[٢].

ولذلك نجد أنّ الإنسان يود تحسين قبره وقربه من أهله. وهذا هو الذي دفع المصريين، وكثيرًا من القدماء، وبعض من هو بعدهم إلى تعاطي التحنيط، وإيـداع الجثث في المحافظ المتينة والمواقع التي تدفع - يسيرًا - إسراع البلى[٣].

وهنالك بعضٌ من الناس نراه يوصـي بحرق جثته أو يرضى به، فإنمـا ذلك من مبادئ خيلت له أن في ذلك حفظًا لكرامتها ودفاعًا عـن ابتلائها بالمحاذير الكبيرة، كمن يرضـى بالعملية الجراحية دفعًا

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

لما هو أعظم منها من المحاذير المهددة لحياته[١].

إذن فإنّ غاية معاد الإنسان وآثاره ترتبط بما تقوم به أنانية الإنسان، تلك الأنانية التي تكون آثار المعاد عاقبةً لأعمالها، ومن ثَمَّ فإنّ الغاية الكريمة من المعاد، تلك الغاية التي تقوم بخلق الإنسان مختارًا في أعماله؛ لينال الغاية الحميدة في المعاد بابتهاج الأهلية وكرامة الاستحقاق والكمال والطهارة العملية الاختيارية، هذه الغاية اقتضت أن يعان نوع الإنسان على تحصيلها بترغيب البشرى وزاجر التهديد على أكمل الوجوه التي لا تسلب الاختيار، وهل يخفى أنّ أكمل الترغيب والزجر وأقربه إلى حصول الغاية، هو البشرى والتهديد بما يراه نوع الإنسان راجعًا إلى ما تقوم به أنانيته، التي يعرفها ويرغب في كرامتها ويكره مهانتها[٢].

إنَّ نوع الإنسان يرى أنانيته وهو يحافظ عليها وعلى كرامتها وهي التي تقوم بهيكله الحي، الذي يفرض تحليله بالتفهم العميق إلى جسم ونفس. فالأحرى بالحكمة واللطف وكمال الصدق، أن يرجع صدق الترغيب والزجر ومصداقهما إلى ما تقوم به الأنانية التي يعرفها نوع الإنسان، وأنّ كمال الكرامة وكمال الابتهاج بها إنما يحصلان باجتماع الكرامة المادية الجسمانية والكرامة الروحية، ولا ريب أنّ الأحرى بالرحمة والغاية لخلق الإنسان أن تجتمع له سعادة الكرامتَين وابتهاجه بهما[٣].

ومن جهة أخرى لم يصرّح أي كتاب إلهي بأنّ نعيم الصالحين

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٩٠ و٤٩١.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٩١.

يكون في الآخرة بنحو تقدس اللّه عن المادة وبنحو كماله الذاتي وغناه وأبديته ولكـن: «أليس من الممكن أن ينالوا من مواهب اللّه وأعمال قدرته سعادةً أبديةً تناسب جسمانيتهم بدون أن يستلبوا مقام جلال اللّه وقدسه ووجوب وجوده ويقاسـموه في ذلك؟ يا للعجب هذه المادة المقرونة بفقر الإمكان وتقلب الصور يسـمح لها بعض الناس أن تكـون أزليةً أبديةً من دون اعتماد علـى واجب الوجود القادر ولا يسمحون لها بالخلود بقدرة الإله الأبدي القادر واجب الوجود»[1].

وقـال تعالـى فـي كتابـه العزيـز: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

وقوله تعالـى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[3].

ولقد كان موقف الإلهيين في حقيقـة المعاد إنما هو في مقام بعد الخطوة الأولى، أعني الخطوة الأساسية، أساس المعارف الدينية والنور الذي يوقف الحقائـق بأجلى مظاهرها، ويدعم بنيانها بدعائم

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٤٩٢.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ٢٥.

(٣) سورة **الواقعة**، الآيات من ١٢ إلى ٢٦.

براهينه وحججه[1].

وأنّ «تلك خطوة العقل بدلائله الفطرية الأولية واعتباراته الحسية والوجدانية إلى اليقين بوجود الإله الخالق القادر، واجب الوجود، الغني العليم الحكيم، وأنه بقدرته وحكمته وعلمه يرسل الرسل الصادقين العارفين بوحيه؛ لكي يهدوا البشر إلى مناهج الصلاح ومواقف الحقائق، ويكونوا لعقول البشر بمنزلة النظارات المكبرة والمقربة، يجلون الحقائق بمجاليها»[2].

وقد جرت حكمة القرآن الكريم على كثرة بيانه لمجد النعيم الجسماني في الآخرة أداءً لحق الاستصلاح والترغيب في الصلاح بنحو يُشوق الفكرة النوعية البشرية إلى الهدى، ومع ذلك قد أعطي النعيم الروحي في الآخرة حقه من البشرى والترغيب به وبيان مجده الكبير بوجهته الحقيقية المطلوبة، في ذلك اليوم يرغب الإنسان في حفظ مقامه ومرتبته وشرفه وأن يوفّى حقه من التكريم والإجلال فبشر بذلك في الآية الكريمة[3]: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[4] فإنّ كلاً من أهل النعيم يوفي صاحبه حقه من الاحترام ويرضى كل منهم بمقدار حقه.

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٩٧.

(٤) سورة **الحجر**، الآية ٤٧.

رابعًا: المعاد في العهدَين عند البلاغي

نرى أهل الأديان لهم مقالات مختلفة مـن ناحية المعاد، فمنهم من ينكر المعاد بتاتًا كالصدوقيين من اليهود، ومنهم ينكر كونه جسـمانيًا ويجعل نعيم الآخرة وعقابها بنحو روحي عقلي، وفي الحقيقة أنّ دين الحق ما زال تتلاعب بأمته الأهواء والانقلابات الضلالية، فإنّ الأهواء مـا زالت تضل باضطرابهـا وانحرافها عن النهج المسـتقيم وحقائق الدين، حتى يكون المتداول منه بين تلك الأمة اسمًا مستعارًا لصورة مشوهة[1].

فإنّ «الصدوقيون من الأمة اليهودية سرت إليهم مبادئ أبيقورس اليوناني بسبب تتلمذ صاحب دعوتهم في فلسفة أبيقورس، فأنكروا خلـود النفس وبقاءهـا بعد الموت كمـا أنكروا القيامـة، بل أنكروا وجود الأرواح من ملائكة وشياطين، وقد ساعدهم على الابتداع في اليهوديـة أنّ التوراة الرائجة في عهد بدعتهم وانشـقاقهم من عموم الأمة لـم تبق فيها التقلبات ذكـرًا لقيامة الأموات ويـوم القيامة، لا في مقـام الوعيد والإنذار، ولا في مقام البشـرى بالجـزاء، ولا في مقام التعليم بالحقائق الدينية، نعم يوجد ذكر القيامة في بقية كتب العهد القديـم، ولكن الصدوقيين أنكروا انتسـاب هذه الكتب إلى النبوات»[2].

أما في شأن العهد الجديد والقيامة فقد تذكر الأناجيل أنّ هؤلاء الصدوقيين جاؤوا إلى المسيح وسألوه في أمر القيامة من الأموات،

---

(١) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحتان ٤٨١ و٤٨٢.

(٢) المصدر نفسه.

فاحتـج عليهم في أمرها كمـا في العدد الحـادي والثلاثين والثاني والثلاثيـن من الفصل الثاني والعشـرين مـن **إنجيل متـى**، والعدد السادس والعشرين والسـابع والعشرين من الفصل الثاني عشر من **إنجيل مرقس**، والعدد السابع والثلاثين والثامن والثلاثين من الفصل العشـرين من **إنجيل لوقـا**، حيث قال لهم المسـيح: «وأما من جهة الأموات أنهـم يقومون أفما قرأتم في كتاب موسـى في أمر العليقة كيف كلّمهُ اللّه قائلًا: أنا إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب ليس هو إله أموات بل إله أحياء؛ لأن الجميع عنده أحياء»[١].

ويقول «الشيخ البلاغي»: «ولا يخفى أنه كان وجه هذا الاحتجاج أنه ليس في العالم موت ولا أموات، كما يشـعر به قوله «لأن الجميع عنده أحياء» قلنا: هذا مخالـف لضرورة الوجدان والعهدَين، مع أنه بهـذا الوجه لا يدل على القيامة من المـوت، بل يدل على أنه ليس هناك أموات يقومون، بل الجميع عنده أحياء وهذا خلاف المدّعى، فيكون البرهان المخالف للضرورة غير منطبق على المدّعى»[٢].

ولذلـك «إذا كان الوجه فـي الاحتجاج هـو أنّ اللّه لا يكون إله أموات، وقد قـال: إنه إله إبراهيم، وإله إسـحاق، وإله يعقوب، فلا بد مِـنْ أن يكون ذلك باعتبار حياتهم بعد المـوت توجيهه أنّ المراد من الأموات هي أجسادهم المفارقة للأرواح، ومن الأحياء أجسادهم التي فيهـا أرواحهم، فلا يكـون اللّه إله أموات وأجسـاد خالية من الأرواح؛ لأنهـا جماد، فلا بد أن يكون القول بـأنّ اللّه إلههم إنما هو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٣، الصفحتان ٢٤٧ و٢٤٨.

باعتبار قيامهم مـن الموت وتلبس الروح بهـم لخروجهم حينئذ عن كونهم جمادًا»[١].

وخلاصة القول: لا نجد لهذا الاحتجاج ربطًا للمدّعى، وحاشـا للأنبياء أن يحتجوا بمثل هذه الحجج الواهية، ويا أسفاه على القيامة أن توقف أمرها على مثل هذه الحجة! ويا أسـفاه على توراة موسى إذ لا يوجد فيها من أمر القيامة ذكر حتى ألجأت الحاجة إلى التشبث بمثـل هذا! ويا لهفاه على قدس المسـيح إذ ينسـب له مثل هذه الاحتجاجات[٢].

ويذكر الشـيخ «البلاغي» عن وجود احتجاج علـى القيامة من الأموات وذلك في الفصل الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى من العدد الثاني عشر إلى الثاني والعشرين ومضمونه: «أنه كان في الكنيسة الأولى قوم يؤمنون بقيام المسيح من الموت وينكرون قيامة الأموات، وحاصل الاحتجاج عليهم هو أنـه إذا لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسـيح قد قام من الموت، وإذا لـم يكن قام من الموت فإيمانكم بقيامه من الموت باطلٌ، والتبشير بذلك باطل»[٣].

ويقول الشيخ «البلاغي» إنّ هذا الاحتجاج لا يصلح إلا أن يكون جدلًا لقوم مخصوصين، وهم الذين يؤمنون بما سـمعوا أفواهيًّا من أنّ المسيح مات وقام من الأموات، وماذا يجدي هذا الجدل مع من

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٢٤٩.

(٣) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الرحلة المدرسية، الجزء ٥، الصفحة ٤٨٣.

لا يؤمن بقيام المسيح من الموت ويراه كسائر البشر[١].

وفي عذاب البرزخ يذكر **إنجيل لوقا** عن كلام المسيح لتلميذه أنّ هناك غنيًا متنعمًا، وكان مسكينٌ واسمه (لعازر) وهو مبتلًى مطروح على باب الغني، فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ومات الغني أيضًا فدفن فرفع عينَيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد و(لعازر) في حضنه فنادى يا أبي يا إبراهيم ارحمني وأرسل (لعازر) ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب، فقال إبراهيم: إنك استوفيت خيراتك في حياتك واستوفى (لعازر) البلايا، فهو يتنعم وأنت تتعذب، إلى آخر القصة[٢].

ويشير «البلاغي» بقوله أنّ الأناجيل الثلاثة لم تتعرض لمثل هذا الكلام، فقط **إنجيل لوقا** الذي أعطى سببًا في عذاب الغني هو كونه استوفى خيراته في الدنيا، والسبب في نعيم لعازر أنه كان مُبتلًى في الدنيا»[٣].

ويقول «البلاغي» إنّ «الصحيح المعقول اللائق بتعليم النبي المرشد، هو أن يبين أنّ السبب في العذاب هو التمرد على اللّه بفعل الخطايا، والسبب في النعيم هو الصلاح وعمل الصالحات، فكم ترى من غني قضي حياته السعيدة في طاعة اللّه وعبادته والعدل والإحسان والأخلاق الفاضلة ووجوه الصلاح؟ وكم من فقير مُبتلًى قضى حياته بالمأثم والكفر والظلم والأخلاق الرديئة وأعمال

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٨٣ و٤٨٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٤٨٤.

الفساد وسوء الأثر؟ لقد كان حق التعليم النبوي الصحيح أن يُعلل سعادة لعازر بأعماله الصالحة وأخلاقه الفاضلة، ويُعلل عذاب الغني بشقائه في الدنيا وأخلاقه الرذيلة وتمرده على اللّه»[١].

ويقول الشيخ «البلاغي» إنّ التوراة الرائجة لم تذكر شيئًا عن القيامة، والآخرة، والثواب، والعقاب، حتى إنّ إهمال ذلك بالكلية في مقامات الوعد والوعيد، كاد أن يكون تعليمًا بأنه لا حقيقة لشيء من ذلك فإنك ترى التوراة الرائجة كثيرًا ما تصدت للترغيب والتخويف والوعد والوعيد، فلم تذكر في الوعد والترغيب إلا التنعم الدنيوي الفاني، كالاستعلاء على القبائل، والبركة في المزارع ونتاج البهائم والسلة والمعجنة وثمرة البطن، وما أشبه ذلك، ولم تذكر في الوعد والتخويف إلا نحو اللعنة، والابتلاء بالأمراض الرديئة والقحط والذلة[٢].

وأما ما جاء من قول المسيح: إن أبناء هذا الدهر يُزَوَّجون ويُزَوِّجون، ولكن الذين حسبوا أهلًا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزَوَّجون ولا يُزَوِّجون؛ إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا لأنهم مثل الملائكة، وهم أبناء اللّه إذ هم أبناء القيامة.

إنّ هذا الكلام متناقض لأنه ما معنى نسبة الموت إلى استطاعتهم؟ وما معنى كونهم مثل الملائكة؟ فإن كان ذلك بدعوى كونهم أرواحًا مجردةً، فهو إنكار للقيامة من الأموات والمعاد الجسماني، الذي عليه صريح العهد الجديد، وما معنى كون أبناء

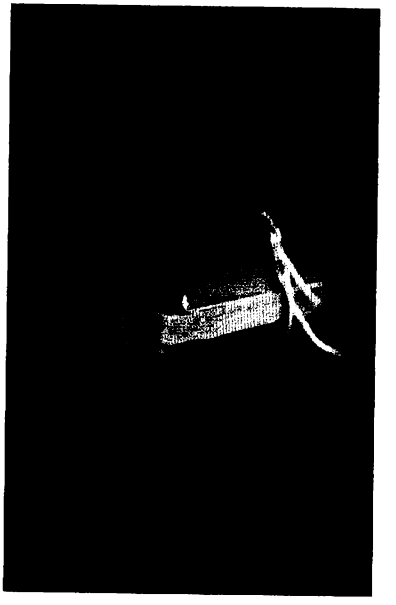
---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مركز إحياء التراث الإسلامي، **موسوعة العلامة البلاغي**، الهدى إلى دين المصطفى، الجزء ٤، الصفحة ٧٦٢.

القيامة أبنـــاء اللّه؟ فـــإن كان مضمونه أنّ غير الأبـــرار لا يقومون من الموت، كان ذلك مخالفًا لصراحة الأناجيل والعهد الجديد[١].

(١) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحتان ٢٤٦ و٢٤٧.



الخاتمة

يعدّ الشـيخ البلاغـي علمًا من أعلام الفكـر العقائدي الإمامـي بوجه خاص، والإسـلامي بوجه عـام، والرائد الأول في علم الأديـان المقارن، وذلك من خلال إنتاجه الفكري الغزير المعتمد على الأدلة العقلية والنقلية في نقد جميـع الأفكار التي كانت سـائدةً في عصره وهي الفكر الديني اليهودي والفكر الديني المسيحي.

لذلك فإنّ اكتشـاف هذه الطرق التي اعتمدها الشيخ البلاغي يسـهل على القـارئ الاطلاع على فكر الشـيخ البلاغـي وما قدمه للفكر العقائدي والإنسـاني من عطاء ثري يساهم في تطوير الحركة العلمية المعاصرة فضلًا عـن الاعتزاز به لما له من فكر متميزٍ، ولهذا يتوجب تفعيل هذا الفكر من خلال اعتماده في المناهج الدراسـية للدراسـات الأكاديمية في مراحلها المختلفة، ومن خلال إبراز رموز هذا الفكر بشـكل واضح بالاعتماد على عرض الفكر دون مواراة، أو ريبة، أو خوف، لأن هذه الطريقة سوف تعطي تجديدًا للفكر وتجعله في تطور مستمر ولا يقتصر على فئة معينة أو طائفة معينة، وهذا ما اعتمده الشيخ «البلاغي» من خلال ما بسطه على الساحة العلمية، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، يمكن إجمالها بالآتي:

أولًا: اعتمد الشيخ «البلاغي» على **القرآن** مصدرًا أساسيًا له في نقاشاته على اعتبار أنه ميزان الحق الذي يفصّل بين المتنازعين – على حد تعبيره – وهذا يمكن التماسه بصورة واضحة في أغلب كتبه وخصوصًا **الرحلة المدرسية** واعتماده على **القرآن الكريم** ليس بسبب كونه مسلمًا أو أنه يعتمد الفكر الإسلامي بوصفه عقيدةً، بل لأنَّ **القرآن الكريم** هو المصدر الوحيد الموثوق به في نظرهِ لأنه خالٍ من التحريف والتزييف والغلط والتناقض فضلًا عن اتساقه في ألفاظه ومعانيه وتواتر نقله في سنده ومتنه.

ثانيًا: اتخاذ الشيخ «البلاغي» المنهج المقارن في بعض الأحيان عندما حاول مقارنة النصوص في الكتب السماوية الثلاثة – **التوراة**، و**الإنجيل**، و**القرآن** – في موضوعات متعددة منها قصص الإله وقصص الأنبياء ليتوصل إلى أنّ **القرآن الكريم** هو الأولى والأحق بالاتباع لأنه يهدي إلى الحق، فضلًا عن دعوته للإنسان إلى الاستقراء عن كل الأديان ليصل إلى الحقيقة فيها ويأخذ إيمانه بالإسلام و**القرآن** عن طريق استقرائي عن كل الأديان ليصل إلى الحقيقة فيها ويأخذ إيمانه بالإسلام و**القرآن** عن طريق استقرائي لا عن طريق الوراثة والتقليد والاتباع للسلف، وهذا معناه الدعوة إلى اعتماد المنهج الاستقرائي في معرفة الدين الحق واتباعه.

ثالثًا: إنّ «البلاغي» يُعد رائدًا من رواد التقريب بين المذاهب وداعيةً من دعاة الوحدة الإسلامية، لما تضمنت مؤلفاته وآثاره وسيرته اعتمادًا على الفريقَين في الحديث والرواية وعرض آرائهم على الرغم من تعرضه لهم بالمناقشة فكان يرد على الرواية حين لا تنسجم مع قواعد علم الحديث ورؤيته العلمية دون أن ينظر إلى مصدرها ولو كانت من مصادره الخاصة.

رابعًا: تعرّض «البلاغي» بأسلوب علمي وروح دينية عالية للبدع

والأفكار الضالة المنحرفة التي ظهرت في أعقاب مرحلة الخمود الفكري بدعوى التجديد أو المسايرة العصرية أو التمرد على الجمود، فتصدى لها خير تصدٍ ووفّر للمسلمين حمايةً عقائديةً وفكريةً أمام هذه الانحرافات والبدع، إذ يُعدّ البلاغي حلقةً مهمةً من حلقات الإصلاح والتجديد، فقد دافع بقوة عن الإسلام ورد الشبهات من حيث أتت، مسفهًا البدع والأفكار المنحرفة وذلك بالحجة والدليل، وكان ذلك في كتاب **الرد على الوهابية**.

خامسًا: وظف «البلاغي» النتائج والاكتشافات العلمية في مفردات الكون والإنسان لترسيخ عقيدة التوحيد وخلق روح كبيرة تتسع لاستلهام الكون المخلوق بمفرداته الكلية ولتوفير حالة الاطمئنان التوحيدي، **فالقرآن الكريم** لا يعارض الإبداع العلمي، إذ الحقائق العلمية التي أثارها هي كليات يفسرها الاختراع كما في وصفه خلق الإنسان ووصفه الطبيعة كالبحار والجبال والسموات السبع والمدارات، فمثلًا أعضاء الإنسان، بعد أن يذكر البلاغي بفوائدها يقول مع أنها معدودة فإن اللّه سبحانه يصورها بقدرته وحكمته بحيث يمتاز البشر بها فيما بينهم وأما حكمة هذا التصوير وأسراره العجيبة فهو أعظم من أن يوصف.

سادسًا: وفي العدل الإلهي يستند البلاغي في مسألة تحسين الفعل أو تقبيحه إلى عقلانية الحسن والقبح، فهو يعتبرهما صفتان ثابتتان للفعل يدركهما العقل مهما اختلفت النفسيات واضطربت الأهواء.

سابعًا: ذكر البلاغي صفات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التي تساعد بحكم العقل والبداهة في إبراز الحجة على الناس ببيان كمال أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى لاتكون ثمة حجة تصدر على الركون إلى الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والإذعان بتصديقه والانقياد لتعاليمه، إذ التزم الشيخ «البلاغي» موضوع معرفة الوحي الإلهي الذي هو من المواضيع المقدمة عنده لأنه لايوجد دين من غير وحي، فالدين لا بد من أن يبدأ بالوحي، فأثبت الشيخ البلاغي أنّ الوحي قد نزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على مراحل متعددة وليس دفعةً واحدةً كما ادعى بعض كُتاب الكتاب المقدس من أمثال المتكلف والمتعرب وغيرهم ممن رد عليهم الشيخ البلاغي بحجج واضحة وبينة أثبت من خلالها نزول الوحي على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدة أربعين سنة وعلى بقية الأنبياء اللاحقين بفترات متفاوتة.

ثامنًا: لـ «البلاغي» مساجلات رائعة في مسألة الإمامة إذ ردّ على المنكرين للإمامة وأعطى الأدلة وقد حقق نتائج مهمة في إثبات الإمامة، وبين التناقضات العجيبة مما يكشف عن وجود يد العبث والتلاعب وراء مثل هذا الإنكار.

تاسعًا: وفي مسألة المعاد ذكر «البلاغي» أنّ من أكبر الدلائل على تحريف **التوراة** هو خلوها من أهم موضوع من المواضيع الدينية ألا وهي مسألة الآخرة، وإنكارها من اليهود جملةً وتفصيلًا، فلم تُذكر في **التوراة** ولم يتطرق إليها، فإنكار الآخرة والقيامة من الأمور المسلمة عند اليهود على حسب زعمهم، لأنهم شعب اللّه المختار الذي لا يعاقب ولا يحاسب وأنّ جميع البشر هم خدم لهم أو عبيد عندهم، ويذكر الشيخ البلاغي أنّ اليهود نتيجة ما اقترفوه من إثم وأفعال شنيعة أدت بهم إلى إيجاد طريقة تخلصهم من عذاب الضمير والنفس فضلًا عن محاسبة الناس لها بالدنيا، فقالوا بإنكار الآخرة والحساب لكي يحصلوا على الراحة النفسية عندما يقومون بالأفعال الشنيعة والمعاصي والتخلص من الحساب الدنيوي على اعتبار

أنهم شعب اللّه المختار والناس عبيد عندهم فهم لا يُحاسبون.

عاشرًا: كشف البحث عن أثر علماء المسلمين عامةً وعلماء النجف بالأخص في تطوير الدرس العقائدي بمنهج علمي رصين مؤسسًا للدرس العقائدي المقارن.

وبعد لا أدعي لعملي الكمال فالكمال للّه وحده ومن اللّه التوفيق.

- **القرآن الكريم**.
- أبو الحسن إسماعيل بن علي الأشعري (توفي ٣٢٤هـ/٩٣٥م)، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق د. فوقية حسين محمود، (القاهرة: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد سالم هاشم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- خير الدين بن محمود الزركلي، **إتمام الأعلام**، تحقيق نزار أباظة ومحمد رياض المالح، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م).
- السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، **الاجازة الكبيرة**، إعداد محمد السمامي الحائري، (قم: مكتبة آية اللّه المرعشي النجفي، ١٤١٤هـ).
- أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، **الاحتجاج**، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).
- السيد نور اللّه الحسيني المرعشي التستري، **إحقاق الحق وإزهاق الباطل**، إعداد السيد شهاب الدين المرعشي، (قم: مكتبة آية اللّه

المرعشي النجفي، ١٤٠٩هـ).

- علي بن محمد الآمدي، **الأحكام في أصول الأحكام**، تعليق العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، (بيروت: مؤسسة النور، ١٤٠٢هـ).
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (توفي ٥٠٥هـ/١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، صُحّح بإشراف عبد العزيز عز الدين السيروان، (بيروت: دار القلم).
- المفيد محمد بن محمد البغدادي (٣٣٦-٤١٣هـ)، **الاختصاص**، تحقيق علي أكبر الغفاري، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين).
- محمد بن علي الشوكاني (توفي ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، **أدب الطلب ومنتهى الإرب**، تحقيق ودراسة عبد اللّه السريحي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، الطبعة ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- أحمد حازم يحيى المشهداني، **آراء الإمام البيهقي في العقيدة**، (بغداد: الجامعة الاسلامية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- الدكتور الحاج محمد وصفي، **الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل**، مراجعة بسام عبد الوهاب الجابي، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- مقداد بن عبد اللّه السيوري (توفي ٨٢٦هـ)، **إرشاد الطالبين**، (قم: مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٥هـ).
- أبو المعالي عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف الجويني (توفي ٤٧٨هـ)، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق وتعليق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، (مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٥٠م).



- طه جبر العلواني، **الأزمة الفكرية المعاصرة**، من سلسلة المحاضرات عن الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، (الرياض: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (توفي ٤٦٨هـ)، **أسباب النزول**، (بيروت: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة ١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).
- يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البرّ (٣٦٨/٤٦٣هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر).
- ابن الأثير الجزري علي بن محمد (٥٥٥/٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ).
- محمد حسين كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).
- أبو منصور عبد القادر بن طاهر التميمي البغدادي (توفي ٤٢٩هـ)، **أصول الدين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- سماحة آية اللّه العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري، **أصول الدين**، (قم: دار البشير، مطبعة ظهور).
- د. رشدي عليان، وقحطان الدوري، **أصول الدين الإسلامي**، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- السيد مجتبى الموسوي اللاري، **أصول العقائد في الإسلام**، تعريب محمد هادي اليوسفي الغروي، (قم: نشر مركز الثقافة الإسلامية في العالم، مطبعة الهادي، ١٤١١هـ).
- حمزة حسين عبيد، **الأصول العقائدية المشتركة بين المذاهب**

الإسلامية، (بغداد: كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٦م).

- السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، **أصول العقيدة**، (القاهرة: مطبعة فاضل، نشر دار الهلال، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- رحمة اللّه بن خليل الرحمن الهندي (توفي ١٣٠٨هـ)، **إظهار الحق**، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- أحمد بن الحسين البيهقي (توفي ٤٥٨هـ)، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٤٠١هـ).
- الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (توفي٣٨١هـ)، **الاعتقادات**، ١٣٧١هـ.
- محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (توفي ١١١١هـ)، **الاعتقادات**، ترجمة الشيخ مهدي بور، (أصفهان: ١٤١٥هـ).
- المفيد محمد بن محمد البغدادي (٣٣٦-٤١٣هـ)، **تصحيح اعتقادات الإمامية**، تحقيق حسن دركاهي، (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٣١٧هـ).
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (توفي ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **إعجاز القرآن**، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٤م).
- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (توفي ٥٤٨هـ)، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، (قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ).
- خير الدين بن محمود الزركلي (١٣١٠/١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م).

- محسن الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٤/١٣٧١هـ)، **أعيان الشيعة**، إعداد: السيد حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ).
- أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (توفي ٥٠٥هـ)، **الاقتصاد في الاعتقاد**، (مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٢م).
- حسن محمد مكي العاملي، **الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل- المحاضر العلامة الفقيه آية الله جعفر السبحاني-** (قم: مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ١٤٢٦هـ).
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥/٤٦٠هـ)، **الأمالي**، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (قم: دار الثقافة، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ).
- حامد درع عبد الرحمن الجميلي، **الإمام الغزالي وآراؤه الكلامية**، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية، إشراف عبد الكريم سلمان، (بغداد: جامعة بغداد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- السيد محمد باقر الحكيم، **الإمامة وأهل البيت - النظرية والاستدلال**، (بيروت: المركز الإسلامي المعاصر للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- عبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦/٥٦٢هـ)، **الأنساب**، تحقيق عبد اللّه بن عمر البارودي، (بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ).
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (توفي ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به في علم الكلام**، تحقيق عماد الدين حيدر، (بيروت: عالم الكتب ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

- أبو سعيد عبد اللّه بن عمر بن محمد البيضاوي (توفي ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٠هـ/١٩٨٧م).
- المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم أبي عبد اللّه العكبري، البغدادي (٣٣٦/٤١٣هـ)، **أوائل المقالات**، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (توفي ١١١١هـ)، **بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- جواد علي كسار، **بحث حول الإمامة - حوار مع السيد كمال الحيدري**، (بيروت: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ).
- محمد رضا المظفر، **بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية**، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- حسن مكي العاملي الهاشمي المطلبي، **بداية المعرفة (منهجية حديثة في علم الكلام)**، (بغداد: دار المغرب للطباعة والنشر، ١٤١١هـ).
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **براهين وأدلة إيمانية**، (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- السيد هاشم البحراني (توفي١١٠٧هـ)، **البرهان في تفسير القرآن - تفسير البرهان**، (قم: إسماعيليان، ط٢، ١٣٩٤هـ).
- أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (توفي ٢٩٠هـ)، **بصائر الدرجات الكبرى**، (طهران: منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ).
- علي رمضان الأوسي، **البلاغي مفسرًا**، المؤتمر العالمي للعلامة

البلاغي، (قم: مركز العلوم والثقافة الاسلامية، مطبعة الباقري، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

- تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، **البلد الأمين والدرع الحصين**، قدم له وعلق عليه علاء الدين الأعلمي، (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧).
- محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (توفي ٦٥٨هـ)، **البيان في أخبار صاحب الزمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تحقيق محمد هادي الأميني، (طهران: دار إحياء تراث أهل البيت، ١٤٠٤هـ).
- أبو القاسم الموسوي الخوئي (١٣١٧/١٤١٣هـ)، **البيان في تفسير القرآن**، (طهران: أنوار الهدى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- محمد باقر بن محمد حسين الشريعتي الأصفهاني، **البيان في عقائد الإيمان**.
- الشيخ منصور علي ناصف، **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، (بيروت: طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ).
- السيد محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (توفي ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (توفي ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصفهاني (توفي ٤٣٠هـ)، **تاريخ أصبهان**، تحقيق سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).
- الخطيب أحمد بن علي البغدادي (توفي ٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد أو**

مدينة السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية).

- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة اللّه بن عبد اللّه ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق علي شيري، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (توفي ٤٦٠هـ)، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب العاملي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٢٠٩هـ).
- محمد خير رمضان يوسف، **تتمّة الأعلام**، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨هـ).
- محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، (مصر: دار الصحوة، ودار النصر للطباعة الاسلامية).
- إبراهيم بن محمد البيجوري (توفي١٢٧٧هـ)، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- عبد اللّه الغريفي، **التشيع (نشوؤه، مراحله، مقوماته)**، (بيروت: دار الثقلَين، ١٩٩٤م).
- علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠- ٨١٦هـ)، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (توفي ٩٥١هـ)، **تفسير أبي السعود**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ١، ١٩٨٣م).
- المحقق سماحة آية اللّه أبو محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري، **تفسير البصائر**، (طهران: مطبعة باقري، الطبعة ١، ١٤١٨هـ).
- محمد بن عمر الخطيب فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ)، **تفسير**

الرازي، المشتهر بـ **(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٣).

- أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش، **تفسير العياشي**، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (توفي ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، (بيروت: دار الأندلس، الطبعة ٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (توفي ٦٧١هـ)، **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م).
- علي بن إبراهيم، **تفسير القمي**، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، (قم: مؤسسة دار الكتاب، الطبعة ٣، ١٤٠٤هـ).
- محمد جواد مغنية، **التفسير الكاشف**، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ٣، ١٩٨١م).
- جار اللّه الزمخشري (توفي ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (قم: أدب الحوزة).
- محمد حسين الطباطبائي (توفي ١٩٨١م)، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم: مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، الطبعة ١، ٢٠٠٤م).
- الدكتور عبد العزيز حاجي، **تفسير آيات العقيدة**، (القاهرة: دار الصابوني، الطبعة ١ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- أبو الفضل محمود الآلوسي (توفي ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، **تفسير روح**

المعاني (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

- جون لابوم، **تفصيل آيات القرآن الحكيم**، تعريب: محمد فؤاد، (بيروت: طبعة دار الكتاب العربي).
- أبو بكر محمد بن الطيب (توفي ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- محمد هادي معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، (قم: انتشارات إسلامي، الطبعة ٢).
- محمد بن الحسن الطوسي (توفي ٤٦٠هـ)، **تهذيب الأحكام**، (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٤).
- عدنان علي كرموش الفراجي، **التوافق بين الأشعرية والسلف في العقيدة**، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور محمد رمضان عبد اللّه، (بغداد: كلية أصول الدين، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- االصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (توفي ٣٨١هـ)، **التوحيد**، تصحيح السيد هاشم الحسيني الطهراني، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي ١٣٩٨هـ).
- السيد كمال الحيدري، **التوحيد (بحوث في مراتبه ومعطياته)**، تقرير جواد علي كسار، (قم: منشورات دار فراقد، الطبعة ٥، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- آية اللّه الشيخ محمد باقر الملكي، **توحيد الإمامية**، (طهران: مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة ١، ١٤١٥هـ).

- الشيخ جعفر السبحاني، **التوحيد والشرك في القرآن الكريم**، (قم: مؤسسة الإمام الصادق، ١٤١٦هـ).
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (توفي ٣٢١هـ/٩٣٣م)، **جمهرة اللغة**، (بيوت: دار صادر).
- أبو علي أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي (توفي ٥٤٨هـ)، **جوامع الجامع**، تحقيق أبو القاسم الكرجي، (قم: مديرية الحوزة العلمية، الطبعة ٢، ١٤٠٩هـ).
- نور الدين علي بن عبد اللّه السمهودي (توفي ٩١١هـ)، **جواهر العقدَين**، تحقيق مصطفى عبد القادر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- الشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (توفي ١٢٦٦هـ)، **جواهر الكلام في شرح شرائع الأحكام**، تحقيق الشيخ عباس القوجاني، (طهران: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة ٣، ١٣٦٧هـ).
- محمد بن أحمد بن عرفة المالكي الدسوقي (١٢٣٠هـ/١٨١٤م)، **حاشية على أم البراهين**، (القاهرة: المطبعة الازهرية المصرية، ط١، ١٣١٣هـ).
- عبد اللّه شبر، **حق اليقين في معرفة أصول الدين**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).
- محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (توفي ١١١١هـ)، **حقيقة عالم الموت (من وقت البعث والنشور إلى المحشر وأحوال القيامة)**، تحقيق

محسن عقيل، (قم: منشورات ذوي القربى، مطبعة ستاره، الطبعة ١، ١٣٨٦هـ).

- أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصفهاني (توفي ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- محمد حسين فضل اللّه، **الحوار في القرآن (قواعده - أساليبه - معطياته)**، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، الطبعة ٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- طالب عويد الشمري، **الحواميم السبع - دراسة تحليلية فنية**، (بغداد: مطبعة الصنوبر، دار الكتب والوثائق، منشورات ديوان الوقف الشيعي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- محمد عبد اللطيف الفرفور، **خصائص الفكر الإسلامي**، (دمشق: دار الإمام الأوزاعي، طبع المكتبة التعاونية).
- فارس كريم فهد، **الخطابي وآراؤه الكلامية**، إشراف الدكتور عبد الستار حامد الدباغ، (بغداد: جامعة بغداد، كلية أصول الدين، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)، **الخلاف**، (قم: المطبعة العلمية، الطبعة ١، ١٤٠٣هـ).
- حسن الأمين، **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، الطبعة ٢، ١٣٩٣هـ).
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الدر المنثور في التفسير المأثور**، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- محمد حسين عبد اللّه، **دراسات في الفكر الإسلامي**، (الأردن: دار البيارق، الطبعة ١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- عبد المجيد النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- محب الدين أحمد بن عبد اللّه الطبري (٦١٥-٦٩٤هـ)، **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، تحقيق أكرم البوشي، (جدة: مكتبة الصحابة، القاهرة: مكتبة التابعين، ١٤١٥هـ).
- محمد محسن آغابزرك الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩هـ)، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، (بيروت: دار الأضواء، الطبعة ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- كمال الحيدري، **الراسخون في العلم**، تقرير: الشيخ خليل رزق، (قم: منشورات دار فرقد، مطبعة ستاره، الطبعة ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- أبو العباس أحمد بن علي النجاشي، **رجال النجاشي**، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة ٥، ١٤١٦هـ).
- ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (توفي ٧٢٨هـ)، **الرد على المنطقيين**، (بيروت: دار المعرفة).
- الإمام الشهيد حسن البنا، **رسالة العقائد، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، (القاهرة: مطبعة المنار).
- الميرزا محمد علي بن محمد طاهر المدرس التبريزي (١٢٩٦-١٣٧٣هـ)، **ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب**، (تبريز: مكتبة الخيام، الطبعة ٣).
- آية اللّه السيد عبد الحسين دستغيب، **سلسلة أصول الدين**، (قم: مؤسسة دار الكتاب الجزائري، مطبعة الشريعة، الطبعة ٣،

١٤٢٧هـ).

- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**، (دمشق: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- أبو عبد اللّه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧- ٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار إحياء السنة النبوية).
- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، **سنن البيهقي**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- أبو محمد عبد اللّه بن بهرام الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ)، **سنن الدارمي**، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م).
- أبو عبد اللّه أحمد بن شعيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ)، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩١م).
- عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف الجويني (توفي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، **الشامل في أصول الدين**، تحقيق عبد اللّه محمود محمد عمر،

(بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (توفي ٤١٥هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- ابن أبي العز صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الحنفي الأوزاعي الدمشقي (توفي ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (توفي ٧٩١هـ)، **شرح المقاصد**، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، تصدير الشيخ صالح مرسي شرف، (بيروت: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي (توفي ٧٥٦)، **شرح المواقف**، شرحه علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (توفي ٨١٦هـ)، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).
- عبد الملك عبد الرحمن السعدي، **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية**، (بغداد: دار الأنبار، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- عبد الله بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (٥٨٦-٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (توفي ٣٨٤-٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،

(بيروت: دار الكتب العلمية).

- علي الخاقاني (توفي ١٣٩٨هـ)، **شعراء الغري (النجفيات)**، (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).
- عبد اللّه برك عوض بالطيور، **الشوكاني وجهوده في علم الكلام**، إشراف الدكتور عماد إسماعيل خليل النعيمي، (بغداد: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البُغا، (بيروت: دار إبن كثير اليمامة، الطبعة ٥، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- أحمد بن حجر الهيثمي، **الصواعق المحرقة**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (مصر: مكتبة القاهرة، الطبعة ٢، ١٣٨٥هـ).
- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة ٧، ١٩٣٥م).
- علي رمضان الأوسي، **الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان**، (طهران: الطبعة ١، ١٩٨٥م).
- الشيخ محمد السماوي (١٢٩٢-١٣٧٠هـ)، **الطليعة من شعراء الشيعة**، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار المؤرخ العربي، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- علاء الدين المدرس، **الظاهرة القرآنية والعقل**، (بغداد: مطبعة العاني، الطبعة ١، ١٩٨٦م).



- عبـاس محمود العقـاد، **عبقرية الإمـام**، (صيدا: مؤسسـة عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية).
- مرتضـى المطهـري، **العـدل الإلهي**، ترجمـة: محمد عبـد المنعم الخاقاني (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، (بيروت: الدر الإسلامية، الطبعة ١).
- جـلال الديـن عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـر السـيوطي (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **العـرف الـوردي في أخبـار المهدي (ضمـن الحاوي للفتاوي)**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ).
- السـيد كمال الحيدري، **عصمة الأنبياء فـي القـرآن**، تقرير: محمود نعمة الجياشـي، (قم: مؤسسـة الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ، الطبعة ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- سماحة العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني، **عصمة الأنبياء في القرآن الكريم**، (قم: مؤسسـة الإمام الصـادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، الطبعة ٢، ١٤٢٠هـ).
- سابق السيد، **العقائد الإسـلامية**، (بغداد: منشورات مكتبة التحرير، مطبعة دار الشؤون الثقافية ١٩٨٩م).
- علي الحسـيني الصدر، **العقائد الحقة**، (بيروت: دار العلوم، الطبعة ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- آية اللّه العظمى مكارم الشـيرازي، **عقائدنا**، (بيـروت: دار المحجة البيضاء، الطبعة ١، ١٤٢٤هـ).
- طـارق محمد علـي، **عقائدنا ١**، النجـف الأشـرف: (دون طبعة)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي (توفي ٦٨٥هـ)، **عقـد الدرر فـي أخبـار المنتظر**، تحقيق عبـد الفتاح محمد

الحلو، (القاهرة: مكتبة دار الفكر، الطبعة ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- سماحة العلامة المحقق جعفر السبحاني، **العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت**، تقرير جعفر الهادي، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، الطبعة ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (توفي ٣٨١هـ)، **علل الشرائع**، (طرطوس: مؤسسة دار الحجة للثقافة، ط١، ١٤١٦هـ).
- الفيض الكاشاني، **العلم (التفكر- العلم- العقائد)**، (بيروت: دار المحجة البيضاء، الطبعة ١، ١٤٢٦هـ).
- شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين الأسدي، ابن البطريق (٥٢٣-٦٠٠هـ)، **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار**، تحقيق الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة ٣، ١٤١٢هـ).
- الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (توفي ٣٨١هـ)، **عيون أخبار الرضا** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تصحيح الشيخ حسين الأعلمي، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠-١٣٩٠هـ)، **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، (قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- الشيخ ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني، **الغيبة**، تحقيق علي أكبر الغفاري، (طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٩٧هـ).
- محمد بن علي محمد الشوكاني (توفي ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- عيسى بن عبد اللّه بن مانع الحميري، **الفتح المبين في براءة الموحدين من عقائد المشبهين**، (القاهرة: دار السلام، الطبعة ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني (٦٤٤-٧٣٠هـ)، **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والأئمة من ذريتهم**، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، (بيروت: مؤسسة المحمودي، الطبعة ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- إبن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١٦هـ).
- ابن الصباغ علي بن محمد بن أحمد المالكي (٧٨٤-٨٥٥هـ)، **الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- عبد الرحمن الجزيري، **الفقه على المذاهب الأربعة**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ١).
- مصطفى حلمي، **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث**، (الإسكندرية: دار الدعوة، الطبعة ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- د. محمد حسين علي الصغير، **الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية**، (بيروت: دار المحجة البيضاء، الطبعة ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- أ.د. نعمة محمد إبراهيم، **الفلسفة الإسلامية (مدخل إلى علم الكلام الإسلامي) - دراسات في الفرق الإسلامية**، (النجف الأشرف: مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).
- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٧، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

- محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢-١٠٢٩هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ٢، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م).
- سليمان مظهر، **قصة العقائد (بين الأرض والسماء)**، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).
- أحمد بن محمد الثعلبي (توفي ٤٢٧هـ)، **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).
- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (توفي ٣٢٩هـ)، **الكافي**، تحقيق علي أكبر الغفاري، (بيروت: دار التعارف، الطبعة٤، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، الطبعة ٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٣٩٠هـ).
- مصطفى بن عبد اللّه المعروف بحاجي خليفة وكاتب جلبي (١٠١٧-١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (توفي ٦٩٢هـ)، **كشف الغمة في معرفة الأئمة**، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، شرح جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الشهير بالعلامة الحلي (٦٤٨- ٧٢٦هـ) تعليق إبراهيم الزنجاني، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة ١، ١٩٧٩م).
- الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي (توفي ٦٥٨هـ)، **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تحقيق محمد هادي الأميني، (النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية،



الطبعة ٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي (توفي ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، **الكليات**، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- أبـو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (توفي ٣٨١هـ)، **كمال الديـن وتمام النعمة**، (النجف الأشـرف: المطبعـة الحيدرية، ١٣٨٩هـ).
- علاء الدين علـي المتقي الهنـدي (٨٨٨-٩٧٥هـ)، **كنـز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، إعداد: بكري حياني وصفوة السقا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة ٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الشـيخ عباس بن محمـد رضـا القمـي (١٢٩٤-١٣٥٩هـ)، **الكنى والألقاب**، (طهران: مكتبة الصدر، الطبعة ٥، ١٣٦٨).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (توفي ٧١١هـ)، **لسـان العـرب**، (قم: نشـر أدب الحوزة، الطبعة ٢، ١٤٠٥هـ).
- أبو الحسـن علي بن إسـماعيل الأشـعري (توفي ٣٢٤هـ/٩٣٥م)، **اللمع في الـرد على أهل الزيغ والبدع**، تحقيـق محمد أمين الضاوي، (بيروت: دار الكتب العربية، الطبعة ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- أبـو الوليد محمد بـن أحمد بن أحمـد بن رشـد القرطبي (توفي ٥٢٠هـ)، **ما بعد الطبيعة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٤٨م).
- الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (حوالي ١٣١٤-١٣٧٧هـ)، **ماضي النجف وحاضرها**، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- عبد الوهـاب الصافي، «حيـاة الشـيخ البلاغي ونسـبه»، مجلة

الاعتدال، العدد ١، السنة الثانية، ربيع الاول، ١٣٥٣هـ.

- مجلة **العرفان**، «مجلة علمية آدبية شهرية كانت تصدر في صيدا – لبنان، سنة (١٣٦٧هـ/١٣٦٨هـ)، وطبعت ترجمتها في مجلة دعوة إسلامية في سنة (١٣٤٨هـ) في سنتها الثالثة.
- رضا استادي، «جوانب من حياة المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي»، مجلة **دراسات وبحوث**، العدد ٧، (طهران، إيران: رجب ١٤٠٣هـ).
- علي رمضان الأوسي، «منهج التفسير عند الشيخ البلاغي»، مجلة **قضايا إسلامية**، العدد ٢، (قم، إيران: ١٩٩٥م).
- الشيخ فخر الدين بن محمد الطريحي (٩٧٩-١٠٨٧هـ)، **مجمع البحرين ومطلع النيرين**، تحقيق السيد أحمد الحسيني، (طهران: المكتبة المرتضوية، الطبعة ٢، ١٣٦٥هـ).
- أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (توفي ٥٤٨هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق لجنة من العلماء، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (توفي ٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة ٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (توفي ٢٧٤هـ)، **المحاسن**، تحقيق السيد مهدي الرجائي، (قم: المجمع العالمي لأهل البيت، الطبعة ٢، ١٤١٦هـ).
- العلامة المحقق آية اللّه الشيخ جعفر السبحاني، **محاضرات في الإلهيات**، تلخيص الأستاذ المحقق علي الرباني، (قم: مؤسسة



الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام، الطبعة ١١، ١٤٢٨هـ).

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- الدكتور عثمان جمعة ضميرية، **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، (جدة: مكتبة السوادي، الطبعة ٣، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الدكتور عبد الرحمن بدوي، **مذاهب الإسلاميين**، (بيروت: مطبعة دار العلم للملايين، الطبعة ٢، ١٩٧٩م).
- **مذكرات في الثقافة الإسلامية**، منشورات جامعة الكويت، ١٩٨١م.
- أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه المعروف بالحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٣هـ)، **المستدرك على الصحيحَين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (٢١٠-٣٠٧هـ)، **مسند أبي يعلى**، تحقيق حسين سليم أحمد، (دمشق: دار المأمون للتراث، الطبعة ٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ)، **مسند أحمد**، (بيروت: دار الفكر).
- أحمد بن عمرو البزار (٢١٠- ٢٩٢هـ)، **مسند البزار (البحر الزخّار)**، تحقيق محفوظ الرحمن زين اللّه، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ).
- هيثم بن كليب (توفي ٣٣٥هـ)، **مسند الشاشي**، تحقيق محفوظ الرحمن زين اللّه، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠هـ).
- محمد بن عبد اللّه الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**،

تحقيق سعيد محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

- محمد علي جعفر التميمي (توفي ١٩١٩م)، **مشهد الإمام أو مدينة النجف**، النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).
- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٤٣٣-٥١٦هـ)، **مصابيح السنّة**، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- السيد علي الموسوي البهبهاني، **مصباح الهداية في إثبات الولاية**، (الكويت: مكتبة الألفين، الطبعة ١، ١٩٩٩م).
- مرتضى العسكري، **المصطلحات الإسلامية**، جمع: سليم الحسني، (بغداد: كلية أصول الدين، الطبعة ١، ١٩٩٨م).
- عبد اللّه بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (١٥٩-٢٣٥هـ)، **مصنف ابن أبي شيبة (في الأحاديث والآثار)**، تحقيق سعيد محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- الشيخ محمد حرز الدين النجفي (١٢٧٣-١٣٦٥هـ)، **معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء**، تعليق محمد حسين حرز الدين، (قم: مكتبة آية اللّه المرعشي النجفي، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ).
- أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (توفي ٥١٦ هـ)، **معالم التنزيل في التفسير والتأويل (تفسير البغوي)**، إعداد خالد عبد الرحمن ومروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (توفي ٣٨١هـ)، **معاني الأخبار**، تحقيق علي أكبر الغفاري، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي،

١٣٦١هـ).

- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٩٨٨م).
- **معجم أحاديث الإمام المهدي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم: الطبعة ١، ١٤١١هـ).
- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤-٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م).
- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠- ٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- عمر رضا كحالة (توفي ١٤٠٨هـ)، **معجم المؤلفين**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، (لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية،الطبعة ٣، ١٩٨٨م).
- محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط** (معجم اللغة العربية)، (استانبول، المكتبة الإسلامية، استانبول، الطبعة ٢).
- محمد هادي الأميني، **معجم رجال الفكر والأدب في النجف**، (القاهرة: الطبعة ٢، ١٩٩٢م).
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (توفي ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٣٧١هـ).

- العلامة جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، تحقيق جعفر الهادي، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، الطبعة ٢، ١٤٢٥هـ).
- محمد جواد الحسيني العاملي (توفي ١٢٢٧هـ)، **مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة**، (قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة ٢).
- أبو القاسم الحسين بن أحمد الراغب الأصفهاني (توفي ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (طهران: المكتبة المرتضوية، الطبعة ١).
- القاضي عبد الجبار بن أحمد خليل بن عبد اللّه الملقب بالقاضي (توفي ٤١٥هـ/١٠٢٤م)، **المقتصد في أصول الدين**، (مصر، ١٩٧١م).
- سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (توفي ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، **الملحة في اعتقاد أهل الحق**، تحقيق إياد خالد الطباع، (دمشق: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤٠٤هـ).
- محمد تقي المدرسي، **من هدى القرآن**، (طهران: دار محبي الحسين، الطبعة ١، ١٩٩٨م).
- محمد حسين فضل اللّه، **من وحي القرآن**، (بيروت: دار الملاك، الطبعة ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (توفي ٥٨٨هـ)، **مناقب آل أبي طالب (مناقب ابن شهر آشوب)**، تحقيق يوسف البقاعي، (بيروت: دار الأضواء، الطبعة ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي، الشهير بابن المغازلي (توفي ٤٨٣هـ)، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تحقيق محمد باقر البهبودي، (بيروت: دار الأضواء، الطبعة ٢، ١٤١٢ه-١٩٩٢م).
- موفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (توفي ٥٦٨هـ)، **مناقب الإمام علي** عَلَيْهِ السَّلَامُ، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة ٢، ١٤١٤هـ).
- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٣).
- ملا علي بن سلطان القارئ، **منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر - أبو حنيفة النعمان**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (توفي ٧٢٨هـ)، **منهاج السنّة النبوية**، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض: دار أحُد).
- الصاوي الجويني، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم**، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٩م).
- ثائر عباس هويدي النصراوي، **منهج الشيخ البلاغي في نقد الفكر الديني اليهودي (دراسة فلسفية)**، إشراف حمزة جابر سلطان الأسدي، (الكوفة: جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- جواد علي كسار، **المنهج العقائدي في تفسير القرآن (حوار مع السيد كمال الحيدري)**، (قم: دار فراقد، مطبعة ستاره، الطبعة ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- عبد الأعلى الموسوي السبزواري (توفي ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، **مواهب**

الرحمن في تفسير القرآن، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٨٤م).

- داود العطار، **موجز علوم القرآن**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة ٢، ١٩٧٩م).
- محمد الريشهري، **موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة المعرفة**، تحقيق مركز بحوث دار الحديث، (قم المقدسة: دار الحديث، الطبعة ١، ١٤٢٥هـ).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن**، تحقيق لطيف فرادي وعباس محمدي، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى**، تحقيق محمد الحسون، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرسائل الكلامية، أعاجيب الأكاذيب**، تحقيق محمد الحسون، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي - الرسائل الكلامية، البلاغ المبين**، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)،

موسوعة العلامة البلاغي - الرسائل الكلامية، التوحيد والتثليث، تحقيق محمد الحسون، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرسائل الكلامية، الرد على الوهابية**، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرسائل الكلامية، أنوار الهدى**، تحقيق أسعد الطيب، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي - الرسائل الكلامية، دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى**، تحقيق السيد محمد عبد الحكيم، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرسائل الكلامية، نسمات الهدى ونفحات المهدي**، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الرسائل الكلامية، نصائح الهدى**، تحقيق السيد محمد علي الحكيم، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي،

(قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى**، تحقيق أسعد الطيب، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، رسائل متفرقة**، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- السيد منذر الحكيم ومحمد الحسون، **موسوعة العلامة البلاغي، المدخل (حياة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، عصره، حياته، مختارات من ترجمته)**، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبي (توفي ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البيجاوي، (بيروت: دار المعرفة).

- مقداد بن عبد اللّه السيوري الحلي (توفي ٨٢٦هـ)، **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، (بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر).

- حيدر الآملي، **نص النصوص في شرح فصوص الحكم**، تصحيح: هنري كوربان وعثمان إسماعيل يحيى، (طهران: ١٩٧٤م).

- الشيخ محمد محسن آغابزرك الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩هـ)، **نص النصوص في شرح فصوص الحكم**، (مشهد المقدسة: دار

المرتضى، الطبعة ٢، ١٤٠٤هـ).

- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، (بغداد: مكتبة المثنى).
- محمد حسين الطباطبائي، **نهاية الحكمة**، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، الطبعة ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، **نهج البلاغة**، جمع الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ)، تحقيق صبحي الصالح، (قم: دار الهجرة، الطبعة ٥).
- الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)، **نهج الحق وكشف الصدق**، تحقيق الشيخ عين اللّه الحسيني الأرموي، (قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ).
- فيصل ربيع الساعدي، **الوجود عند متكلمي المسلمين**، إشراف الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد اللّه، (بغداد: جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (٣٦١-٤٣١هـ)، **وجوه القرآن**، حققه وعلّق عليه د. نجف عرشي، (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ).

(قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى**، تحقيق أسعد الطيب، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م)، **موسوعة العلامة البلاغي، رسائل متفرقة**، إعداد مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- السيد منذر الحكيم ومحمد الحسون، **موسوعة العلامة البلاغي، المدخل (حياة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، عصره، حياته، مختارات من ترجمته)**، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، (قم: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبي (توفي ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البيجاوي، (بيروت: دار المعرفة).
- مقداد بن عبد اللّه السيوري الحلي (توفي ٨٢٦هـ)، **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، (بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر).
- حيدر الآملي، **نص النصوص في شرح فصوص الحكم**، تصحيح: هنري كوربان وعثمان إسماعيل يحيى، (طهران: ١٩٧٤م).
- الشيخ محمد محسن آغابزرك الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩هـ)، **نص النصوص في شرح فصوص الحكم**، (مشهد المقدسة: دار

المرتضى، الطبعة ٢، ١٤٠٤هـ).

- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، (بغداد: مكتبة المثنى).
- محمد حسين الطباطبائي، **نهاية الحكمة**، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، الطبعة ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، **نهج البلاغة**، جمع الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ)، تحقيق صبحي الصالح، (قم: دار الهجرة، الطبعة ٥).
- الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)، **نهج الحق وكشف الصدق**، تحقيق الشيخ عين اللّه الحسيني الأرموي، (قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ).
- فيصل ربيع الساعدي، **الوجود عند متكلمي المسلمين**، إشراف الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد اللّه، (بغداد: جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (٣٦١-٤٣١هـ)، **وجوه القرآن**، حققه وعلّق عليه د. نجف عرشي، (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ).

- آيــة اللّه جوادي آملي، الوحــي والنبوة في القــرآن، (دار الصفوة، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م).
- ســتار جبار حمود الأعرجي، **الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ٢٠٠١م).
- محمد بن الحســن الحر العاملي (١٠٣٣-١١٠٤هـ)، **وسـائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشـريعة**، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، (طهران: منشورات المكتبة الإسلامية، الطبعة ٦، ١٤٠٣هـ).
- آية اللّه الســيد شهاب الدين المرعشــي النجفي (توفي ١٤١١هـ)، **وسـيلة المعاد في مناقب شـيخنا الأسـتاذ**، (طهران: مؤسســة النصر للطباعة ١٣٨٣هـ).
- الحافظ ســليمان بن إبراهيم القنــدوزي (١٢٢٠-١٢٩٤هـ)، **ينابيع المودة لذوي القربى**، تحقيق الســيد علي جمال أشــرف الحسيني، (قم: دار الأسوة، ١٤١٦هـ).